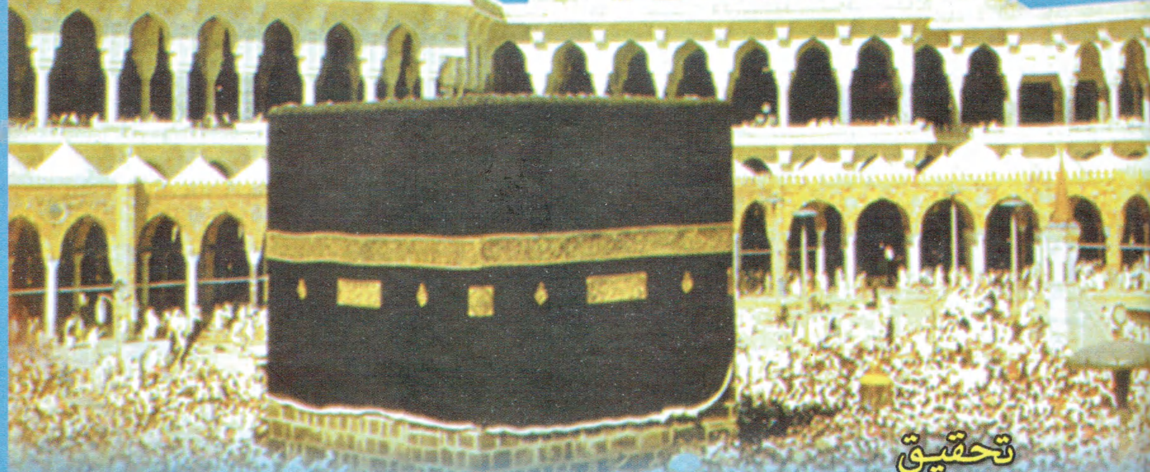


وما جاء فيها من الآثار

أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي
(ت نحو ٢٥٠ هـ)

الجزء الأول



تحقيق
الدكتور علي عمر

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية



وما جاء فيها من الآثار

أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي
(ت نحو ٢٥٠ هـ)

تحقيق
الدكتور علي عمر
بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية
بجامعة المنيا والإمام بالرياض

الجزء الأول

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

طبعة
1437هـ 2016

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
526 شارع بورسعيد – القاهرة
25938411-25922620 / فاكس: 25936277
E-mail: alsakafa_aldinay@hotmail.com

رقم الايداع	٢٠٠٣/١٩١٦٨
الترقيم الدولي I.S.B.N	977-341 - 127-3

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

لا نعرف عن بدايات التأليف فى تاريخ مكة ـ وخاصة المؤلفات التى أفاد منها اللاحقون ـ سوى مؤلف فى تاريخ مكة للحسن بن يسار البصرى المتوفى سنة ١١٠هـ، الذى كتب رسالة عن «فضائل مكة المشرفة» كانت فيما يعد أحد المصادر الرئيسية لمؤرخى مكة فيما بعد:

ومؤلف آخر فى تاريخ مكة لعثمان بن ساج المتوفى سنة ١٨٠هـ، ويرجح أن كتابه فى تاريخ مكة كان أحد مصادر الأزرقى المتوفى نحو ٢٥٠هـ، فى كتابه الذى نقدم له اليوم.

ثم جاء أبو الوليد الأزرقى فكتب فى «أخبار مكة» وقد استقى كثيراً من معلوماته الواردة فى كتابه عن عبد الله بن عباس وتلاميذه، حيث كان لديهم معلومات وفيرة عن مكة.

ويبدو أن الأزرقى كان مولعًا بمعرفة الأخبار التاريخية ورواياتها، كما أن اسمه يظهر كمصدر للمعلومات عن تاريخ مكة القديم، وكذلك فيما يتعلق بتاريخها الإسلامى وما صاحبه من أحداث.

وقد استغرق ثلاثة أرباع كتابه ذكر قصص كانت قد نَمَتْ فى الجاهلية حول حرم مكة ووصف الشعائر ذات الصلة بمكة.

أما الربع الباقى فيبحث فى الأماكن المقدسة الأخرى من مكة بالإضافة إلى الحديث عن رسول الله ﷺ ومعاصريه من المكيين، وعن خطط مكة وأطرافها.

وقد حظيت مرويات الأزرقى باهتمامات المؤرخين اللاحقين فى العهود التى تلته.

هذا وقد استندت فى تحقيق كتاب أخبار مكة إلى ما يلي

١ ـ مخطوطة مصورة من معهد المخطوطات بالقاهرة برقم ٢١٨٦ تاريخ عن النسخة الروسية رقم ٦٠٧ B، وهى نسخة نفيسة كتبت بقلم نسخ قديم فيه ضبط، من القرن الخامس الهجرى تقديرًا، وبأولها قراءة هذا الكتاب لأبى الوليد الباجى بخطه على شيخه أبى الحجاج يوسف بن فتوح، وإجازة من الشيخ الباجى بجميع مصنفاته ومروياته وبجميع ما يجوز له روايته من منقول ومسموع بشرطه، وبآخرها مقابلتان: الأولى مقابلة على أصل مصنفه وقرئ عليه مرات، والثانية قوبلت على نسخة صحيحة مكتتبة من نسخة المؤلف تجاه الكعبة عام ٦٣٣ هـ، وقد جعلت هذه النسخة أصلاً.

٢ ـ النسخة التى طبعت فى أوروبا بعناية وستنفيلد ١٨٥٨م، وقد رمزت إليها بالحرف (أ).

٣ ـ نسخة بتحقيق رشدى الصالح ملحس وقد رمزت إليها بالحرف (ب).

وقد أشرت إليها جميعًا فى تعليقاتى «بالأصول».

وكان حرصى على سلامة النص أكثر من حرصى على التعريف بالأعلام والبلاد والإسراف فى الشرح والتعليق، إذ كان ذلك أهم ما يحتاج إليه العلماء والباحثون عند الرجوع إلى الكتب المحققة.

كما قمت فى آخر الكتاب بعمل الفهارس المتنوعة التى تقرب نفعه، وتُدْنى جَناه.

القاهرة فى رجب سنة ١٤٢٤هـ

سبتمبر سنة ٢٠٠٣م

د. على عمر

كتاب

تاريخ مكة المشرفة للازرقي

رحمه الله تعالى

ex Museo Asiatico Academiae

imp. Scientiarum Petropol.

صفحة عنوان المخطوطة

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين وسلم ذكر ما كانت الكعبة عليه فوق الماء قبل أن يخلق الله تعالى السموات والأرض وما جاء في ذلك ٥ حدثنا الشيخ الإمام الزاهد الحافظ مفخر القراء جمال الدين أبي المفاخر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن طاهر [illegible] الملقب ببهاء إمام أصحاب أبي حنيفة رضي الله عنه بقراءته قال أخبرنا الشيخ الإمام الزاهد جمال الدين أبو بكر محمد بن أحمد البلدي النسفي بها قراءة عليه وأنا أسمع فأقر به رحمه الله أخبرنا القاضي الإمام أبو المعالي المعتمد بن محمد [illegible] النسفي بها أخبرنا أبو سهل هرون بن أحمد الاستراباذي أبو محمد إسحق بن أحمد بن إسحق بن نافع الخزاعي قال أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق بن عمرو بن الحرث بن أبي شمر الغساني الأزرقي قال حدثني جدي أحمد بن محمد بن الوليد الأزرقي قال حدثنا سفين بن عيينة عن بشر بن عاصم عن سعيد بن المسيب قال قال كعب الأحبار كانت الكعبة غثاء على الماء قبل أن يخلق الله عز وجل السموات والأرض بأربعين سنة ومنها دحيت الأرض ٥ حدثنا أبو الوليد قال حدثني مهدي بن أبي المهدي قال حدثنا أيوب البصري قال حدثنا هشام عن حميد قال سمعت مجاهدا يقول خلق الله عز وجل هذا البيت قبل أن يخلق شيئا من الأرضين ٥ قال حدثنا أبو الوليد قال وحدثنا جدي قال حدثنا سعيد بن سالم عن طلحة بن عمرو عن عطا عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال لما كان العرش على الماء قبل أن يخلق الله السموات والأرض بعث الله تعالى ريحا هفافة فصفقت الماء فأبرزت عن خشفة في موضع البيت كأنها قبة فدحا الله عز وجل الأرضين من تحتها فمادت ثم مادت فأوتدها الله تعالى بالجبال فكان أول جبل وضع فيها أبو قبيس فلذلك سميت مكة أم القرى وحدثني يحيى بن سعيد عن محمد بن عمر بن إبراهيم الجبيري عن عثمان بن عبد الرحمن عن هشام عن مجاهد قال لقد خلق الله عز وجل موضع هذا البيت قبل أن يخلق شيئا من الأرض بألفي سنة وإن قواعده لفي الأرض السابعة السفلى ٥ ذكر بناء الملائكة الكعبة قبل آدم ومبتدأ الطواف كيف كان حدثنا أبو الوليد قال حدثني علي بن [illegible] بن مسلم العجلي عن أبيه قال حدثنا القسم بن عبد الرحمن [illegible] قال حدثنا محمد بن علي

الصفحة الأولى من المخطوطة

وبلد شعب عمرو بن عبد الله بن ابي زيد ٥ وذات الحنظل هو
الفج الذي من عين الاوزني الى ثنية الحرم ٥ العلفا بين ذي طوى
واللبط ٥ الثنية البيضا من بلدح وفخ ٥ شعب اللبن الشعب الذي
يفرغ على حائط الطائفي ٥ ملحه الجهوني شعب يفرغ على حائط
ابن سعيد ببلدح ٥ القشيره حجر الارض لابن ابي مليكه اذا خرجت
طرف الجبل ثنية على يسار الطريق ٥ بئر العبد لابن الحد ثنية على يسار
الذاهب الى جدة وانما سمي قبر العبد ان عبدا لبعض اهل مكة ابق
فدخل غارا هنالك فمات فيه فردمت عليه الحجارة فصار [illegible] الغار
قبره ٥ التجاير بعضها في الحل وبعضها في الحرم وهو على يمين الذاهب
الى جدة الى [illegible] الاعشاش ٥ وبعض الاعشاش في الحل وبعضها
في الحرم وهو خيره البهيما ونجمه الاصغر ٥ ذات الوغبا ما اقبل على
بطن مر منهن فهو حل وما اقبل على المروة منهن فهو حرم ٥ كبش الجبل الذي
دون نعيلة في طرف الحرم [illegible] رحا في الحرم وهو [illegible] المصانع
الى ذات الجليش ورحا هي ردهه المراحه والمراحه دون الحديبيه
على يسار الذاهب الى جدة ٥ النبعيعه والنبيعه باذاخر
اخر كتاب مكة حرسها الله تعالى ٥ رسالة المهدي امير المومنين

الصفحة الأخيرة من المخطوطة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيدنا محمّد النبى وآله الطاهرين وسلم كثيراً

ذكر ما كانت الكعبة الشريفة عليه فوق الماء قبل أن يخلق الله السموات والأرض وما جاء فى ذلك

أخبرنى والدى الفقيه الإمام المحدّث صدر الدين بقية المشايخ أبو حفص عمر بن عبد المجيد بن عمر القرشى المَيَانَشى رحمة الله عليه، قال: حدّثنا القاضى الإمام أبو المظفّر محمد بن على بن الحسين الشيبانى الطبرى عن جدّه الشيخ الإمام الحسين وعن الشيخ أبى الحسن على ابن خَلَف الشامى، عن أبى القاسم خلف بن هِبَة الله الشامى، عن أبى محمد الحسن بن أحمد ابن إبراهيم بن فِراس، عن أبى الحسن محمد بن نافع الخزاعى، عن أبى محمد إسحاق بن أحمد بن إسحاق بن نافع الخزاعى عن أبى الوليد محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق بن عمرو بن الحارث بن أبى شمر الغسانى الأزرقى، قال: حدثنا جدّى أحمد بن محمد ابن الوليد الأزرقى، قال: حدثنا سفيان بن عُيَيْنة، عن بشر بن عاصم، عن سعيد بن المسيّب قال: قال كعب الأحبار: كانت الكعبة غُثاء على الماء قبل أن يخلق الله عزّ وجلّ السموات والأرض بأربعين سنة ومنها دُحيت الأرض.

قال: حدثنا أبو الوليد، قال: حدثنى مهدى بن أبى المهدى قال: حدثنا أبو أيوب البصرى، عن هشام، عن حميد، قال سمعت مجاهداً يقول: خلق الله عزّ وجلّ هذا البيت قبل أن يخلق شيئًا من الأرضين.

قال: حدثنا أبو الوليد، قال: حدثنا جدّى، عن سعيد بن سالم، عن

طلحة بن عمرو، عن عطاء، عن ابن عبّاس، أنه قال: لمّا كان العرش على الماء قبل أن يخلق الله السموات والأرض بعث الله تعالى ريحًا هَفَّافة فصَفَقَتْ الماء فأَبرزت عن حَشْفة فى موضع البيت كأنها قبّة، فدَحَا الله الأرضين من تحتها فمادت ثم مادت فأوتدها الله تعالى بالجبال، فكان أوّل جبل وُضع فيها أبو قُبَيْس، فلذلك سُمّيت مكّة أم القُرى[1].

قال وحدثنى يحيى بن سعيد عن محمد بن عمر بن إبراهيم الجُبيرى، عن عثمان بن عبد الرحمن، عن هشام، عن مجاهد، قال: لقد خلق الله عزّ وجلّ موضع هذا البيت قبل أن يخلق شيئًا من الأرض بألْفَىْ سنة، وإن قواعده لفى الأرض السابعة السُّفْلَى.

* * *

ذكر بناء الملائكة الكعبة قبل خلق آدم ومبتدأ الطواف كيف كان

حدثنا أبو الوليد، قال: حدثنى على بن هارون بن مسلم العِجْلى، عن أبيه، قال: حدثنا القاسم بن عبد الرحمن الأنصارى، قال: حدثنى محمد ابن على بن الحسين، قال: كنت مع أبى على بن الحسين بمكة فبينما هو يطوف بالبيت وأنا وراءه إذ جاءه رجلٌ شَرَجَع من الرجال، يقول: طويل. فوضع يده على ظهر أبى، فالتَفَتَ أبى إليه، فقال الرجل: السلام عليك يابن بنت رسول الله، إنى أريد أن أسألك، فسكت أبى وأنا والرجل خلفه حتى فرغ من أسبوعه فدخل الحِجر فقام تحت الميزاب فقمت أنا والرجل خلفه ليصلّى ركعَتى أسبوعه، ثم استوى قاعدًا فالتفت إلىّ فقمت فجلستُ إلى جنبه، فقال: يا محمد، فأَين هذا السائل، فأومأت إلى الرجل فجاء فجلس بين يدى أبى فقال له أبى: عمَّ تَسْأل؟ قال: أسألك عن بدء هذا الطواف

(١) الحديث فى الجامع الصغير ١/١١٢ ورمز لضعفه.

بهذا البيت لم كان وأنَّى كان وحيث كان وكيف كان؟ فقال له أبى: نعم من أين أنت؟ قال: من أهل الشام. فقال: أين مسكنك؟ قال: فى بيت المقدس.

قال: فهل قرأتَ الكتابيْن؟ يعنى التوراة والإنجيل قال الرجل: نعم. قال أبى: يا أخا أهل الشام، احفظ ولا ترוين عنى إلا حقًا أمّا بَدْء هذا الطواف بهذا البيت فإن الله تبارك وتعالى قال للملائكة إنّى جاعل فى الأرض خليفةً فقالت الملائكة: أى ربّ أخليفة من غيرنا ممّن يفسد فيها ويسفك الدماء ويتحاسدون ويتباغضون ويتباغون؟ أى ربّ، اجعل ذلك الخليفة منّا فنحن لا نفسد فيها ولا نسفك الدماء ولا نتباغض ولا نتحاسد ولا نتباغى ونحن نسبح بحمدك، ونقدس لك ونطيعك ولا نعصيك. قال الله تعالى: إنى أعلم ما لا تعلمون. قال: فظَنَّت الملائكة أن ما قالوا ردٌّ على ربّهم عزّ وجلّ وأنه قد غضب من قولهم. فلاذوا بالعرش ورفعوا رءوسهم وأشاروا بالأصابع يتضرعون ويبكون إشفاقًا لغضبه وطافوا بالعرش ثلاث ساعات فنظر الله إليهم فنزلت الرحمة عليهم فوضع الله تعالى تحت العرش بيتًا على أربع أساطين من زبرجد وغَشَّاهُنَّ بياقوتة حمراء وسُمّى ذلك البيت الضُّرَاح[1].

ثم قال الله تعالى للملائكة: طوفوا بهذا البيت ودعوا العرش، قال: فطافت الملائكة بالبيت وتركوا العرش وصار أهون عليهم وهو البيت المعمور الذى ذكره الله عزّ وجلّ يدخله فى كل يوم وليلة سبعون ألف ملك لا يعودون فيه أبداً.

ثم إن الله سبحانه وتعالى بعث ملائكة فقال: ابنوا لى بيتًا فى الأرض بمثاله وقدره، فأمر الله سبحانه من فى الأرض من خلقه أن يطوفوا بهذا البيت كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور، فقال الرجل صدقت يابن بنت رسول الله ﷺ هكذا كان.

(١) لدى ياقوت: الضراح: بيت فى السماء حيال الكعبة وهو البيت المعمور، وقيل هى الكعبة رفعها الله وقت الطوفان إلى السماء الدنيا فسميت بذلك لضرحها عن الأرض أى بعدها.

ذكر زيارة الملائكة البيت الحرام

حدثنا أبو الوليد، قال: حدثني مهدى بن أبى المهدى، قال: حدثنا عبد الرزاق، قال: حدثنا عمر بن بكَّار، عن وهب بن منبّه، عن ابن عبّاس، أن جبريل عليه السلام وقف على رسول الله ﷺ وعليه عصابةٌ حمراء قد علاها الغُبَارُ، فقال له رسول الله ﷺ: ما هذا الغبار أرى على عصابتك أيها الروح الأمين؟ قال: إنى زُرْتُ البيت فازدحمت الملائكة على الركن فهذا الغبار الذى ترى مما تثير بأَجْنحتها.

وأخبرنى جدّى، عن سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، قال: أخبرنى عثمان بن يسار، قال: بلغنى ـ والله أعلم ـ أن الله تعالى إذا أراد أن يبعث ملكًا من الملائكة لبعض أموره فى الأرض، استأذنه ذلك الملك فى الطواف بالبيت فهبط الملك مُهِلاًّ[1].

وأخبرنى جدّى، عن سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، عن وهب بن منبّه نحو هذا إلا أنه قال: ويصلّى فى البيت ركعتيْن.

وأخبرنى جدّى، عن سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، قال: أخبرنى عباد بن كثير[2]، عن ليث بن معاذ قال، قال رسول الله ﷺ هذا البيت خامس خمسة عشر بيتًا، سبعة منها فى السماء إلى العرش، وسبعة منها إلى تخوم الأرض السُّفْلَى، وأعلاها الذى يلى العرش البيت المعمور، لكلّ بيت منها حرم كحرم هذا البيت، لو سقط منها بيت لسقط بعضها على بعض إلى تخوم الأرض السفلى، ولكلّ بيت من أهل السماء ومن أهل الأرض من

(١) فيه عثمان بن ساج. ولدى صاحب التقريب: «عثمان بن ساج، فيه ضعف».

(٢) إسناده ضعيف، عباد بن كثير، هو: البصرى، نزيل مكة، متروك. قال، أحمد: روى أحاديث كذبٍ (التقريب).

يعمره كما يعمر هذا البَيت.

حدثنى أبو الوليد، قال: وحدثنى جدى، عن سعيد بن سالم، عن عثمان، عن وهب بن منبّه، أن ابن عباس أخبره، أن جبريل وقف على رسول الله ﷺ وعليه عصابة خضراء قد علاها الغبار، فقال رسول الله ﷺ: ما هذا الغبار الذى أرى على عصابتك أيها الروح الأمين؟ قال: إنى زُرْتُ البيت فازدحمت الملائكة على الركن فهذا الغبار الذى ترى مّما تثير بأجنحتها.

* * *

ذكر هبوط آدم إلى الأرض وبنائِه الكعبة وحجه وطوافه بالبيت

حدثنا أبو الوليد، حدثنا جدّى، قال: حدثنا سعيد بن سالم، عن طلحة ابن عمرو الحضرمى، عن عطاء بن أبى رَبَاح، عن ابن عباس، قال: لمّا أهبط الله آدم إلى الأرض من الجنّة، كان رأسه فى السماء، ورجلاه فى الأرضِ وهو مثل الفلك من رَعْدته، قال: فطَأْطَأ الله عزّ وجلّ منه إلى ستّين ذراعًا، فقال: ياربّ، ما لى لا أسمع أصوات الملائكة ولا أحسُّهم؟ قال: خطيئتُك يا آدم، ولكن اذهب فابن لى بيتًا فطُفْ به واذكرنى حوله كنحو ما رأيتَ الملائكة تصنع حول عرشى. قال: فأقبل آدم عليه السلام يتخطّى فطُويَت له الأرض وقبضت له المفاوز، فصارت كلّ مفازة يمّر بها خطوة وقبض له ما كان من مخاض ماء أو بحر فجعل له خطوة.

ولم تقع قدمه فى شىء من الأرض إلا صار عُمرانًا وبركةً حتى انتهى إلى مكة فبنى البيت الحرام وأن جبريل عليه السلام ضرب بجناحه الأرض فأبرز عن أسّ ثابت على الأرض السفلى فقذفت فيه الملائكة الصخر ما يطيق الصخرة منها ثلاثون رجلاً.

وأنه بناه من خمسة أجبُل من لبنان، وطُور زَيْتا، وطُور سينا، والجُودى، وحراء، حتى استوى على وجه الأرض.

قال ابن عباس: فكان أول من أسّس البيت وصلّى فيه وطاف به آدم، حتى بعث الله الطوفان قال: وكان غضبًا ورجسًا، قال: فحيث ما انتهى الطوفان ذهب ريح آدم عليه السلام قال: ولم يقرب الطوفان أرض السند والهند.

قال فدَرَسَ موضع البيت فى الطوفان حتى بعث الله تعالى إبراهيم وإسماعيل فرفعا قواعده وأعلامه وبَنَتْهُ قريش بعد ذلك وهو بحذاء البيت المعمور لو سقط ما سقط إلا عليه[1].

حدثنا أبو الوليد، حدثنا مهدى بن أبى المهدى، قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم الصنعانى، عن عبد الصمد بن معقل، عن وهب بن منبه، أن الله تعالى لما تاب على آدم عليه السلام أمره أن يسير إلى مكة، فطوى له الأرض وقبض له المفاوز، فصار كلُّ مفازة يمر، بها خطوةً، وقبض له ما كان فيها من مخاض ماء أو بحر فجعله له خطوة، فلم يضع قدمه فى شىء من الأرض إلا صار عمرانًا وبركة، حتى انتهى إلى مكة.

وكان قبل ذلك قد اشتدّ بكاؤه وحزنه لما كان فيه من عظم المصيبة حتى أن كانت الملائكة لتحزن لحزنه ولتبكى لبكائه فعَزَّاهُ الله تعالى بخيمة من خيام الجنّة ووضعها له بمكة فى موضع الكعبة قبل أن تكون الكعبة.

وتلك الخيمة ياقوتة حمراء من يواقيت الجنّة فيها ثلاثة قناديل من ذهب من تبر الجنّة، فيها نور يلتهب من نور الجنة، ونزل معها الركن وهو يومئذ ياقوتة بيضاء من ربض الجنة، وكان كرسيًا لآدم يجلس عليه، فلمّا صار آدم بمكة وحُرس له تلك الخيمة بالملائكة كانوا يحرسونها ويذودون عنها ساكن الأرض.

---

(١) فى إسناده: طلحة بن عمرو الحضرمى. قال فيه صاحب التقريب: «متروك».

وساكنها يومئذ الجن والشياطينُ فلا ينبغى لهم أن ينظروا إلى شىء من الجنة لأنه من نظر إلى شىء من الجنّة وجبت له، والأرض يومئذ طاهرة نقية لم تنجس ولم تُسْفك فيها الدماء ولم يعمل فيها بالخطايا، فلذلك جعلها الله مسكن الملائكة، وجعلهم فيها كما كانوا فى السماء يسبحون الله الليل والنهار لا يفترون.

وكان وقوفهم على أعلام الحرم صفًّا واحدًا مستديرين بالحرم الشريف كلّه الحلّ من خلفهم والحرم كلّه من أمامهم فلا يجوزهم جنٌّ ولا شيطان، ومن أجل مقام الملائكة حُرِم الحرم حتى اليوم، ووضعت أعلامه حيث كان مقام الملائكة، وحرم الله عز وجل على حَوّاء دخول الحرم والنظر إلى خيمة آدم من أجل خطيئتها التى أخطأت فى الجنّة، فلم تنظر إلى شىء من ذلك حتى قبضت.

وإن آدم كان إذا أراد لقاءها ليلِمَّ بها للولد خرج من الحرم كلّه حتى يلقاها، فلم تزل خيمة آدم مكانها حتى قبض الله آدَمَ ورفعها الله تعالى.

وبنى بنو آدم بها من بعدها مكانها بيتًا بالطين والحجارة فلم يزل معمورًا يعمرونه مَنْ بعدهم حتى كان زمن نوح فنسفه الغرق وخفى مكانه.

فلمّا بعث الله تعالى إبراهيم خليله عليه السلام طلب الأساس، فلمّا وصل إليه ظلّل الله تعالى له مكان البيت بغمامة، فكانت حفاف البيت الأول، ثم لم تزل راكدة على حفافه تظلُّ إبراهيم وتهديه مكان القواعد حتى رفع الله القواعد قامةً.

ثم انكشفت الغمامة فذلك قول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ [الحج:٢٦] أى الغمامة التى ركدت على الحفاف لتهديه مكان القواعد فلم يزل بحمد الله منذ رفعه الله معمورًا.

قال وهب بن منبّه: وقرأتُ فى كتاب من الكُتُب الأولى ذُكر فيه أمر

الكعبة فوجد فيه أن ليس من ملك من الملائكة بعثه الله تعالى إلى الأرض إلا أمره بزيارة البيت، فينقضُّ من عند العرش محرمًا ملبيًا حتى يستلم الحجر ثم يطوف سَبْعًا بالبيت ويركع فى جوفه ركعتَيْن ثم يَصْعَد.

وحدثنى محمـد بن يحيى، عن إبراهيم بن محمـد بن أبى يحيى، عن عبد الله بن لبيد، قال: بلغنى أن ابن عباس، قال: لما أهبط الله سبحانه آدم إلى الأرض أهبطه إلى موضع البيت الحرام وهو مثل الفلك من رعدته، ثم أنزل عليه الحجر الأسود - يعنى الركن - وهو يتلألأ من شدّة بياضه، فأخذه آدم فضَمَّه إليه أنسًا به ثم نزلت عليه العصا، فقيل له تَخَطَّ يا آدم فتَخَطَّا فإذا هو بأرض الهند والسند فمكث بذلك ما شاء الله ثم استوحش إلى الركن، فقيل له: احججْ قال فحج فلقيَتْهُ الملائكة فقالوا: بُرَّ حَجُّكَ يا آدم، لقد حججنا هذا البيت قبلك بألْفَىْ عام[1].

وحدثنى جدّى، قال: حدثنا سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، قال أخبرنى محمد بن إسحاق، قال: بلغنى أن آدم عليه السلام لمّا أهبط إلى الأرض حزن على ما فاته ممّا كان يرى ويسمع فى الجنة من عبادة الله عز وجل، فبوأ الله له البيت الحرام وأمره بالسير إليه، فسار إليه لا ينزل منزلاً إلا فجّر الله له ماء معينًا حتى انتهى إلى مكة، فأقام بها يعبد الله عند ذلك البيت ويطوف به، فلم تزل داره حتى قبضه الله بها[2].

حدثنى جدّى، قال حدثنى سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، قال: بلغنى أن عمر بن الخطّاب قال لكعب: يا كعب، أخبرنى عن البيت الحرام. قال كعب: أنزله الله تعالى من السماء ياقوتة مجوّفة مع آدم، فقال له: يا آدم إن هذا بيتى أنزلتُهُ معك يطاف حوله كما يطاف حول عرشى ويُصَلَّى حوله كما يُصَلَّى حول عرشى، ونزلت معه الملائكة فرفعوا قواعده من

---

(١) فى إسناده: إبراهيم بن محمد بن أبى يحيى، قال صاحب التقريب: «متروك».

(٢) فى إسناده: عثمان بن ساج، فيه ضعف.

حجارة، ثم وضع البيت عليه فكان آدم عليه السلام يطوف حوله كما يطاف حول العرش ويُصَلِّى عنده كما يُصَلَّى عند العرش، فلمّا أغرق الله قوم نوح رفعه الله إلى السماء وبقيت قواعده(١).

حدثنى جدّى، قال: وحدثنى إبراهيم بن محمد بن أبى يحيى، عن أبان ابن أبى عياش، قال: بلغنا عن أصحاب النبى ﷺ أن عمر بن الخطّاب سأل كعبًا ثم نسق مثل الحديث الأول.

وحدثنى جدّى، قال: وحدثنى إبراهيم بن محمد بن أبى يحيى، عن الزهرى، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة بن مسعود، عن ابن عبّاس رضوان الله عليه قال: كان آدم أول من أسّس البيت وصلّى فيه حتى بعث الله الطوفان(٢).

حدثنا مهدى بن أبى المهدى، قال: حدثنا عبد الله بن معاذ الصنعانى، عن معمر، عن أبان، أن البيت أهبط ياقوتة لآدم، أو درّة واحدة.

وحدثنى جدى، قال: حدثنا سعيد بن سالم القَدَّاح، عن عثمان بن ساج، عن وهب بن منبه، قال: كان البيت الذى بَوَّأه الله تعالى لآدم يومئذ ياقوتة من يواقيت الجنّة حمراء تلتهب، لها بابان أحدهما شرقى والآخر غربى وكان فيه قناديل من نور آنيتها ذهب من تبر الجنّة وهو منظوم بنجوم من ياقوت أبيض، والركن يومئذ نجم من نجومه، وهو يومئذ ياقوتة بيضاء(٣).

حدثنا جدّى، قال: حدثنى إبراهيم بن محمد بن أبى يحيى، قال: حدثنا المغيرة بن زياد، عن عطاء بن أبى رباح، قال: لمّا بنى ابن الزبير الكعبة أمر العُمَّال أن يبلغوا فى الأرض فبلغوا صخرًا أمثال الإبل الخلف قال فقالوا: إنا قد بلغنا صخرًا معمولاً أمثال الإبل الخلف، قال قال: زيدوا فاحفروا فلمّا

(١) فى إسناده: عثمان بن ساج، سبق التعليق عليه.

(٢) فيه إبراهيم بن محمد بن أبى يحيى، سبق التعليق عليه.

(٣) فيه عثمان بن ساج، سبق التعليق عليه.

زادوا بلغوا هواء من نار يلقاهم، فقال: ما لكم؟ قالوا لَسْنَا نستطيع أن نزيد، رأينا أمرًا عظيمًا فلا نستطيع فقال لهم: ابنوا عليه قال فسمعت عطاء يقول: يرون أن ذلك الصخر ممّا بنى آدم عليه السلام.

وحدثنى جدّى عن سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، عن الزهرى، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس عليه السلام خرّ آدم ساجدًا يبكى فهتف به هاتف، فقال: ما يبكيك يا آدم؟ قال: أبكانى أنه حيل بينى وبين تسبيح ملائكتك وتقديس قدسك، فقيل له: يا آدم قم إلى البيت الحرام، فخرج إلى مكة فكان حيث يضع قدَميه يفجّر عيونًا وعمرانًا ومدائن وما بين قدميه الخراب والمعاطش. فبلغنى أن آدم تذكّر الجنة فبكى فلو عدل بكاء الخلق ببكاء آدم حين أخرج من الجنّة ما عدله، ولو عدل بكاء الخلق وبكاء آدم ببكاء داود حين أصاب الخطيئَة ما عدله.

حدثنى جدّى، قال أخبرنا سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، عن وهب بن منبّه أن آدم عليه السلام اشتدّ بكاؤه وحزنُهُ لما كان من عظم المصيبة حتى أن كانت الملائكة لتحزن لحزنه ولتبكى لبكائه، قال: فَعَزَّاه الله بخيمة من خيام الجنّة وضعها له بمكة فى موضع الكعبة قبل أن تكون الكعبة، وتلك الخيمة ياقوتة حمراء من ياقوت الجنة وفيها ثلاثة قناديل من ذهب من تبر الجنة فيها نور يلتهب من نور الجنة، فلمّا صار آدم إلى مكة وحُرِس له تلك الخيمة بالملائكة، فكانوا يحرسونه ويذودون عنها سُكَّان الأرض، وسُكَّانها يومئذ الجنّ والشياطينُ ولا ينبغى لهم أن ينظروا إلى شىء من الجنّة لأنه من نظر إلى شىء منها وجبت له، والأرض يومئذ نقية طاهرة طيبة لم تنجس ولم تسفك فيها الدماء ولم يُعمل فيها بالخطايا، فلذلك جعلها الله يومئذ مستقرّ الملائكة وجعلهم فيها كما كانوا فى السماء يسبحون الليل والنهار لا يفترون، قال فلم تزل تلك الخيمة مكانها حتى قبض الله آدم عليه السلام ثم رفعها إليه.

حدثنى مهدى بن أبى المهدى، عن عبد الله بن معاذ الصنعانى، عن معمر، عن قتادة فى قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ [الحج:٢٦] قال: وضع الله تعالى البيت مع آدم فأهبط الله تعالى آدم إلى الأرض وكان مهبطه بأرض الهند، وكان رأسه فى السماء ورجلاه فى الأرض، وكانت الملائكة تهابُهُ فقبض إلى ستّين ذراعًا فحزن آدم إذ فقد أصوات الملائكة وتسبيحهم، فشكا ذلك إلى الله تعالى، فقال الله تعالى: يا آدم، إنى أهبطت معك بيتًا يطاف به كما يطاف حول عرشى فانطلقْ إليه، فخرج آدم ومُدَّ له فى خطوه فكان خطوتان أو بين خطوتين مفازة، فلم يزل على ذلك فأتى آدم البيت فطاف به ومن بعده من الأنبياء.

حدثنى محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن عمران، عن عمر بن أبى معروف، عن عبد الله بن أبى زياد أنه قال لمّا أهبط الله تعالى آدم من الجنّة، قال: يا آدم، ابن لى بيتًا بحذاء بيتى الذى فى السماء تتعبد فيه أنت وولدك كما تتعبّد ملائكتى حول عرشى، فهبطت عليه الملائكة فحفر حتى بلغ الأرض السابعة فقذفت الملائكة الصخر حتى أشرف على وجه الأرض، وهبط آدم بياقوتة حمراء مجوّفة لها أربعة أركان بيضٌ فوضعها على الأساس فلم تزل الياقوتة كذلك حتى كان زمن الغرق فرفعها الله سبحانه[1].

* * *

ما جاء فى حج آدم عليه السلام ودعائه لذريته

حدثنا أبو الوليد، قال حدثنى جدّى، عن سعيد بن سالم، عن عثمان ابن ساج، قال حُدِّثْتُ أن آدم عليه السلام خرج حتى قدم مكة فبنى البيت، فلمّا فرغ من بنائه: قال: أى ربّ إن لكلّ أجير أجراً وإن لى أجراً قال: نعم!

(١) فيه عبد العزيز بن عمران، متروك. احترقت كتبه فحدّث من حفظه فاشتد غلطه (التقريب).

فاسألنى، قال: أى ربِّ، تردّني من حيث أخرجتنى قال: نعم! ذلك لك: قال: أى ربِّ، ومن خرج إلى هذا البيت من ذريتى يقرّ على نفسه بمثل الذى قررت به من ذنوبى أن تغفر له قال: نعم! ذلك لك[١].

حدثنا أبو الوليد، قال: حدثنا محمد بن يحيى، عن إبراهيم بن محمد ابن أبى يحيى، عن أبى المليح، أنه قال: كان أبو هريرة يقول حجّ آدم عليه السلام فقضى المناسك، فلمّا حجّ قال: يا رب، إن لكلّ عامل أجرًا، قال الله تعالى: أمّا أنت يا آدم فقد غفرتُ لك وأما ذريتك فمن جاء منهم هذا البيت فباء بذنبه غفرتُ له.

فحجّ آدم فاستقبلته الملائكة بالرحمة فقالت بُرَّ حَجُّك يا آدم قد حججنا هذا البيت قبلك بألْفَىْ عام، قال: فما كنتم تقولون حوله: قالوا: كنا نقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، قال: فكان آدم إذا طاف بالبيت يقول هؤلاء الكلمات وكان طواف آدم سبعة أسابيع بالليل وخمسة أسابيع بالنهار.

قال نافع كان ابن عمر رحمه الله يفعل ذلك.

حدثنى محمد بن يحيى، قال: حدثنى هشام بن سليمان المخزومى، عن عبد الله بن أبى سليمان مولى بنى مخزوم، أنه قال: طاف آدم سبعًا بالبيت حين نزل ثم صلّى وِجاه باب الكعبة ركعتين ثم أتى المُلْتَزَم، فقال: اللهم إنك تعلم سريرتى وعلانيتى فاقبلْ معذرتى، وتعلم ما فى نفسى وما عندى فاغفْر لى ذنوبى، وتعلم حاجتى فاعطنى سُؤلى اللهم إنى أسألك إيمانًا يباشر قلبى ويقينًا صادقًا حتى أعلم أنه لن يصيبنى إلا ما كتبت لى، والرضا بما قضيت علىّ.

قال: فأوْحَى الله تعالى إليه، يا آدم، قد دعوتَنى بدعوات فاستجبتُ لك،

---

(١) فيه عثمان بن ساج، سبق التعليق عليه.

ولن يدعونى بها أحد من ولدى إلا كشفتُ غمومه وهمومه، وكففتُ عليه ضيعته، ونزعت الفقر من قلبه، وجعلت الغناء بين عينيه، وتجرتُ له من وراء تجارة كلّ تاجر، وأَتَتْهُ الدنيا وهى راغمة وإن كان لا يريدها، قال فمذ طاف آدم عليه السلام كانت سُنَّةُ الطَّواف.

* * *

[سنة الطواف]

حدثنى جدّى، قال: حدثنا سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، قال: حدثنى موسى بن عبيد، عن محمد بن المنكدر، قال: كان أول شىء عمله آدم عليه السلام حين أهْبطَ من السماء طاف بالبيت فلقيَتهُ الملائكة فقالوا: بُرَّ نسكك يا آدم طُفْنا بهذا البيت قبلك بألفَىْ سنة.

حدثنى جدّى عن، سفيان بن عُيَيْنَةَ، عن الحرام بن أبى لبيد المدنىّ، قال: حجّ آدم عليه السلام فلقيته الملائكة فقالوا: يا آدم، بُرَّ حَجُّكَ قد حججنا قبلك بألفى عام.

حدثنى جدّى، عن سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، قال: أخبرنى سعيد، أن آدم حجّ على رجليه سبعين حجةّ ماشيًا، وأن الملائكة لقيته بالمأزمَيْن فقالوا: بُرَّ حَجُّكَ يا آدم، أما إنا فقد حججنا قبلك بألفَىْ عام.

حدثنى جدى، عن سعيد بن سالم، عن طلحة بن عمرو الحضرمى، عن عطاء بن أبى رباح، عن ابن عباس قال: حجّ آدم وطاف بالبيت سبعًا فلقيته الملائكة فى الطواف فقالوا: بُرَّ حَجُّكَ يا آدم، أما إنا قد حججنا قبلك هذا البيت بألفى عام، قال: فما كنتم تقولون فى الطواف؟ قالوا: كنا نقول سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله اكبر. قال آدم: فزيدوا فيها ولا حول ولا قوة ألا بالله، قال: فزادت الملائكة فيها ذلك.

قال ثم حجّ إبراهيم عليه السلام بعد بنيانه البيت فلقيته الملائكة فى الطواف فسلموا عليه، فقال لهم إبراهيم: ماذا كنتم تقولون فى طوافكم؟ قالوا: كنّا نقول قبل أبيك آدم: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فأعلمناه ذلك. فقال آدم عليه السلام زيدوا فيها ولا حول ولا قوة إلا بالله، فقال إبراهيم: زيدوا فيها العلى العظيم، قال: ففعلت الملائكة ذلك.

* * *

ذكر وحشة آدم فى الأرض حين نزلها وفضل البيت الحرام والحرم

حدثنا أبو الوليد، قال: حدثنى جدّى، عن سعيد بن سالم، عن عثمان ابن ساج عن وهب بن منبّه، أنه قال إن آدم لمّا هبط إلى الأرض استوحش فيها لما رأى من سعتها ولم ير فيها أحدًا غيره، فقال: يا ربّ أما لأَرْضك هذه عامرٌ يسبحك فيها ويقدس لك غيرى؟

قال: إنى سَأجْعل فيها من ذُرِّيتك من يسبح بحمدى ويقدس لى، وسأجعل فيها بيوتًا تُرفع لذكرى ويسبحنى فيها خلقى، وسأُبَوِّئُك فيها بيتًا أختاره لنفسى وأختصهُ بكرامتى وأُوثره على بيوت الأرض كلّها باسمى، فأُسَمّيه بيتى وانطقه بعظمتى، وأجوزه بحرماتى وأجعله أحَقّ بيوت الأرض كلها وأولاها بذكرى، وأَضَعُهُ فى البقعة التى اخترت لنفسى فإنى اخترت مكانه يوم خلقت السموات والأرض وقبل ذلك قد كان بِغْيَتى فهو صَفْوَتى من البيوت، ولَسْتُ أسكنه وليس ينبغى لى أن أسكن البيوت ولاينبغى لها أن تَسَعَنى ولكن على كرسى الكبرياء والجبروت وهو الذى استقلّ بعزتى وعليه وضعت عظمتى وجلالى وهنالك استقرّ قرارى، ثم هو بعد ضعيف عنّى لولا قوّتى ثم أنا بعد ذلك مِلءُ كلّ شىءَ وفوق كلّ شىء ومع كل شىء ومحيطٌ بكلّ شىء وأمام كل شىء وخلف كلّ شىء ليس ينبغى لشىء أن

يعلم علمى، ولا يقدر قدرتى ولا يبلغ كُنْهُ شأنى.

أجعل ذلك البيت لك ولمن بعدك حرمًا وأمنًا أحرّم بحُرماته ما فوقه وما تحته وما حوله، فمن حرّمه بحُرمتى فقد عظّم حُرُماتى ومن أحلَّه فقد أباح حرماتى، ومن أمن أهله فقد استوجب بذلك أمانى، ومن أخافهم فقد أخفرنى فى ذمّتى، ومن عَظَّم شأنَه عُظّم فى عينى، ومن تهاون به صغر فى عينى، ولكلّ ملك حيازة ما حواليه، وبطن مكة خيرتى وحيازتى وجيران بيتى وعُمَّارُها وزوارها وفُدَّى وأضيافى فى كنفى وأفْنيتى ضامنون علىَّ فى ذمّتى وجوارى، فأجعله أول بيت وُضع للناس وأُعْمره بأهل السماء وأهل الأرض يأتونه أفواجًا شعثا غُبْرًا على كلّ ضامر يأتين من كلّ فجّ عميق يعجّون بالتكبير عجيجًا ويرجّون بالتلبية رجيجًا، وينتحبون بالبكاء نحيبًا فمن اعتمره لا يريد غيرى فقد زارنى ووفد إلى ونزل بى، ومن نزل بى فحقيق علىَّ أن أتْحفه بكرامتى وحقّ الكريم أن يُكْرِمَ وفده وأضيافه وأن يسعف كلّ واحد منهم بحاجته.

تَعْمُرُه يا آدم ما كنتَ حيًا، ثم تعمره من بعدك، الأممُ والقرُون والأنبياء، أُمَّة بعد أمة، وقرن بعد قرن، ونبىٌّ بعد نبىّ حتى ينتهى ذلك إلى نبىّ من ولدك وهو خاتم النبيّين، فأجعله من عُمَّاره وسُكَّانه وحُماته ووُلاته وسُقاته يكون أمينى عليه ما كان حيًا فإذا انقلب إلىَّ وجدنى قد ذخرت له من أجره وفضيلته ما يتمكّن به للقربة منّى والوسيلة إلىَّ وأفضل المنازل فى دار المقام.

وأجعل اسم ذلك البيت وذكره وشرفه ومجده وثناءه ومكرمته لنبى من ولدك يكون قبل هذا النبىّ وهو أبوه يقال له إبراهيم أرفع له قواعده، وأقضى على يديه عمارته وأنيط له سقايته، وأريه حلّه وحرمه ومواقفه، وأعلمه مشاعره ومناسكه وأجعله أمة واحدة قانتًا لى قائمًا بأمرى داعيًا إلى سبيلى أجتبيه وأهديه إلى صراط مستقيم، أبتليه فيصبر وأُعافيه فيشكر وينذر لى فيفى ويَعِدُنى فينجز أستجيب له فى ولده وذريته من بعده، وأشفعه فيهم فأجعلهم

أهل ذلك البيت وولاته وحماته وخُدَّامه وسُدَّانه وخُزَّانه وحُجَّابه حتى يبتدعوا ويغيروا.

فإذا فعلوا ذلك فأنا الله أقدر القادرين على أن أستبدل من أشاء بمن أشاء أجعل إبراهيم إمام أهل ذلك البيت وأهل تلك الشريعة يأتم به من حضر تلك المواطن من جميع الإنس والجنّ يَطَئُون فيها اثاره ويتبعون فيها سُنَّتَهُ ويقتدون فيها بَهدْيه فمن فعل ذلك منهم أوفى نذره واستكمل نسكه، ومن لم يفعل ذلك منهم ضيّع نسكه، وأخطأ بغيته.

فمن سأل عنّي يومئذ فى تلك المواطن أين أنا؟ فأنا مع الشعث الغبر الموفين بنذورهم المستكملين مناسكهم المبتهلين إلى ربّهم الذى يعلم ما يبدون وما يكتمون.

وليس هذا الخلق ولا هذا الأمر الذى قصصت عليك شأنه يا آدم بزائد فى ملكى ولا عظمتى ولا سلطانى ولا شىء ممّا عندى إلا كما زادت قطرة من رشاش وقعت فى سبعة أبحر[1] تمدّها من بعدها سبعة أبحر[1] لا تحصى، بل القطرة أزيَدُ فى البحر من هذا الأمر فى شىء ممّا عندى ولو لم أخلقه لم ينقص شيئًا من ملكى ولا عظمتى ولا ممّا عندى من الغناء والسعة إلا كما نقصت الأرض ذَرَّة وقعت من جميع ترابها وجبالها وحصاها ورمالها وأشجارها، بل الذَّرَّة أنقص فى الأرض من هذا الأمر لو لم أخلقه لشىء ممّا عندى وبعد هذا من هذا مثلا للعزيز الحكيم.

حدثنا مهدى بن أبى المهدى، قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم الصنعانى، قال: حدثنى عبد الصمد بن معقل، عن وهب بن منبّه بنحوه.

* * *

(١) كذا فى الأصل، ب. وفى أ: «سبغة البحر».

ما جاء فى البيت المعمور

حدثنا أبو الوليد، قال: حدثنى جدّى، قال: حدثنى سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، عن وهب بن منبّه. قال: أخبرنى أبو سعيد، عن مقاتل يرفع الحديث إلى النبىّ ﷺ فى حديث حُدّث به قال: سُمّى البيت المعمور لأنه يصلّى فيه كلّ يوم سبعون ألف ملك، ثم ينزلون إذا أمسوا فيطوفون بالكعبة، ثم يسلمون على النبى ﷺ ثم ينصرفون فلا تنالهم النوبة حتى تقوم الساعة.

حدثنى جدّى، عن سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، عن وهب بن منبّه أنه وجد فى التوراة بيتًا فى السماء بحيال الكعبة فوق قُبّتها اسمه الضُّرَاح، وهو البيت المعمور يَرِدُه كلّ يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه ابدًا.

حدثنى جدّى عن سعيد بن سالم قال: أخبرنى ابن جريج، عن صفوان ابن سليم، عن كُرَيْب، مولى ابن عباس، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: البيت الذى فى السماء يقال له الضُّرَاح وهو مثل بناء هذا البيت الحرام ولو سقط لسقط عليه يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك لا يعودون فيه أبدًا.

وحدثنى جدّي، عن سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، قال: أخبرنى محمد بن السائب الكلبى، قال: بلغنى ـ والله أعلم ـ أن بيتًا فى السماء يقال له الضراح بحيال الكعبة يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك من الملائكة ما دخلوه قط قبلها.

حدثنى جدّى قال: حدثنى سفيان بن عيينة، عن ابن أبى حسين، عن أبى الطفيل، قال: سأل ابن الكوّاء عليًا رضى الله عنه ما البيت المعمور؟ قال: هو الضُّراح، وهو حذاء هذا البيت، وهو فى السماء السادسة يدخله كلّ يوم

سبعون ألف ملك لا يعودون فيه أبداً.

حدثنى أبو محمد، قال: حدثنا أبو عبيد الله سعيد بن عبد الرحمن المخزومى، قال: حدثنا سفيان بن عُيَيْنة بنحوه إلا أنه قال: فى السماء السابعة. وقال لا يعودون إليه إلى يوم القيمة.

حدثنا أبو الوليد، قال: حدثنا مهدى بن أبى المهدى، قال: حدثنا عبد الله ابن معاذ الصنعانى، قال: حدثنا معمر، عن وهب بن عبد الله، عن أبى الطفيل قال: شهدت عليًا رضى الله عنه وهو يخطب وهو يقول: سلونى فوالله لا تسألونى عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلا حدثتكم به، وسلونى عن كتاب الله فوالله ما منه آية إلا وأنا أعلم أنها[1] بلَيْل نزلت أم بنهار أم بسَهْل نزلت أم بجبل.

فقام ابن الكَوَّاء وأنا بينه وبين علىّ رضّى الله عنه وهو خلفى قال: أفرأيتَ البيت المعمور ما هو؟ قال: ذاك الضُّراح فوق سبع سموات تحت العرش يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك لا يعودون فيه إلى يوم القيامة.

* * *

ما جاء فى رفع البيت المعمور زمن الغرق وما جاء فيه

حدثنا أبو الوليد، قال: حدثنى جدّى، قال: حدثنا سعيد بن سالم، عن ابن جريج، عن مجاهد، قال: بلغنى أنه لما خلق الله عز وجل السموات والأرض كان أول شيء وضعه فيها البيت الحرام، وهو يومئذ ياقوتة حمراء جَوْفاء، لها بابان: أحدهما شرقىٌّ، والآخر غربىٌّ، فجعله مستقبل البيت المعمور.

(١) كذا فى ب. وفى الأصل: «أنه» وفى أ: «أم».

فلمّا كان زمن الغرق رُفع فى ديباجتين فهو فيهما إلى يوم القيامة، واستودع الله عز وجل الركن أبا قُبَيْس قال: وقال ابن عباس: كان ذهبًا فرُفع زمان الغرق وهو فى السماء.

وقال ابن جريج قال جويبر: كان بمكة البيت المعمور فرفع زمان الغرق فهو فى السماء.

حدثنى جدّى، عن سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، قال: أخبرنى أبو سعيد عن مقاتل يرفع الحديث إلى النبى ﷺ فى حديث حدّث به أن آدم عليه السلام قال: أى ربّ، إنى أعرف شقوتى إنى لا أرى شيئًا من نورك يُعْبَد، فأنزل الله عز وجل عليه البيت المعمور على عرض البيت فى موضعه من ياقوته حمراء، ولكن طوله كما بين السماء والأرض وأمره أن يطوف به، فأذهب الله عنه الغمّ الذى كان يجده قبل ذلك، ثم رفع على عهد نوح عليه السلام.

* * *

ذكر بناء ولد آدم البيت الحرام بعد موت آدم عليه السلام

حدثنا أبو الوليد، قال: حدثنا جدّى، عن سعيد بن سالم، عن عثمان ابن ساج، عن وهب بن منبّه، أنه قال: لمّا رُفعت الخيمة التى عزّى الله بها آدم من حلية الجنّة حين وضعت له بمكة فى موضع البيت ومات آدم عليه السلام فبنى بنو آدم من بعده مكانها بيتًا بالطين والحجارة، فلم يزل معمورا يعمرونه هم ومن بعدهم حتى كان زمن نوح عليه السلام، فنسفه الغرق وغيّر مكانه حتى بُوّىء لإبراهيم عليه السلام.

* * *

ما جاء فى طواف سفينة نوح عليه السلام زمن الغرق بالبيت الحرام

حدثنا أبو الوليد، قال: حدثنا مهدى بن أبى المهدى، قال: حدثنا بشر ابن السرى البصرى، عن داود بن أبى الفرات الكندى، عن علْباء بن أحمر اليَشْكُرى، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كان مع نوح فى السفينة ثمانون رجلاً معهم أهلوهم وأنهم كانوا فى السفينة مائة وخمسين يومًا، وأن الله تعالى وجّه السفينة إلى مكة فدارت بالبيت أربعين يومًا، ثم وجّهها الله تعالى إلى الجودى فاستقرّت عليه.

فبعث نوح عليه السلام الغُراب ليأتيه بخبر الأرض فذهب فوقع على الجيف وأَبْطأ عنه، فبعث الحمامة فَأتَتْه بورق الزيتون ولطخت رجلَيْها بالطين، فعرف نوح أن الماء قد نضب فهبط إلى أسفل الجُودى فابتنى قرية وسمّاها ثمانين.

فأصبحوا ذات يوم وقد تبلبلت ألسنتهم على ثمانين لغة إحداها العربية، قال: فكان لا يَفْقه بعضهم عن بعض وكان نوح عليه السلام يُعَبِّر[1] عنهم.

* * *

أمر الكعبة بين نوح وإبرهيم عليهما السلام

حدثنا أبو الوليد، قال: حدثنى جدّى، عن سعيد بن سالم، عن ابن جريج، عن مجاهد، أنه قال: كان موضع الكعبة قد خفى ودرس من الغرق فيما بين نوح وإبراهيم عليهما السلام، قال: وكان موضعه أكمة حمراء مَدَرة

(١) كذا فى الأصل، ب. وفى أ: «يغير».

لا تعلوها السيول، غير أن الناس يعلمون أن موضع البيت فيما هنالك ولا يثبت موضعه.

وكان يأتيه المظلوم والمتعوّذ من أقطار الأرض ويدعو عنده المكروب، فقلّ من دعا هنالك إلا استجيب له.

وكان الناس يحجّون إلى موضع البيت حتى بَوَّأ الله مكانه لإبراهيم عليه السلام لما أراد من عمارة بيته وإظهار دينه وشرائعه، فلم يزل منذ أهبط الله آدم عليه السلام إلى الأرض معظمًا محرمًا بيته تتناسخه الأمم والملل أمّة بعد امّة وملّة بعد ملّة، قال: وقد كانت الملائكة تحجّه قبل آدم عليه السلام.

* * *

ما ذكر من تخير إبراهيم عليه السلام موضع البيت الحرام من الأرض

حدثنا أبو الوليد، قال حدثنى جدّى، عن سعيد بن سالم، عن عثمان ابن ساج، قال: بلغنى ـ والله أعلم ـ أن إبراهيم خليل الله تعالى عُرِجّ به إلى السماء فنظر إلى الأرض مشارقها ومغاربها فاختار موضع الكعبة. فقالت له الملائكة: يا خليل الله، اخترت حرم الله تعالى فى الأرض، قال: فبناه من حجارة سبعة أجبُل، قال: ويقولون خمسة. وكانت الملائكة تأتى بالحجارة إلى إبراهيم من تلك الجبال.

* * *

باب ما جاء فى إسكان إبراهيم ابنه إسماعيل وأمَّهُ هاجر فى بدء أمره عند البيت الحرام كيف كان

حدثنا أبو الوليد، قال: حدثنى جدّى، قال: حدثنى سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، قال: أخبرنى محمد بن إسحاق، قال: حدثنا ابن أبى نجيح، عن مجاهد، أن الله تعالى لما بوأ لإبراهيم مكان البيت خرج إليه من الشام وخرج معه ابنه إسماعيل وأُمُّه هاجر، وإسماعيل طفل يرضع وحُمِلُوا فيما يحدثنى على البراق.

قال عثمان بن ساج، وحدثنا عن الحسن البصرى أنه كان يقول فى صفة البراق عن النبى ﷺ قال: إنه أتانى جبريل بدابة بين الحمار والبغل لها جناحان فى فخذيْها تحفزانها تضع حافرها فى منتهى طرفها.

قال عثمان، قال: محمد بن إسحاق: ومعه جبريل عليه السلام يَدُلُّه على موضع البيت ومعالم الحرم. قال: فخرج وخرج معه لا يمرّ إبراهيم بقرية من القرى إلا قال: يا جبريل أبهذه أمرت؟ فيقول له جبريل عليه السلام: امضه، حتى قدم مكة وهى آنذاك عضاه من سَلَمٍ وسَمُر وبها ناس يقال لهم. العماليق خارجًا من مكة فيما حولها والبيت يومئذ ربوة حمراء مدرة، فقال إبراهيم لجبريل: أهاهنا أمرت أن أضعهما؟ قال نعم! قال: فعمد بهما إلى موضع الحجْر فأنزلهما فيه وأمر هاجر أمَّ إسماعيل أن تتّخذ فيه عريشًا ثم قال ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ [إبراهيم:٣٧]. ثم انصرف إلى الشام وتركهما عند البيت الحرام.

وحدثنى جدّى، قال: حدثنا مُسْلم بن خالد الزَّنْجى، عن ابن جريج، عن كثير بن كثير بن المطّلب بن أبى وداعة السَّهْمى، عن سعيد بن جبير، قال: حدثنا عبد الله بن عباس أنه حين كان بين أمّ إسماعيل بن إبراهيم وبين

سارة امرأة إبراهيم ما كان، أقبلْ إبراهيم عليه السلام بأمّ إسماعيل وإسماعيل وهو صغير ترضعه، حتى قدم بهما مكة، ومع أم إسماعيل شَنَّة فيها ماء تشرب منها وتدرّ على ابنها وليس معها زاد. يقول سعيد بن جبير: قال ابن عباس فعمد بهما إلى دَوْحة فوق زمزم فى أعلى المسجد ـ يشير لنا بين البئر وبين الصُّفَّة يقول فوضعهما تحتها، ثم توجّه إبراهيم خارجًا على دابته واتبعت أم إسماعيل أثره حتى أوفى إبراهيم بكدا.

يقول ابن عباس: فقالت له أمُّ اسماعيل: إلى من تتركها وابنها؟ قال: إلى الله عز وجل، قالت: رضيتُ بالله.

فرجعتْ أمُّ إسماعيل تحمل ابنها حتى قعدت تحت الدوحة فوضعت ابنها إلى جنبها وعلقت شنّتها تشرب منها وتدرُّ على ابنها حتى فنى ماء شنتها فانقطع درُّها، فجاع ابنها فاشتدّ جوعُه حتى نظرت إليه أمُّه يتشحّط، قال: فحسبت أم إسماعيل أنه يموت فأحزنها.

يقول ابن عباس: قالت أمُّ إسماعيل: لو تغيّبْتُ عنه حتى لا أرى موته: يقول ابن عاس فعمدتْ أم إسماعيل إلى الصفا حين رأتْهُ مشرفًا تستوضح عليه ـ أى ترى أحدًا بالوادى ـ ثم نظرت إلى المروة ثم قالت لو مشيتُ بين هذين الجبلين تعلّلت حتى يموت الصبى ولا أراه.

قال ابن عباس: فمشَتْ بينهما أمُّ إسماعيل ثلاث مرَّات أو أربع ولا تجيز بطن الوادى فى ذلك إلا رملاً.

يقول ابن عباس: ثم رجعت أم إسماعيل إلى ابنها فوجدته يَنْشَغ[1] كما تركته، فأحزنها، فعادت إلى الصفا تتعلّل حتى يموت ولا تراه، فمشت بين الصفا والمروة كما مشت أول مرّة.

---

(١) لدى ابن الأثير فى النهاية: «النشْغ: الشهيق حتى يكاد يبلغ به الغَشْى. ومنه حديث أم إسماعيل «فإذا الصبى ينشغ للموت» وقيل: معناه يمتص بفيه.

يقول ابن عباس حتى كان مَشْيُها بينهما سبع مرّات، قال ابن عباس قال أبو القاسم ﷺ فلذلك طاف الناس بين الصفا والمروة.

قال: فرجعت أمُّ إسماعيل تطالع ابنها فوجدته كما تركته يَنْشَغ فسمعَت صوتًا فَرَاث[١] عليها ولم يكن معها أحد غيرها، فقال: قد أسمع صوتك فأغِثْنى إن كان عندك خير.

قال: فخرج لها جبريل عليه السلام فاتبعته حتى ضرب برجله مكان البئر - يعنى زمزم فظهر ماء فوق الأرض حيث فحص جبريل.

يقول ابن عباس: قال أبو القاسم ﷺ: فحاضَتْه أمُّ إسماعيل بتراب تردّه خَشْيَة أن يفوتها قبل أن تاتى بشنّتها، فاستقت وشربت ودرّت على ابنها.

حدثنى جدّى، قال حدثنا سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، قال: أخبرنى محمد بن إسحاق، قال: بلغنى أن ملكًا أتى هاجر أمَّ إسماعيل حين أنزلها إبراهيم بمكة قبل أن يرفع إبراهيم وإسماعيل القواعد من البيت، فأشار لها إلى البيت وهو ربْوَة حمراء مدرة، فقال لها: هذا أول بيت وُضع للناس فى الأرض وهو بيت الله العتيق، واعلمى أن إبراهيم وإسماعيل يرفعانه للناس.

قال ابن جريج: وبلغنى أن جبريل عليه السلام حين هزم[٢] بعقَبِه[٣] فى موضع زمزم، قال لأم إسماعيل - وأشار ها إلى موضع البيت - هذا أول بيت وضع للناس وهو بيت الله العتيق. وأعلمى أن إبراهيم وإسماعيل يرفعانه للناس ويعمرانه فلا يزال معموراً محرّمًا مكرمًا إلى يوم القيامة.

---

(١) كذا فى الأصل، وهو الصواب: ولدى ابن الأثير فى النهاية: «راث علينا خبر فلان يريث إذا أبطأ» ومعه الحديث «وعد جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ أن يأتيه فراث عليه» ورواية أ «فرأتْ» وفى ب: «آب».

(٢) لدى ابن الأثير فى النهاية (هزم) وفيه «إن زمزم هَزْمَةُ جبريل» أى ضربها برجله فنبع الماء.

(٣) تحرف فى «أ، ب» إلى «بعقبة».

قال ابن جريج فماتت أم إسماعيل قبل أن يرفعه إبراهيم وإسماعيل ودفنت في موضع الحِجر.

حدثني جدّي، عن سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، قال: أخبرني علي بن عبد الله بن الوازع عن أيوب السختياني، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أن الملك الذي أخرج زمزم لهاجر قال لها: وسيأتي أبو هذا الغلام فيبني بيتًا هذا مكانه، وأشار لها إلى موضع البيت ثم انطلق الملك.

* * *

ما ذكر من نزول جُرْهُم مع أمّ إسماعيل في الحرم

حدّثني جدّي، عن مسلم بن خالد الزنجي، عن ابن جُريج، عن كثير بن كثير، عن سعيد بن جُبَيْر عن ابن عبّاس قال: لمّا أخرج الله ماء زَمْزَم لأُمّ إسماعيل فبينا هي على ذلكْ إذ مَر ركب من جُرْهُم قافلين من الشام في الطريق السفلى، فرأى الركب الطير على الماء فقال بعضهم: ما كان بهذا الوادي من ماء ولا أنيس!

يقول ابن عباس: فَأرسلوا جَرِيّين[1] لهم حتى أتيا أُمَّ إسماعيل فعظّماها ثم رجعا إلى ركبهما فأخبراهم بمكانها.

قال: فرجع الركب كلهم حتى حَيَّوها فردت عليهم وقالوا: لمن هذا الماء؟ قالت أم إسماعيل: هو لي، قالوا لها: أتأذنين لنا أن ننزل معك عليه؟ قالت: نعم!

يقول ابن عباس: قال أبو القاسم ﷺ: أَلْفَى[2] ذلك أمّ إسماعيل وقد

(١) لدى ابن الأثير في النهاية (جرا) وفي حديث أم إسماعيل «فَأَرْسَلُوا جَرِيًّا» أي رسولاً.

(٢) في أ، ب: «ألقى» بالقاف، والمثبت رواية الأصل، وهي الصواب، وألفاه: وجده وصادفه.

أحبَّت الأنس فنزلوا وبعثوا إلى أهاليهم فقدموا إليهم وسكنوا تحت الدَّوْح واعترشوا عليها العروش[١] فكانت معهم هى وابنها، حتى ترعرع الغلام ونفسوا[٢] فيه وأعجبهم.

وتُوُفّيت أمُّ إسماعيل وطعامهم الصيد يخرجون من الحرم ويخرج معهم إسماعيل فيصيد، فلما بلغ أنكحوه جارية منهم قال وهى فى كتاب المبتدأ عن عبّاد بن سلمة، عن محمد بن إسحاق: اسم مرأة إسماعيل: عمَارة بنت سعيد بن أسامة.

يقول ابن عباس: فأقبل إبراهيم من الشام يقول حتى أطالع تركتى، فأقبل إبراهيم عليه السلام حتى قدم مكة فوجد امرأة إسماعيل فسألها عنه فقالت: هو غائب ولم تلن له فى القول، فقال لها إبراهيم قولى لإسماعيل قد جاء بعدك شيخٌ كذا وكذا وهو يقرأ عليك السلام ويقول لك غَيِّر عتبة بَيْتك فإنى لم أرضها.

يقول ابن عباس: وكان إسماعيل عليه السلام كلما جاء سأل أهله هل جاءكم أحد بعدى؟ فلّما رجع سأل أهله فقالت امرأتُهُ: قد جاء بعدك شيخ فَنَعتته له، فقال لها إسماعيل قلت له شيئًا؟ قالت: لا، قال: فهل قال لك من شىء؟ قالت: نعم! أقرى عليه السلام، وقولى له: غير عتبة بيتك فإنى لم أرضها لك، قال إسماعيل: أنت عتبة بيى فارجعى إلى أهلك فردَّها إسماعيل إلى أهلها فأنكحوه امرأة أخرى.

يقول ابن عباس: ثم لبث إبراهيم ما شاء الله أن يلبث، ثم رجع إبراهيم فوجد إسماعيل غائبًا ووجد امرأته الآخرة[٣] فوقف فسلّم فردَّت عليه السلام

---

(١) أ، ب: «العرش» والمثبت رواية الأصل.

(٢) لدى ابن الأثير فى النهاية (نفس): وفى حديث إسماعيل عليه السلام «أنه تعلم العربية وأنفَسَهُم» أى أعجبهم وصار عندهم نفيسًا.

(٣) كذا فى الأصل، أ، وفى ب: «الأخرى».

واستنزلَتْه وعرضت عليه الطعام والشراب، فقال: ما طعامكم وشرابكم؟ قالت: اللحم والماء، قال: هل من حبٍّ أو غيره من الطعام؟ قالت: لا قال: بارك الله لكم في اللحم والماء.

قال ابن عباس: يقول رسول الله ﷺ لو وجد عندها يومئذ حبًّا لدَعا لهم بالبركة فيه، فكانت أرضًا ذات زرع.

ثم ولّى إبراهيم عليه السلام وقال قولى له: قد جاء بعدك شيخ فقال: إنى وجدت عتبة بيتك صالحة فاقررْها فرجع إسماعيل عليه السلام إلى أهله فقال: هل جاءكم بعدى أحد؟ قالت: نعم: قد جاء بعدك شيخ كذا وكذا، قال: فهل عهد إليكم من شيء؟ قالت: نعم: يقول: إنى وجدت عتبة بيتك صالحة فاقررْها.

* * *

ما ذكر من بناء إبراهيم عليه السلام الكعبة

حدثنا أبو الوليد، قال: حدثنى جدّى، قال: حدثنا مسلم بن خالد الزنجى، عن ابن جريج، عن كثير بن كثير، عن سعيد بن جُبَيْر، قال: حدثنا عبد الله بن عباس، قال: لبث إبراهيم ما شاء الله أن يلبث، ثم جاء الثالثة فوجد إسماعيل عليه السلام قاعدًا تحت الدوْحة التى بناحية البئر يَبْرى نبلاً أو نبالاً له، فسلّم عليه ونزل إليه فقعد معه، فقال إبراهيم: يا إسماعيل، إن الله تعالى قد أمرنى بأمْر، فقال له إسماعيل: فَأطع ربّك فيما أمرك. فقال إبراهيم: يا إسماعيل، أمرنى ربّى أن أبنى له بيتًا. قال له إسماعيل: وأين؟

يقول ابن عباس: فأشار له إلى أكمة مرتفعة على ما حولها عليها رضراض من حصباء يأتيها السَّيْلُ من نواحيها ولا يركبها.

يقول ابن عباس: فقاما يحفران عن القواعد ويحفرانها ويقولان: رَبّنا تقبَّل

منًا إنَّكَ سَمِيعُ الدُّعاء ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة:١٢٧].

ويحمل له إسماعيل الحجارة على رقبته ويبنى الشيخ إبراهيم فلمّا ارتفع البناء وشَقَّ على الشيخ إبراهيم تناوُلُهُ قرَّب له إسماعيل هذا الحجر - يعنى المقام - فكان يقوم عليه ويبنى ويحوّله فى نواحى البيت حتى انتهى إلى وجه البيت. يقول ابن عباس: فلذلك سُمّى مقام إبراهيم لقيامه عليه.

حدثنى مهدى بن أبى المهدى، قال: حدثنا عبد الله بن معاذ الصنعانى، عن معمر، عن أيوب السختيانى وكثير بن كثير - يزيد أحدهما على صاحبه - عن سعيد بن جُبَيْر فى حديث حدّث به طويل عن ابن عباس قال: فجاء إبراهيم وإسماعيل يبرى نبلاً له أو نباله تحت الدوحة قريبًا من زَمْزَم، فلمّا رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الوالد بولده والولد بوالده.

قال معمر: وسمعت رجلاً يقول بكيا حتى أجابْتهما الطير، قال سعيد فقال: يا إسماعيل إن الله عزّ وجلّ قد امرنى بَأمْر، قال: فَأطع ربَّك فيما أمرك، قال: وتعيننى؟ قال: وأعينك، قال: فإن الله تعالى قد أمرنى أن ابنى له بيتًا هاهنا، فعند ذلك رفع إبراهيم القواعد من البيت.

حدثنى جدّى، قال: حدثنا سعيد بن سالم، قال: أخبرنى ابن جريج قال: قال مجاهد: أقبل إبراهيم والسكينة والصُرَدُ والملك من الشام. فقالت السكينة: يا إبراهيم ربّض علىَّ البيت، فلذلك لا يطوف بالبيت ملك من هذه الملوك ولا أعرابى نافر الا رأيت عليه السكينة قال: وقال ابن جريج أقبلت معه السكينة لها رأس كرأس الهِرَّة وجناحان.

وحدثنى جدّى عن سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، عن ابن جريج، قال: قال على بن أبى طالب: أقبل إبراهيم عليه السلام والملك والسكينة والصرد دليلاً حتى تبوأ البيت الحرام كما تبوأت العنكبوت بيتها، فحفر فأبرز عن ربض أمثال خُلُف الإبل لا يحرك الصخرة إلا ثلاثون رجلاً. قال ثم قال لإبراهيم: قم فابن لى بيتًا قال: يا رب وأين؟ قال: سنُريك،

قال: فبعث الله تعالى سحابة فيها رأس يكلّم[١] إبراهيم، فقال: يا إبراهيم، إن ربك يأمرك أن تخط قدر هذه السحابة، فجعل ينظر إليها ويأخذ قدرها فقال له الرأس: أقد فعلت؟ قال نعم! فارتفعت السحابة فَأبْرز عن أس ثابت من الأرض فبناه إبراهيم عليه السلام.

قال وحدثنى جدّى، عن سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، قال: أخبرنى محمد بن أبان، عن ابن إسحاق السبيعى، عن حارثة بن مضرب، عن على بن أبى طالب فى حديث حدث به عن زمزم قال: ثم نزلت السكينة كأنها غمامة أو ضبابة فى وسطها كهيئة الرأس يتكلم، يقول يا إبراهيم خد قدرى من الأرض لا تزد ولا تنقص فخط فذلك بكة وما حواليه مكة.

حدثنى جدى، عن سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج عن وهب بن منبه، أنه أخبر[٢] قال: لما ابتعث الله تعالى إبراهيم خليله ليبنى البيت، طلب الأساس الأول الذى وضع بنو آدم فى موضع الخيمة التى عزى الله بها آدم عليه السلام من خيام الجنة حين وضعت له بمكة فى موضع البيت الحرام، فلم يزل إبراهيم يحفر حتى وصل إلى القواعد التى أسس بنو آدم فى زمانهم فى موضع الخيمة، فلمّا وصل إليها أظلّ الله له مكان البيت بغمامة فكانت حفاف البيت الأول، ثم لم تزل راكدةً على حفافه تظلُّ إبراهيم وتهديه مكان القواعد حتى رفع القواعد قامة، ثم انكشطت الغمامة فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ [الحج:٢٦] أى الغمامة التى ركدت على الحفاف ليهتدى بها مكان القواعد ـ فلم يزل والحمد لله منذ يوم رفعه الله معموراً.

حدثنى مهدى بن أبى المهدى، قال: حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله مولى بنى هاشم، قال: أخبرنى حماد، عن سماك بن حرب، عن خالد بن عرعرة

(١) كذا فى الأصل، وفى أ: «يتكلم» وفى ب: «تكلم».

(٢) كذا فى الأصل، أ. وفى ب: «أخبره».

عن على بن أبى طالب فى قوله عز وجل: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٦، ٩٧] قال إنه ليس بأوَّل بيت، كان نوح فى البيوت قبل إبراهيم، وكان إبراهيم فى البيوت، ولكنه أول بيت وضع للناس فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنًا هذه الآيات قال: إن إبراهيم أمر ببناء البيت فضاق به ذرعًا فلم يدر كيف يبنى، فأرسل الله تعالى إليه السكينة وهى ريح خَجُوج[1] لها رأس حتى تطوقت مثل الحجفة فبنى عليها، وكان يبنى كلّ يوم سافًا ومكّة يومئذ شديدة الحرّ، فلمّا بلغ موضع الحجر قال لإسماعيل اذهب فالتمس حجراً أضعه هاهنا ليهدى الناس به.

فذهب إسماعيل يطوف فى الجبال وجاء جبريل بالحجر الأسود وجاء إسماعيل فقال من أين لك هذا الحجر؟ قال: من عند من لم يتّكل على بنائى وبنائك.

ثم انهدم فبَنَتْه العمالقة، ثم انهدم فبنته قبيلة من جُرْهُم، ثم انهدم فبنته قريش: فلمّا أرادوا أن يضعوا الحجر تنازعوا فيه فقالوا: أول رجل يدخل علينا من هذا الباب فهو يضعه، فجاء رسول الله ﷺ فأمر بثوب فبسط ثم وضعه فيه، ثم قال ليأخذ من كلّ قبيلة رجل من ناحية الثوب، ثم رفعوه ثم أخذه رسول الله ﷺ فوَضَعَهُ.

حدثنى جدّى، قال حدثنى سفيان بن عُيَيْنة، عن بشر بن عاصم، عن سعيد بن المسيّب، قال: أخبرنى على بن أبى طالب كرم الله وجهه، قال: أقبل إبراهيم من إرمينية معه السكينة تدلّه حتى تبوأ البيت كما تبوأت العنكبوت بيتها، فرفعوا عن أحجار الحجر يُطيقه أو لا يطيقه ثلاثون رجلاً.

(١) لدى ابن الأثير فى النهاية (خجج) فى حديث على رضى الله عنه وذكر بناء الكعبة «فبعث الله السكينة، وهى ريح خَجُوج، فتطوقت بالبيت» يقال ريح خجوج أى شديدة المرور فى غير استواء.

حدثنى مهدى بن أبى المهدى، قال: حدثنا عبد الله بن معاذ الصنعانى، عن معمر، عن قتادة فى قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ [البقرة:١٢٧] قال التى كانت قواعد البيت قبل ذلك، قال الخُزاعى وحدثناه أبو عبيد الله بإسناد عن سفيان مثله.

حدثنا مهدى بن أبى المهدى، قال حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله مولى بنى هاشم قال: حدثنا أبو عُوانة، عن ابن أبى بشر، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس قال: أما والله ما بنياه بقصة ولا مدر ولا كان معهما من الأعوان والأموال ما يسقفانه ولكنهما أعلماه فطافا به.

حدثنى جدى، قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن مجاهد، عن الشعبى، قال: لما أمر إبراهيم أن يبنى البيت وانتهى إلى موضع الحجر، قال لإسماعيل ائتنى بحجر ليكون علمًا للناس يبتدئون منه الطواف، فأتاه بحجر فلم يَرضه فأتى إبراهيم بهذا الحجر ثم قال: أتانى به من لم يكلنى على حجرك.

وحدثنى جدى، قال: حدثنا داود بن عبد الرحمن، عن ابن جُريج، عن بشر بن عاصم، قال: أقبل إبراهيم من إرمينية معه السكينة والملك والصُّرَد دليلاً يتبوأ البيت كما تبوأت العنكبوت بيتها، فرفع صخرة فما رفعها عنه إلا ثلاثون رجلاً فقالت السكينة ابن على فلذلك لا يدخله أعرابى نافر ولا جبار إلا رأيت عليه السكينة.

وحدثنى مهدى بن أبى المهدى، قال: حدثنا بشر بن السرى البصرى، عن حمَّاد بن زيد، عن أيوب، عن أبى قلابة، قال: قال الله تعالى: يا آدم إنى مهبط معك بيتى يطاف حوله كما يطاف حول عرشى، ويُصَلَّى عنده كما يصلى عند عرشى، فلم يزل كذلك حتى كان زمن الطوفان فرُفع حتى بَوأ لإبراهيم مكانه فبناه من خمسة أجبل من حرا وثبير ولُبْنان والطور والجبل الأحمر.

وحدثنى مهدى بن أبى المهدى، قال: حدثنا عمر بن سهل، عن يزيد بن

نافع، عن سعيد، عن قتادة فى قوله عز وجل. ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ﴾ [البقرة:١٢٧] قال: ذكر لنا أنه بناه من خمسة أجبل من طور سينا وطور زيتا ولبنان والجُودى وحرا وذكر لنا أن قواعده من حِرَاء.

حدثنى مهدى بن أبى المهدى، قال: حدثنا مروان بن معاوية الفزارى، قال: حدثنا العلاء، عن عمر بن مرة عن يوسف بن ماهك، قال: قال عبد الله بن عمرو: إن جبريل عليه السلام هو الذى نزل عليه بالحجر من الجنة، وأنه وضعه حيث رأيتم، وإنكم لن تزالوا بخير ما دام بين ظهرانيكم فتمسكوا به ما استطعتم، فإنه يوشكُ أن يجىء فيرجع به من حيث جاء به.

حدثنى جدّى، عن سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج قال: أخبرنى محمد بن إسحاق قال لّما أُمر إبراهيم خليل الله تعالى أن يبنى البيت الحرام أقبل من إرمينية على البُراق معه السكينة لها وجه يتكلّم وهى بعد ريح هَفَّافة ومعه ملكٌ يدلُّه على موضع البيت حتى انتهى إلى مكة وبها إسماعيل وهو يومئذ ابن عشرين سنة، وقد توفيت أمه قبل ذلك ودفنت فى موضع الحجر، فقال: يا إسماعيل إن الله تعالى قد أمرنى أن أبنى له بيتًا. فقال له إسماعيل: وأين موضعه؟ قال: فأشار له الملك إلى موضع البيت قال: فقاما يحفران عن القواعد ليس معهما غيرهما، فبلغ إبراهيم الأساس أساس آدم الأول فحفر عن ربض فى البيت فوجد حجارة عظامًا ما يطيق الحجر منها ثلاثون رجلاً ثم بنى على أساس آدم الأول وتطوّقت السكينة كأنها حيّة على الأساس الأول وقالت يا إبراهيم ابن على فبنى عليها فلذلك لا يطوف بالبيت أعرابى نافر ولا جبّار إلا رأيت عليه السكينة فبنى البيت وجعل طوله فى السماء تسعة أذرع وعرضه فى الأرض اثنين وثلاثين ذراعًا من الركن الأسود إلى الركن الشامى الذى عند الحجْر من وجهه وجعل عرض ما بين الركن الشامى إلى الركن الغربى الذى فيه الحجر اثنين وعشرين ذراعًا، وجعل طول ظهرها من الركن الغربى إلى الركن اليمانى أحد وثلاثين ذراعًا،

وجعل عرضِ شقها اليمانى من الركن الأسود إلى الركن اليمانى عشرين ذراعًا فلذلك سُمّيت الكعبة لأنها على خلقة الكعب.

قال: وكذلك بنيان أساس آدم عليه السلام، وجعل بابها بالأرض غير مبوَّب حتى كان تُبَّع أسعد الحميرى هو الذى جعل لها بابًا وغلقا فارسيًا، وكساها كسوة تامَّة ونحر عندها.

قال: وجعل إبراهيم عليه السلام الحجر إلى جنب البيت عريشًا من أراك تقتحمه العنز فكان زربًا لغنم إسماعيل.

قال: وحفر إبراهيم عليه السلام جبًّا فى بطن البيت على يمين من دخله يكون خزانة للبيت يلقى فيه ما يُهْدَى للكعبة، وهو الجبُّ الذى نصب عليه عمرو بن لحى هُبَلَ الصنم الذى كانت قريش تعبُدُه وتستقسم عنده بالأزلام حين جاء به من هيت من أرض الجزيرة.

قال: وكان إبراهيم يبنى وينقل له إسماعيل الحجارة على رقبته، فلمّا ارتفع البنيان قرّب له المقام فكان يقوم عليه ويبنى ويحوّله إسماعيل فى نواحى البيت حتى انتهى إلى موضع الركن الأسود.

قال إبراهيم لإسماعيل: يا إسماعيل، أَبْغنى حجراً أَضَعَهُ هاهنا يكون للناس علمًا يبتدئون منه الطواف.

فذهب إسماعيل يطلب له حجرًا ورجع وقد جاءه جبريل بالحجر الأسود، وكان الله عز وجل استودع الركن أبا قُبَيْس حين غرق الله الأرض زمن نوح، وقال إذا رأيت خليلى يبنى بيتى فأخرجه له.

قال: فجاءه إسماعيل فقال له: يا أبه، من أين لك هذا؟ قال: جاءنى به من لم يكلنى إلى حجرك، جاء به جبريل، فلمّا وضع جبريل الحجر فى مكانه وبنى عليه إبراهيم وهو حينئذ يتلألأ تلألؤًا من شدّة بياضه، فأضاء نوره شرقًا وغربًا ويمنًا وشامًا، قال: فكان نوره يضىء إلى منتهى أنصاب الحرم

من كلّ ناحية من نواحى الحرم.

قال: وإنما شدّة سواده لأنه أصابه الحريق مرة بعد مرة فى الجاهلية والإسلام.

فأما حريقه فى الجاهلية فإنه ذهبت امرأة فى زمن قريش تجمر الكعبة فطارت شرارة فى أستار الكعبة فاحترقت الكعبة واحترق الركن الأسود واسود وتوهنت الكعبة، فكان هو الذى هاج قريشًا على هدمها وبنائها وأما حريقه فى الإسلام ففى عصر ابن الزبير أيام حاصره الحُصَيْن بن نمير الكندى احترقت الكعبة واحترق الركن فتفلق بثلاث خلق حتى شعبه ابن الزبير بالفضة فسواده لذلك.

قال: ولولا ما مس الركن من أنجاس الجاهلية وأرجاسها ما مسه ذو عاهة إلا شفى.

قال سعيد بن سالم، قال ابن جريج: وكان ابن الزبير بنى الكعبة من الذرع على ما بناها إبراهيم عليه السلام قال: وهى مكعبة على خلقة الكعب فلذلك سميت الكعبة.

قال: ولم يكن إبراهيم سقف الكعبة ولا بناها بمدر وإنما رضمها رضمًا[1].

حدثنى جدّى، قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، قال السكينة لها رأس كرأس الهرة وجناحان.

حدثنى مهدى ابن أبى المهدى، قال: حدثنا بشر بن السرى، قال: حدثنا قيس بن الربيع، عن سلمة بن كُهَيْل، عن أبى الأحوص، عن على بن أبى طالب، قال السكينة لها رأس كرأس الإنسان ثم هى بعد ريح هفافة.

حدثنا مهدى بن أبى المهدى، قال: حدثنا الفزارى، عن جُويبر عن الضحاك قال: السكينة: الرّحمة.

(١) لدى ابن الأثير فى النهاية (رضم) الرضام: دون الهضاب، وقيل صخور بعضها على بعض.

ذكر حج إبراهيم عليه السلام وأذانه بالحج وحج الأنبياء بعده وطوافه وطواف الأنبياء بعده

حدثنا أبو الوليد، قال: حدثنى جدّى، عن سعيد بن سالم، عن عثمان ابن ساج، قال: أخبرنى محمد بن إسحاق قال: لمّا فرغ إبراهيم خليل الرحمن من بناء البيت الحرام جاءه جبريل فقال: طُفْ به سبعًا، فطاف به سبعا هو وإسماعيل يستلمان الأركان كلّها فى كلّ طواف فلمّا أكملا سبعًا هو وإسماعيل صلّيا خلف المقام ركعتَيْن قال: فقام معه جبريل فأراه المناسك كلّها الصفَا والمَرْوَة ومنى ومُزْدَلِفة وعَرَفة.

قال: فلمّا دخل منى وهبط من العقبة تمثل له إبليسُ عند جَمْرة العقبة فقال له جبريل: ارْمِهِ، فَرَماه إبراهيم بسبع حصيات فغاب عنه، ثم برز له عند الجمرة الوسطى فقال له جبريل: ارْمه فرماه بسبع حصيات فغاب عنِه ثم برز له عند الجمرة السفلى فقال له جبريل: ارمه فرماه بسبع حصيات مثل حصى الخذف فغاب عنه إبليس.

ثم مضى إبراهيم فى حجّه وجبريل يوقفه على المواقف ويُعلمه المناسك حتى انتهى إلى عرفة، فلما انتهى إليها قال له جبريل: أعرفت مناسكك؟ قال إبراهيم: نعم! قال: فسمت عرفات بذلك لقوله: أعرفت مناسكك.

قال: ثم أمر إبراهيم أن يُؤَذن فى الناس بالحجّ قال فقال ابراهيم: يا ربّ ما يبلغ صوتى؟ قال الله سبحانه: أذّنْ وعلىّ البلاغ، قال: فَعلاَ على المقام فأشرف به حتى صار أرفع الجبال وأطولَها، فجُمعت له الأرض يومئذ سهلها وجبلها وبَرُّها وبحرها وإنسُها وجنُّها حتى أسمعهم جميعًا.

قال: فأدخل إصبعيه فى أذنَيْه وأقبل بِوَجْهِهِ[1] يمنًا وشامًا وشرقًا وغربًا وبدأ

(١) كذا فى الأصل، ب. وفى أ: «يوجّهه».

بشق اليمن فقال: أيها الناس، كُتِبَ عليكم الحجُّ إلى البيت العتيق فأجيبوا ربَّكم فأجابوه من تحت التخوم السبعة، ومن بين المشرق والمغرب إلى منقطع التراب من أقطار الأرض كلّها لَبَّيكَ اللهم لبيك، قال: وكانت الحجارة على ما هى عليه اليوم، إلا أن الله عز وجل أراد أن يجعل المقام آية فكان أثرُ قدمَيْه فى المقام إلى اليوم، قال أفلا تَرَاهُم اليوم يقولون: لبيك اللهم لبيك؟ قال: فكلّ من حج إلى اليوم فهو ممن أجاب إبراهيم، وإنما حجهم على قدر إجابتهم يومئذ.

فمن حج حجتين فقد كان أجاب مرتين، أو ثلاثًا فثلاثًا على هذا، قال: وأثر قدمى إبراهيم فى المقام آية، وذلك قوله تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

وقال ابن إسحاق: وبلغنى أن آدم عليه السلام كان استلم الأركان كلها قبل إبراهيم، وحجه إسحاق وسارة من الشام، قال: وكان إبراهيم عليه السلام يحجه كل سنة على البُراق، قال: وحجت بعد ذلك الأنبياء والأمم.

وحدثنى جدى، قال حدثنا ابن عيينة، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، قال: حج إبراهيم وإسماعيل ماشيين.

قال أبو محمد عبيد الله المخزومى، حدثنا ابن عيينة بإسناده مثله.

حدثنا الأزرقى، قال وحدثنى جدى، قال: حدثنا يحيى بن سليم، عن ابن خيثم، قال سمعت عبد الرحمن بن سابط يقول: سمعت عبد الله بن ضمرة السلولى، يقول ما بين الركن إلى المقام إلى زمزم قبر تسعة وتسعين نبيًا جاءوا حُجاجًا فقبروا هنالك.

حدثنى مهدى بن أبى المهدى، قال: حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله مولى بنى هاشم، عن حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب، عن محمد بن سابط، عن النبى ﷺ قال كان النبى من الأنبياء إذا هلكت أمته لحق بمكة

فيتعبد فيها النبى ومن معه حتى يموت، فمات بها نوح وهود وصالح وشعيب وقبورهم بين زمزم والحجر.

وحدثنى جدى، قال: حدثنا سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، عن خصيف عن مجاهد أنه قال حج موسى النبى على جمل أحمر فمر بالروحاء عليه عباءتان قطوانيتان متزر بإحداهما مرتدى بالأخرى فطاف بالبيت ثم طاف بين الصفا والمروة فبينا هو بين الصفا والمروة إذ سمع صوتًا من السماء وهو يقول: لبيك عبدى أنا معك، فخر موسى ساجداً.

حدثنى جدّى، قال: حدثنا سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، عن خصيف، عن مجاهد، أنه قال: حج خمسة وسبعون نبيًا كلهم قد طاف بالبيت وصلى فى مسجد منى، فإن استطعت أن لا تفوتك الصلاة فى مسجد منى فافعل.

حدثنى جدّى، قال حدثنا مروان بن معاوية، عن الأشعث بن سوار، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: صلّى فى مسجد الخيف سبعون نبيًا كلُّهم مخطَّمون بالليف. قال مروان بن معاوية: يعنى رواحلهم.

حدثنى جدّى، قال حدثنا سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، قال: أخبرنا خصيف بن عبد الرحمن، عن مجاهد، أنه حدّثه قال: لما قال إبراهيم ربنا أرنا مناسكنا أُمر أن يرفع القواعد من البيت ثم أرى الصفا والمروة وقيل هذا من شعائر الله.

قال: ثم خرج به جبريل فلما مر بجمرة العقبة إذا بإبليس عليها، فقال جبريل: كبر وارمه، ثم ارتفع إبليس إلى الجمرة الوسطى، فقال له جبريل: كبر وارمه، ثم ارتفع إبليس إلى الجمرة القصوى، فقال له جبريل: كبر وارمه ثم انطلق إلى المشعر الحرام ثم أتى به عرفة، فقال له جبريل: هل عرفت ما أريتك؟ ثلاث مرات قال: نعم! قال: فأذن فى الناس بالحج، قال: كيف أقول؟ قال: قل يأيها الناس أجيبوا ربكم ثلاث مرات، قال: فقالوا لبيك

اللهم لبيك، قال: فمن أجاب إبراهيم يومئذ فهو حاج.

قال خصيف: قال مجاهد حين حدثنى بهذا الحديث: أهل القدر لا يصدقون بهذا الحديث.

حدثنى جدى، قال عثمان: وأخبرنى موسى بن عبيدة، قال لما أُمر إبراهيم بالأذان فى الناس بالحج استدار بالأرض فدعا فى كل وجه: يأيها الناس أجيبوا ربكم وحجوا، قال: فلبى الناس من كل مشرق ومغرب وتطأطأت الجبال حتى بعُد صوته.

قال عثمان: وأخبرنى ابن جريج، قال: قال ابن عباس رضوان الله عليه يأتوك رجالا: مشاة، وعلى كلّ ضامر يأتين من كل فج عميق: بعيد.

قال غيره يأتوك رجالاً مشاة على أرجلهم وعلى كل ضامر: لا يدخل الحرم بعير إلا وهو ضامر يأتين من كل فج عميق بعيد.

قال عطاء: وأرنا مناسكنا: أبرزها لنا وأعلمناها.

وقال مجاهد: أرنا مناسكنا: مذابحنا.

قال: وأخبرنى عثمان بن ساج، قال: أخبرنى محمد بن إسحاق، قال: حدثنى بعض أهل العلم أن عبد الله بن الزبير قال لعُبَيْد بن عمير الليثى: كيف بلغك أن إبراهيم دعا إلى الحج؟ قال: بلغنى أنه لما رفع إبراهيم القواعد وإسماعيل وانتهى إلى ما أراد الله سبحانه من ذلك وحضر الحج، استقبل اليمن فدعا إلى الله عز وجل وإلى حج بيته فأجيب أن لبيك لبيك.

ثم استقبل المشرق فدعا إلى الله وإلى حج بيته فأجيب أن لبيك لبيك وإلى المغرب بمثل ذلك، وإلى الشام بمثل ذلك.

ثم حج إسماعيل ومن معه من المسلمين من جرهم وهم سكان الحرم يومئذ مع إسماعيل وهم أصهاره، وصلى بهم الظهر والعصر والمغرب والعشاء بمنى، ثم بات بهم حتى أصبح وصلّى بهم الغداة، ثم غدا بهم إلى

نمرة فقام بهم هنالك حتى إذا مالت الشمس جمع بين الظهر والعصر بعرفة في مسجد إبراهيم، ثم راح بهم إلى الموقف من عرفة فوقف بهم وهو الموقف من عرفة الذى يقف عليه الإمام يُريه ويعلمه.

فلمّا غربت الشمس دفع به وبمن معه حتى أتى المزدلفة فجمع بين الصلاتين المغرب والعشاء الآخرة، ثم بات حتى إذا طلع الفجر صلى بهم صلاة الغداة، ثم وقف به على قزح من المزدلفة وبمن معه وهو الموقف الذى يقف به الإمام، حتى إذا أسفر غير مشرق دفع به وبمن معه يريه ويعلمه كيف تَرمى الجمار، حتى فرغ له من الحج كله وأذن به فى الناس.

ثم انصرف إبراهيم راجعًا إلى الشام فتوفى بها ﷺ وعلى جميع أنبياء الله والمرسلين.

قال عثمان: أخبرنى ابن إسحاق قال: أمر الله عز وجل إبراهيم عليه السلام بالحج وإقامته للناس وأراه مناسك البيت وشرع له فرائضه. وكان إبراهيم يومئذ حين أمر بذلك ببيت المقدس من إِيلِياء.

قال عثمان: وأخبرنى زهير بن محمد، قال: لما فرغ إبراهيم من البيت الحرام قال: أى ربِّ، إنّى قد فعلت فأرنا مناسكنا. فبعث الله تعالى إليه جبريل فحج به حتى إذا جاء يوم النحر عرض له إبليس، فقال: احصب فحصب بسبع حصبات، ثم الغد ثم اليوم الثالث فملأ ما بين الجبلين.

ثم علا على ثبير فقال: يا عباد الله، أجيبوا ربكم، فسمع دعوته من بين الأبحر ممن فى قلبه مثقال ذرة من إيمان، فقالوا: لبيك اللهم لبيك قال: ولم يزل على وجه الأرض سبعة من المسلمين فصاعداً لولا ذاك لأهلكت الأرض ومن عليها.

قال عثمان: وأخبرنى زهير بن محمد، أن أول من أجاب إبراهيم حين أذن بالحج أهل اليمن.

وأخبرني جدي، عن سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، قال: أخبرني عثمان بن الأسود، عن عطاء بن أبي رباح أن موسى بن عمران طاف بين الصفا والمروة وعليه عباءة قطوانية وهو يقول: لبيك اللهم لبيك، فأجابه ربه عز وجل لبيك يا موسى وهأنا معك.

أخبرني جدي، عن سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، قال: حدثني غالب بن عبيد الله، قال: سمعت مجاهدًا يذكر عن ابن عباس قال: مر بصفاح الروحاء ستون نبيًا إبلهم مخطمة بالليف.

قال عثمان: وأخبرني غالب بن عبيد الله قال: سمعت مجاهداً يذكر عن ابن عباس، قال: أقبل موسى يلبّي تجاويه جبال الشام على جمل أحمر عليه عباءتان قَطَوانيّتان[1].

قال عثمان: وأخبرني ابن إسحاق، قال: حدثني من لا أتهم، عن عروة ابن الزبير أنه قال: بلغني أن البيت وضع لآدم يطوف به ويعبد الله عنده وأن نوحًا قد حجّه وجاءه وعظمه قبل الغرق، فلما أصاب الأرض الغرق حين أهلك الله قوم نوح أصاب البيت ما أصاب الأرض من الغرق، فكانت ربوة حمراء معروف مكانه، فبعث الله هوداً إلى عاد فتشاغل بأمر قومه حتى هلك ولم يحجه، ثم بعث الله صالحًا إلى ثمود فتشاغل حتى هلك ولم يحجّه، ثم بوأه الله لإبراهيم فحجه وعلم مناسكه ودعا إلى زيارته، ثم لم يبعث الله نبيًا بعد إبراهيم إلا حجه.

قال عثمان: وأخبرني ابن إسحاق، قال: حدثني من لا أتهم، عن سعيد ابن المسيب، عن رجل كان من أهل العلم أنه كان يقول: كأني أنظر إلى موسى بن عمران مُتهبِّطًا[2] من هَرْشى [بين رابغ والأبواء][3] عليه عباءة

---

(١) لدى ابن الأثير في النهاية (قطا) فيه: «كأني أنظر إلى موسى بن عِمْرانَ في هذا الوادي مُحْرِمًا بين قَطَوا نِيَّتين» القَطَوانية: عباءة بيضاء قصيرة الخَمْل.

(٢) كذا في الأصل وفي سائر الأصول: «منهبطًا» وتَهَبَّط: انحدر في بطء.

(٣) ما بين حاصرتين من الأصل، وساقط من سائر الأصول: ولدى ابن الأثير في النهاية (هرش)=

قطوانية يلبى بحجه.

قال عثمان: أخبرنى محمد بن إسحاق، قال: حدثنى من لا أتهم عن عبد الله بن عباس، أنه كان يقول: لقد سلك فج الروحاء سبعون نبيًا حجاجا عليهم لباس الصوف مخطمى إبلهم بحبال الليف، ولقد صلى فى مسجد الخيف سبعون نبيًا.

حدثنى جدى قال: قال عثمان بن ساج: أخبرنى محمد بن إسحاق، قال: حدثنى طلحة بن عبيد الله بن كريز الخزاعى، أن موسى عليه السلام حين حج طاف بالبيت فلما خرج إلى الصفا لقيه جبريل عليه السلام فقال: يا صفى الله، إنه الشد، إذا هبطت بطن الوادى، فاحتزم موسى نبى الله على وسطه بثوبه، فلما انحدر عن الصفا وبلغ بطن الوادى سعى وهو يقول: لبيك اللهم لبيك. قال يقول الله تعالى: لبيك يا موسى هأنذا معك.

قال عثمان وأخبرنى صادق أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال: لقد مَر بفج الروحاء أو قال قد مر بهذا الفج سبعون نبيًا على نوق حمر خطمها الليف، ولبوسهم العباء، وتلبيتهم شتى. منهم يونس بن متى فكان يونس يقول: لبيك فراج الكرب لبيك، وكان موسى يقول لبيك أنا عبدك لبيك، قال: وتلبية عيسى لبيك أنا عبدك ابن أمتك بنت عبديك لبيك.

قال عثمان: وأخبرنى مقاتل، قال: فى المسجد الحرام بين زمزم والركن قبر سبعين نبيًا، منهم: هود، وصالح، وإسماعيل وقبر آدم، وإبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف فى بيت المقدس.

حدثنى جدّى، عن سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، عن وهب بن منبّه قال: خطب صالح الذين آمنوا معه فقال لهم: إن هذه دار قد سخط الله عليها وعلى أهلها فاظعنوا عنها فإنها ليست لكم بدار، قالوا: رأينا لرأيك

= ومنه ذكر «ثنيَّة هرشَى» هى ثنية بين مكة والمدينة وقيل: هرشى: جبل قرب الجُحفة ولدى ياقوت: «هرشى: ثنية فى طريق مكة قريبة من الجُحفة تُرى البحر».

تَبع فمُرنا نفعل قال: تلحقون بحرم الله وأمنه لا أرى لكم دونه فأهلوا من ساعتهم بالحج ثم أحرموا فى العباء وارتحلوا قلصا حمرا مخطمة بحبال الليف ثم انطلقوا آمين البيت الحرام حتى وردوا مكة فلم يزالوا بها حتى ماتوا، فتلك قبورهم فى غربى الكعبة بين دار الندوة ودار بنى هاشم. وكذلك فعل هود ومن آمن معه وشُعَيب ومن آمن معه.

وحدثنى رجل من أهل العلم قال: حدثنى محمد بن مسلم الرازى، عن جرير بن عبد الحميد الرازى، عن الفضل بن عطية، عن عطاء بن السائب أن إبراهيم رأى رجلاً يطوف بالبيت فأنكره فسأله ممن أنت؟ قال: من أصحاب ذى القرنين، قال: وأين هو؟ قال هو ذا بالأبطح، فتلقاه إبراهيم [فاعتنقه][1] فقيل لذى القرنين: لم لا تركب؟ قال ما كنت لأركب وهذا يمشى فحجّ ماشيًا.

* * *

قوله عزوجل: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ وما جاء فى ذلك

حدثنا أبو محمّد، قال: حدثنا أبو الوليد، قال حدّثنى جدّى، عن سعيد ابن سالم، عن عثمان بن ساج، قال: أخبرنى ابن جُرَيج، قال: بلغنا أن اليهود قالت: بيت المقدس أعظم من الكعبة، لأنه مهاجر الأنبياء ولأنه فى الأرض المقدسة. وقال المسلمون الكعبة أعظم. فبلغ النبى ﷺ فنزل ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ حتى بلغ ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ [آل عمران: ٩٦، ٩٧] وليس ذلك فى بيت المقدس ﴿وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ وليس ذلك فى بيت المقدس.

---

(١) ساقط من: أ.

ذكر شرب النبى ﷺ من ماء زمزم

حدَّثنا أبو الوليد قال أخبرنى جدى قال: حدَّثنا مسلم بن خالد الزنجى، عن عبد الرحمن بن الحارث بن عباس، عن زيد بن على، عن أبيه عن عبد الله بن أبى رافع، عن على بن أبى طالب رضى الله عنه، فى حديث حدث به عن النبى ﷺ ثم أفاض رسول الله ﷺ فدعا بسجل من ماء زمزم فتوضأ به ثم قال: انزعوا عن سقايتكم يا بنى عبد المطلب فلولا أن تغلبوا عليها لنزعت معكم.

حدَّثنى جدى قال: أخبرنا مسلم بن خالد، عن ابن جريج قال: أخبرنى ابن طاوس، عن طاوس قال: أمر النبى ﷺ أصحابه أن يفيضوا نهاراً وأفاض فى نسائه ليلاً فطاف بالبيت على ناقته ثم جاء زمزم فقال: ناولونى فنوول دلواً فشرب منها ثم تمضمض فمج فى الدلو، ثم أمر بما فى الدلو فأفرغ فى البئر ثم قال: لولا أن تغلبوا عليها لنزعت معكم.

قال ابن جريج: أخبرنى من سمع طاوسا يقول: جاء النبى ﷺ زمزم فقال: ناولونى فنوول دلواً فشرب منها ثم مضمض ثم مج فى الدلو، ثم أمر بما فى الدلو فأفرغ فى البئر، ثم قال نحواً مما قال ابن طاوس فى النزع، ثم مشى إلى السقاية سقاية النبيذ ليشرب فقال العباس: إن هذا قد ساطنه الأيدى منذ اليوم وقد أنفل وفي البيت شراب صاف، فأبى النبى ﷺ أن يشرب إلا منه، فعاد عباس لذلك القول فأبى النبى ﷺ أن يشرب إلا منه حتى عاد عباس ثلاث مرات فأبى النبى ﷺ أن يشرب إلا منه، فسقى منه قال: فكان طاوس يقول: الشرب من النبيذ من تمام الحج.

قال ابن جريج: وأخبرنى ابن طاوس، عن أبيه أن النبى ﷺ شرب من النبيذ ومن ماء زمزم وقال: لولا أن يكون سنة لنزعت، قال ابن عباس: ربما

وقال زيد بن أسلم سأل إبراهيم ذلك لمن آمن به ثم مصير الكافر إلى النار، قال عثمان: وأخبرنى محمد بن السائب الكلبى، قال: قال إبراهيم: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [البقرة:١٢٦] فاستجاب الله عز وجل له فجعله بلداً آمنًا وأمن فيه الخائف، ورزق أهله من الثمرات تُحمل إليهم من الأفق.

قال عثمان: وقال مقاتل بن حيان: إنما اختص إبراهيم فى مسألته فى الرزق للذين آمنوا فقال تعالى: الذين كفروا سأرزقهم مع الذين آمنوا ولكنى أمتعهم قليلاً فى الدنيا ثم أضطرهم إلى عذاب النار وبئس المصير.

قال عثمان: وقال مجاهد: جعل الله هذا البلد آمنًا لا يخاف فيه من دخله.

وحدثنى جدى، قال حدثه، إبراهيم بن محمد بن المنتشر، قال حدثنى سعيد بن السائب بن يسار، قال: سمعت بعض ولد نافع بن جبير بن مطعم وغيره يذكرون أنهم سمعوا أنه لما دعا إبراهيم لمكة أن يرزق أهله من الثمرات نقل الله عز وجل أرض الطائف من الشام فوضعها هنالك رزقًا للحرم.

حدّثنى جدى، قال: حدثنا إبراهيم بن محمد عن محمد بن المنكدر عن النبى ﷺ قال لما وضع الله الحرم نقل إليه الطائف من الشام.

حدثنى مهدى بن أبى المهدي، قال: حدثنا يحيى بن سليم، قال: سمعت عبد الرحمن بن نافع بن جبير بن مطعم، يقول: سمعت الزهري يقول: إن الله عز وجل نقل قرية من قُرَى الشام فوضعها بالطائف لدعوة إبراهيم خليل الله قوله: ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾.

حدثنى جدّى، قال: حدثنا مسلم بن خالد الزنجى، عن ابن جريج، عن كثير بن كثير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: جاء إبراهيم يطالع إسماعيل فوجده غائبًا ووجد امرأته الآخرة وهى السيّدة بنت مُضاض بن

عمرو الجرهمى فوقف فسلم فردت عليه السلام واستنزلته وعرضت عليه الطعام والشراب، فقال: ما طعامكم وشرابكم؟ قالت: اللحم والماء قال: هل من حَبٍّ أو غيره من الطعام؟ قالت: لا قال: بارك الله لكم فى اللحم والماء.

قال ابن عباس: يقول رسول الله ﷺ: لو وجد عندها يومئذ حبًا لدعا لهم بالبركة فيه، فكانت تكون أرضًا ذات زرع.

حدثنى جدّى عن سعيد بن سالم، عن كثير بن كثير، عن سعيد بن جبير مثله وزاد فيه، قال: سعيد بن جبير ولا يخلى[1]، أحد على اللحم والماء فى غير مكة إلا وجع بطنه وإن أخلى عليهما بمكة لم يجد كذلك أذى.

قال سعيد بن سالم: فلا أدرى عن ابن عباس يحدث بذلك سعيد بن جبير أم لا يعنى قوله ولا يخلى أحد على اللحم والماء بغير مكة إلا وجع بطنه.

حدثنى جدّى، قال: حدثنا مسلم بن خالد، عن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبى حسين، عن ابن عباس قال: وجد فى المقام كتاب: هذا بيت الله الحرام بمكة، توكل الله برزق أهله من ثلاثة سُبل، مبارك لأهله فى اللحم والماء واللبن لا يُحِلُّه أول من أهله.

ووجد فى حجر فى الحجر كتاب من خلقة الحجر أنا الله ذو بكة الحرام، وضعتها يوم صنعت الشمس والقمر، وحففتها بسبعة أملاك حنفاء لا تزول حتى تزول أخشباها، مبارك لأهلها فى اللحم والماء.

وحدثنى جدى، قال: حدثنا إبراهيم بن محمد، قال: حدثنا رشيد بن أبى كريب، عن أبيه، عن ابن عباس، قال لما هدموا الكعبة البيت وبلغوا

---

(١) لدى ابن الأثير فى النهاية (خلا) ومنه الحديث «لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلاّ لم يوافقاه» يعنى الماء واللحم: أى ينفرد بهما.

أساس إبراهيم وجدوا فى حجر من الأساس كتابًا فدعو له رجلاً من أهل اليمن، وآخر من الرهبان، فإذا فيه أنا الله ذو بكة حرمتُها يوم خلقت السموات والأرض، والشمس والقمر، ويوم صنعت هذين الجبلين وحففتها بسبعة أملاك حُنفاء.

حدثنى جدّى، عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج، قال: وأخبرنى ابن جُريج، قال: أخبرنا مجاهد، قال: إن فى حجر فى الحجر: أنا الله ذو بكة صُغْتُها يوم صُغْتُ الشمس والقمر، وحففتُها بسبعة أملاك حُنفاء مبارك لأهلها فى اللحم والماء يُحِلُّها أهلها ولا يحلُّها أول من أهلها، وقال: لا تزورل حتى تزول الأخشبان، قال الخزاعى: الأخشبان يعنى الجبلين.

وأخبرنى جدّى عن سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، أخبرنى خصيف بن عبد الرحمن، عن مجاهد، قال وجد فى بعض الزبور: أنا الله ذو بكة جعلتُها بين هذين الجبلين وصُغْتُها يوم صغت الشمس والقمر وحففتها سبعة أملاك حنفاء، وجعلت رزق أهلها من ثلاثة سبل، فليس يؤتى أهل مكة إلا من ثلاثة طرق أعلى الوادى وأسفله وكُدًا[1] وباركت لأهلها فى اللحم والماء.

حدثنى جدّى، قال: حدثنا سعيد بن سالم، عن عثمان، قال: أخبرنى محمد بن إسحاق، قال: حدثنا يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عبّاد، أنُه حدّثه أنهم وجدوا فى بئر الكعبة فى نقضها كتابَين من صفر مثل بيض النعامة مكتوب فى أحدهما هذا بيت الله الحرام، رزق الله أهله العبادة لا يحلُّه أول من أهله والآخر براءة لبنى فلان حىّ من العرب من حجه لله حجوها.

حدثنى جدى، قال: قال عثمان: أخبرنى ابن إسحاق أن قريشًا وجدت

(١) تحرف فى ب إلى: «كذا».

فى الركن كتابًا بالسريانية فلم يدروا ما هو حتى قرأه لهم رجل من اليهود، فإذا هو: أنا الله ذو بكة، خلقتها يوم خلقت السموات والأرض وصورت الشمس والقمر وحففتها بسبعة أملاك حُنفاء، لا تزول حتى يزول[1] أخشباها مبارك لأهلها فى الماء واللبن.

حدثنى جدّى، قال: قال عثمان: أخبرنى محمد بن إسحاق، قال: زعم ليث بن أبى سليم أنهم وجدوا حجراً فى الكعبة قبل مبعث النبى ﷺ بأربعين حجة، وذلك عام الفيل إن كان ما ذكر لى حقًا: من يزرع خيراً يحصد غبطة ومن يزرع شرًا يحصد ندامة، تعملون السيّئات وتجزون الحسنات أجل كما لا يجتنى من الشوك العنب.

* * *

ذكر ولاية بنى إسماعيل بن إبراهيم الكعبة بعده وأمر جرهم

حدثنا أبو الوليد، قال حدثنا مهدى بن أبى المهدى، حدثنا عبد الله بن معاذ الصنعانى، عن معمر، عن قتادة أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لقريش: إنه كان ولاة هذا البيت قبلكم طَسْم فاستخفّوا بحقه واستحلوا حرمته فأهلكهم الله ثم وليته بعدهم جرهم فاستخفوا بحقه فأهلكهم الله، فلا تهاونوا به وعظموا حُرمته.

حدثنى جدى، قال: حدثنا سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، قال: أخبرنى ابن إسحاق، قال: ولد لإسماعيل بن إبراهيم اثنا عشر رجلاً وأمهم السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمى، فولدت له اثنى عشر رجلاً نابتِ ابن إسماعيل، وقيدار بن إسماعيل، وواصل بن إسماعيل، وميّاس بن إسماعيل، وطيما بن إسماعيل، ويطور بن إسماعيل، ونَبش بن إسماعيل،

(١) أ، ب: «حتى تزول».

وقيدما بن إسماعيل. وكان عمر إسماعيل فيما يذكرون ثلاثين ومائة سنة فمن نابت بن إسماعيل، وقيدار بن إسماعيل نشر الله العرب. وكان أكبرهم قيدار ونابت ابنا إسماعيل، ومنهما نشر الله العرب.

وكان من حديث جرهم وبنى إسماعيل أن إسماعيل لمّا توفى دفن مع أمّه فى الحجر، وزعموا أن فيه دفنت حين ماتت فولى البيت نابت بن إسماعيل ما شاء الله أن يليه، ثم توفى نابت بن إسماعيل، فولى البيت بعده مضاض ابن عمرو الجرهمى وهو جد نابت بن إسماعيل أبو أمه، وضم بنى نابت بن إسماعيل وبنى إسماعيل إليه فصاروا مع جدهم أبى أمهم مضاض بن عمرو ومع أخوالهم من جرهم.

وجرهم وقطورا يومئذ أهل مكة. وعلى جرهم مضاض بن عمرو ملكًا عليهم. وعلى قطورا رجل منهم يقال له السميدع ملكًا عليهم، وكانا حين ظعنا من اليمن أقبلا سيارة، وكانوا إذا خرجوا من اليمن لم يخرجوا إلا ولهم ملك يقيم أمرهم.

فلما نزلا مكة رأيا بلداً طيبًا وإذا ماء وشجر فأعجبهما ونزلا به. فنزل مضاض بن عمرو بمن معه من جرهم أعلى مكة وقعيقعان فحاز ذلك، ونزل السميدع أجيادين وأسفل مكة فما حاز ذلك.

وكان مضاض بن عمرو يعشر من دخل مكة من أعلاها، وكان السميدع يعشر من دخل مكة من أسفلها ومن كدا، وكل فى قومه على حياله لا يدخل واحد منهما على صاحبه فى ملكه.

ثم إن جرهمًا وقطورا بغى بعضهم على بعض وتنافسوا الملك بها واقتتلوا بها حتى نشبت الحرب أو شبت الحرب بينهم على الملك، وولاة الأمر بمكة مع مضاض بن عمرو بنو نابت بن إسماعيل وبنو اسماعيل، وإليه ولاية البيت دون السميدع.

فلم يزل بينهم البغى حتى سار بعضهم إلى بعض فخرج مضاض بن عمرو

من قعيقعان فى كتيبة سائراً إلى السميدع ومع كتيبته عدتها من الرماح والدرق والسيوف والجعاب تقعقع ذلك معه. ويقال ما سميت قعيقعان إلا بذلك وخرج السميدع بقطورا من أجياد معه الخيل والرجال ويقال ما سمى أجياد أجياداً إلا لخروج الخيل الجياد منه مع السميدع، حتى التقوا بفاضح فاقتتلوا قتالاً شديداً فقتل السميدع وفضحت قطورا ويقال ما سمى فاضح إلا بذلك.

ثم إن القوم تداعوا للصلح فساروا حتى نزلوا المطابخ شعبًا بأعلى مكة يقال له شعب عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس فاصطلحوا بهذا الشعب وأسلموا الأمر إلى مضاض بن عمرو.

فلما جمع أمر أهل مكة وصار ملكها له دون السميدع نحر للناس وأطعمهم فأطبخ للناس فأكلوا فيقال ما سميت المطابخ مطابخ إلا بذلك.

قال فكان الذى كان بين مضاض بن عمرو والسميدع أول بغى كان بمكة فيما يزعمون، فقال مضاض بن عمرو الجرهمى هى تلك الحرب يذكر السميدع، وقتله، وبغيه والتماسه ما ليس له.

ونحن قتلنا سيّد الحى عَنْوَةً فأصبح فيها وهو حيران موجع
وما كان يبغى أن يكون سواءنا بها ملكًا حتى أتانا السميدع
فذاق وبالا حين حاول ملكنا وعالج منا غصة تتجرع
فنحن عمرنا البيت كنا ولاته نحامى عنه من أتانا وندفع
وما كان يبغى أن يلى ذاك غيرنا ولم يكن حين قبلنا ثم نمنع
وكنا ملوكًا فى الدهور التى مضت ورثنا ملوكًا لا ترام وتوضع

قال ابن إسحاق: وقد زعم بعض أهل العلم إنما سميت المطابخ لما كان تبع نحر بها وأطعم بها وكانت منزله، قال: ثم نشر الله بنى إسماعيل بمكة وأخوالهم من جرهم إذ ذاك الحكّام بمكة ووُلاة البيت. كانوا كذلك بعد نابت

ابن إسماعيل فلمّا ضاقت عليهم مكة وانتشروا بها انبسطوا فى الأرض وابتغوا المعاش والتفسُّح فى الأرض فلا يأتون قومًا ولا ينزلون بلدًا إلا أظهرهم الله عليهم بدينهم فوطئوهم وغلبوهم عليها حتى ملكوا البلاد ونَفَوا عنهم العماليق ومن كان ساكنًا بلادهم التى كانوا اصطلحوا عليها من غيرهم وجرهم على ذلك بمكة ولاة البيت لا ينازعهم إياه بنو إسماعيل لخئولتهم وقرابتهم وإعظام الحرم أن يكون به بغى أو قتال.

حدثنى بعض أهل العلم قال: كانت العماليق هم ولاة الحكم بمكة فضيعوا حرمة الحرم واستحلوا فيه أموراً عظامًا ونالوا ما لم يكونوا ينالون، فقام رجل منهم يقال له عموق، فقال، يا قوم أبقوا على أنفسكم فقد رأيتم وسمعتم من هلك من صدر الأمم قبلكم قوم هود وصالح وشُعَيب، فلا تفعلوا وتواصلوا فلا تستخفوا بحرم الله وموضع بيته، وإياكم والظلم والإلحاد فيه فإنه ما سكنه أحد قط فظلم فيه وألحد إلا قطع دابرهم واستأصل شأفتهم وبدل أرضها غيرهم، حتى لا يبقى لهم باقية.

فلم يقبلوا ذلك منه وتمادوا فى هلكة أنفسهم، قالوا. ثم إن جرهما وقطورا خرجوا سيارة من اليمن وأجدبت بلادهم عليهم فساروا بذراريهم ونعمهم[1] وأموالهم وقالوا نطلب مكانًا فيه مرعى تسمن فيه ماشيتنا، وإن أعجبنا أقمنا فيه، فإن كلَّ بلاد ينزلها أحد ومعه ذرّيته وماله فهى وطنُهُ، وإلا رجعنا إلى بلدنا.

فلما قدموا مكة وجدوا فيها ماء طيبًا وعضاها ملتفة من سلم وسمر ونباتًا تسمن مواشيهم وسعة من البلاد ودفء من البرد فى الشتاء، فقالوا: إن هذا الموضع يجمع لنا ما نريد فأقاموا مع العماليق.

وكان لا يخرج من اليمن قوم إلا ولهم ملك يقيم أمرهم، وكان ذلك سنة

(١) كذا فى ب. وفى الأصل: «وأنفسهم» وفى أ: «والفتهم».

فيهم ولو كانوا نفراً يسيراً، فكان مضاض بن عمرو ملك جرهم والمطاع فيهم وكان السميدع ملك قطورا.

فنزل مضاض بن عمرو أعلى مكة. وكان يعشر من دخلها من أعلاها، وكان حَوْزهم وجه الكعبة الركن الأسود والمقام وموضع زمزم مصعداً يمينًا وشمالاً، وقعيقعان إلى أعلى الوادى.

ونزل السميدع أسفل مكة وأجيادين، وكان يعشر من دخل مكة من أسفلها. وكان حوزهم المسفلة ظهر الكعبة والركن اليمانى والغربى وأجيادين والثنية إلى الرمضة فبَنَيَا فيها البيوت واتسعا فى المنازل وكثروا على العماليق.

فنازعتهم العماليق فمنعتهم جرهم وأخرجوهم من الحرم كله، فكانوا فى أطرافه لا يدخلونه فقال لهم صاحبهم عموق: ألم أقل لكم لا تستخفوا بحرمة الحرم فغلبتمونى، فجعل مضاض والسميدع يقطعان المنازل لمن ورد عليهما من قومهما وكثروا وربلوا وأعجبتهم البلاد. وكانوا قومًا عربًا وكان اللسان عربيًا.

فكان إبراهيم خليل الله عليه السلام يزور إسماعيل عليه السلام فلمّا سمع لسانهم وإعرابهم سمع لهم كلامًا حسنًا ورأى قومًا عربًا. وكان إسماعيل قد أخذ بلسانهم، أمر إسماعيل أن ينكح فيهم، فخطب إلى مضاض بن عمرو ابنته رعلة فزوجه إياها، فولدت له عشرة ذكور وهى أم البيت، وهى زوجته التى غسلت رأس إبراهيم حين وضع رجله على المقام.

قالوا: وتوفى إسماعيل ودُفن فى الحجر، وكانت أمه قد دفنت فى الحجر أيضًا وترك ولدًا من رعلة ابنة مضاض بن عمرو الجرهمى فقام مضاض بأمر ولد إسماعيل وكفلهم لأنهم بنو ابنته.

فلم يزل أمر جرهم يعظم بمكة ويستفحل حتى ولوا البيت، وكانوا ولاته وحجابه وولاة الأحكام بمكة فجاء سيل فدخل البيت فانهدم فأعادته جرهم

على بناء إبراهيم، وكان طوله فى السماء تسعة أذرع.

وقال بعض أهل العلم: كان الذى بنى البيت لجرهم أبو الجدرة فسمى عمرو الجادر، وسموا بنو الجدرة.

قال: ثم إن جرهما استخفوا بأمر البيت والحرم وارتكبوا أمورًا عظامًا وأحدثوا فيها أحداثًا لم تكن، فقام مضاض بن عمرو بن الحارث فيهم، فقال: يا قوم احذروا البغى[1] فإنه لا بقاء لأهله قد رأيتم من كان قبلكم العماليق استخفوا بالحرم فلم يعظموه وتنازعوا بينهم واختلفوا حتى سلطكم الله عليهم فأخرجتموهم فتفرقوا فى البلاد، فلا تستخفوا بحق الحرم وحرمة بيت الله ولا تظلموا من دخله وجاءه معظمًا لحرمته، أو آخر جاء بائعًا لسلعته أو مرتغبًا فى جواركم، فإنكم إن فعلتم ذلك تخوفت أن تخرجوا منه خروج ذل وصغار حتى لا يقدر أحد منكم أن يصل إلى الحرم ولا إلى زيارة البيت الذى هو لكم حرز وأمن والطير يأمن فيه.

قال قائل منهم يقال له مُجَذَّع: من الذى يخرجنا منه ألسنا أعز العرب وأكثرهم رجالاً وسلاحًا؟ فقال مضاض بن عمرو: إذا جاء الأمر بطل ما تقولون، فلم يقصروا عن شىء مما كانوا يصنعون.

وكان للبيت خزانة بئر فى بطنه يلقى فيها الحلى والمتاع الذى يهدى له وهو يومئذ لا سقف له فتواعد له خمسة نفر من جرهم أن يسرقوا ما فيه، فقام على كلّ زاوية من البيت رجل منهم واقتحم الخامس فجعل الله عز وجل أعلاه أسفله وسقط منكسًا فهلك وفَرَّ الأربعة الآخرون، فعند ذلك مسحت الأركان الأربعة.

وقد بلغنا فى الحديث أن إبراهيم خليل الله مسح الأركان الأربعة كلها أيضًا، وبلغنا فى الحديث أن آدم مسح قبل ذلك الأركان الأربعة، فلمّا كان

(١) كذا فى الأصل، ب. وفى أ: «النغى».

من أمر هؤلاء الذين حاولوا سرقة ما فى خزانة الكعبة ما كان، بعث الله حيّة سوداء الظهر بيضاء البطن رأسها مثل رأس الجدى فحرست البيت خمسمائة سنة لا يقربه أحد بشىء من معاصى الله إلا أهلكه الله تعالى، ولا يقدر أحد أن يروم سرقة ما كان فى الكعبة.

فلما أرادت قريش بناء البيت منعتهم الحية هدمه، فلما رأوا ذلك اعتزلوا عند المقام ثم دعوا الله تعالى فقالوا اللهم ربنا إنما أردنا عمارة بيتك، فجاء طير أسود الظهر أبيض البطن أصفر الرجلين فأخذها فاحتملها فجرّها حتى أدخلها أجياداً.

وقال بعض أهل العلم: إن جرهما لما طغت فى الحرم دخل رجل منهم وامرأة يقال لهما إِساف ونائلة البيت ففجرا فيه فمسخهما الله تعالى حجرين، فأخرجا من الكعبة فنصبا على الصفا والمروة ليعتبر بهما من رآهما وليزدجر الناس عن مثل ما ارتكبا، فلم يزل أمرهما يُدرس ويتقادم حتى صارا صنمين يعبدان.

وقال بعض أهل العلم: إن عمرو بن لُحى دعا الناس إلى عبادتهما، وقال للناس: إنما نُصبا هاهنا ليعبدا، وإن آباءكم ومن قبلكم كانوا يعبدونهما، وإنما ألقاه إبليس عليه وكان عمرو بن لحى فيهم شريفًا سيداً مطاعًا ما قال لهم فهو دين متبع.

قال: ثم حولهما قصى بن كلاب بعد ذلك فوضعهما يذبح عندهما وجاه الكعبة عند موضع زمزم.

وقد اختلف علينا فى نسبهما فقال قائل: إساف بن بغا ونائلة بنت ذئب فالذى ثبت عندنا من ذلك عمن نثق به منهم عبد الرحمن بن أبى الزناد كان يقول: هو أساف بن سهيل، ونائلة بنت عمرو بن ذئب.

وقال بعض أهل العلم: إنه لم يفجر بها فى البيت وإنما قبّلها، قالوا: فلم

بين كل ترويحتين سبعًا، فأمرهم ففصلوا بين كل ترويحتين بطواف سبع، فقيل له: فإنه يكون فى مؤخر الكعبة وجوانبها من لا يعلم بانقضاء طواف الطائف من مصل وغيره فيتهيأ للصلاة، فأمر عبيد الكعبة أن يكبروا حول الكعبة يقولون: الحمد لله والله أكبر، فإذا بلغوا الركن الأسود فى الطواف السادس سكتوا بين التكبيرتين سكتة حتى يتهيأ الناس ممن فى الحجر ومن فى جوانب المسجد من مصل وغيره، فيعرفون ذلك بانقطاع التكبير، ويصلى ويخفف المصلى صلاته ثم يعودون إلى التكبير حتى يفرغوا من السبع، ويقوم مسمع فينادى الصلاة رحمكم الله، قال: وكان عطاء بن أبى رباح وعمرو بن دينار ونظراؤهم من العلماء يرون ذلك ولا ينكرونه.

حدثنى جدى عن مسلم بن خالد الزنجى وسعيد بن سالم قالا: حدثنا ابن جريج قال: قلت لعطاء: إذا قل الناس فى المسجد الحرام أحب إليك أن يصلوا خلف المقام أو يكونوا صفًا واحدًا حول الكعبة؟ قال: بل يكونوا صفًا واحدًا حول الكعبة قال: وتلا ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ [الزمر:٧٥].

* * *

موضع قبور عذارى بنات إسماعيل عليه السلام فى المسجد الحرام

حدثنا أبو الوليد قال: حدثنى جدى قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن الزهرى أنه سمع ابن الزبير على المنبر يقول: إن هذا المحدودب قبور عذارى بنات إسماعيل عليه السلام - يعنى مما يلى الركن الشامى من المسجد الحرام - قال: وذلك الموضع يسوى مع المسجد فلا ينشب أن يعود محدودبا منذ كان.

* * *

أوتوا بشكر حتى سلبهم الله تعالى ذلك، فنقصهم بحبس المطر عنهم وتسليط الجدب عليهم، فكانوا يكرون بمكة الظل ويبيعون الماء فأخرجهم الله تعالى من مكة بالذر سلطه عليهم حتى خرجوا من الحرم فكانوا حوله، ثم ساقهم الله بالجدب يضع الغيث أمامهم ويسوقهم بالجدب حتى ألحقهم الله تعالى بمساقط رءوس آبائهم وكانوا قومًا عربًا من حمير فلما دخلوا بلاد اليمن تفرقوا وهلكوا، فأبدل الله تعالى الحرم بعدهم جرهم، فكانوا سكانه حتى بغوا فيه واستخفوا بحقه فأهلكهم الله عز وجل جميعًا.

* * *

ما ذكر من ولاية خزاعة الكعبة بعد جرهم وأمر مكة

حدثنا أبُو الوليد، قال: حدثنى جدّى قال، حدثنا سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، عن الكلبى، عن أبى صالح قال: لـمّا طالت ولاية جرهم استحلّوا من الحرم أموراً عظامًا ونالوا ما لم يكونوا ينالون واستخفوا بحُرمة الحرم وأكلوا مال الكعبة الذى يُهْدَى إليها سِراً وعلانية، وكلّما عدا سفيه منهم على منكر وُجِدَ من أشرافهم من يمنعه ويدفع عنه، وظلموا من دخلها من غير أهلها حتى دخل رجلٌ منهم بامرأته الكعبة، فيقال فجر بها أو قبّلها فمُسِخَا حجرَيْن، فرقّ أمرهم فيها وضعفوا وتنازعوا أمرهم بينهم واختلفوا وكانوا قبل ذلك من أعزّ حىّ فى العرب، وأكثرهم رجالاً وأموالاً وسلاحًا وأعزّ عزّة.

فلمّا رأى ذلك رجلٌ منهم يقال له مُضاض بن عمرو بن الحارث بن مضاض بن عمرو قام فيهم خطيبًا فوعظهم، وقال: يا قوم أبقوا على أنفسكم وراقبوا الله فى حرمه وأمنه، فقد رأيتم وسمعتم من هلك من صدر هذه الأمم قبلكم، قوم هود وقوم صالح وشُعَيْب، فلا تفعلوا وتواصلوا، وتواصوا

بالمعروف وانتهوا عن المنكر، ولا تستخفوا بحرم الله تعالى وبيته الحرام، ولا يغرنكم[١] ما أنتم فيه من الأمن والقوّة فيه.

وإياكم والإلحاد فيه بالظلم فإنه بَوَار. وايمُ الله لقد علمتم أنه ما سكنه أحد قط فظلم فيه وألْحَدَ إلا قطع الله عز وجل دابرهم، واستأصل شأفتهم، وبدّل أرضها غيرهم، فاحذروا البَغْىَ فإنه لا بقاء لأهله، قد رأيتم وسمعتم من سكنه قبلكم من طَسْم وجَديس والعماليق ممن كان أطول منكم أعماراً، وأشدَّ قُوَّةً، وأكثر رجالاً وأموالاً وأولاداً، فلما استخفّوا بحرم الله وألْحدوا فيه بالظلم أخرجهم الله منها بالأنواع الشتى، فمنهم من أُخْرج بالذَّرّ، ومنهم من أُخْرج بالجدب، ومنهم من أخرج بالسيف.

وقد سكنتم مساكنهم وورثتم الأرض من بعدهم فوَقِّروا حرم الله، وعَظّموا بيته الحرام، وتنزّهوا عنه وعمّا فيه، ولا تظلموا من دخله وجاء معظّمًا لحرماته، وآخر جاء بائعًا لسلْعَته أو مرتغبًا فى جواركم، فإنكم إن فعلتم ذلك تخوّفت أن تُخرجوا من حرم الله خروج ذلّ وصغار حتى لا يقدر أحد منكم أن يصل إلى الحرم ولا إلى زيارة البيت الذى هو لكم حرز وأمن والطير والوحوش تأمن فيه.

فقال له قائل منهم يردُّ عليه يقال له مجذَّع: من الذى يخرجنا منه؟ ألسْنا أعزّ العرب وأكثرهم رجالاً وسلاحًا فقال له مضاض بن عمرو: إذا جاء الأمر بطل ما تقولون، فلم يقصروا عن شىء ممّا كانوا يصنعون.

فلما رأى مضاض بن عمرو بن الحارث بن مضاض ما تعمل جرهم فى الحرم وما تسرق من مال الكعبة سراً وعلانية، عمد إلى غزالين كانا فى الكعبة من ذهب وأسْياف قَلَعيّة فدفنها فى موضع بئر زمزم، وكان ماء زمزم قد نضب وذهب لمّا أحدثَتْ جُرْهُم فى الحرم ما أحدثت، حتى غبى مكان

---

(١) كذا فى ب، وفى الأصل: «ولا يغركم» وفى أ: «ولا يغرنك».

البئر ودرس، فقام مضاض بن عمرو وبعض ولده فى ليلة مظلمة فحفر فى موضع زمزم وأعمق، ثم دفن فيه الأسياف والغزالين.

فبيناهم على ذلك إذ كان من أمر أهل مَأرب ما ذكر أنه ألقت طُرَيْفَة الكاهنة إلى عمرو بن عامر الذى يقال له مُزَيْقِيَاء بن ماء السماء وهو عمرو ابن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن بن الأزد بن الغوث ابن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان.

وكانت قد رأت فى كهانتها أن سدّ مأرب سيخرب، وأنه سياتى سَيْلُ العرم فيخرب الجنّتين، فباع عمرو بن عامر أمواله وسار هو وقومه من بلد إلى بلد لا يطئون بلداً إلا غلبوا عليه وقهروا أهله حتى يخرجوا منه ولذلك حديث طويل اختصرناه.

فلمّا قاربوا مكة ساروا ومعهم طُريفة الكاهنة، فقالت لهم: سيروا وأسيروا[1] فلن تجتمعوا[2] أنتم ومن خلفتم أبداً فهذا لكم أصل وأنتم له فرع. ثم قالت: مه مه، وحق ما أقول ما علمنى ما أقول إلا الحكيم المحكم ربّ جميع الإنس من عرب وعجم.

فقالوا لها: ما شأنك يا طريفة، قالت: خُذُوا البعير فخضّبُوه بالدم تلون أرض جرهم جيران بيته المحرم، قال: فلما انتهوا إلى مكة وأهلها جرهم وقد قهروا الناس وحازوا ولاية البيت على بنى إسماعيل وغيرهم أرسل إليهم ثعلبة بن عمرو بن عامر، يا قوم، إنا قد خرجنا من بلادنا فلم ننزل بلداً إلاّ فسح أهلها لنا وتزحزحوا عنّا فنقيم معهم حتى نرسل روادنا فيرتادون لنا بلداً يحملنا، فافسحوا لنا فى بلادكم حتى نقيم قدر ما نستريح ونرسل روادنا إلى

(١) فى الأصل: «سيراً».

(٢) كذا فى الأصل، ب. وفى أ: «فلن تجمعوا».

الشام وإلى الشرق فحيث ما بلغنا أنه أمثل لحقنا به، وأرجو أن يكون مقامنا معكم يسيراً.

فأبت جرهم ذلك إباء شديداً واستكبروا فى أنفسهم وقالوا: لا والله ما نحب أن تنزلوا معنا فتضيقون علينا مراتعنا ومواردنا فارحلوا عنا حيث أحببتم فلا حاجة لنا بجواركم، فأرسل إليهم ثعلبة أنه لا بُد لى من المقام بهذا البلد حولا حتى يرجع إلى رسلى التى أرسلتُ، فإن تركتمونى طوعا نزلت وحمدتكم وواسيتكم فى الرعى والماء، وإن أبيتم أقمت على كرهكم ثم لم ترتعوا معى إلا فضلاً، ولن تشربوا إلا رنقًا.

سئل أبو الوليد عن الرنق، فقال: الكدر من الماء وأنشد لزهير:

كأن ريقتها بعد الكرى اغتبقت   من طيب الراح لما بعد أن غبقا

سح السقاة على ناجودها شبما   من ماء لينه لا طلقا ولا رنقا

وإن قاتلتمونى قاتلتكم، ثم إن ظهرت عليكم سبيت النساء وقتلت الرجال ولم أترك أحداً منكم ينزل الحرم أبداً.

فأبت جرهم أن تتركه طوعًا وتعبت لقتاله، فاقتتلوا ثلاثة أيام وأفرغ عليهم الصبر ومنعوا النصر ثم انهزمت جُرْهم، فلم ينفلت منهم إلا الشريد.

وكان مضاض بن عمرو بن الحارث قد اعتزل جرهم ولم يعن جرهم فى ذلك، وقال: قد كنت أحذركم هذا، ثم رحل هو وولده وأهل بيته حتى نزلوا قنونا وحلى وما حول ذلك، فبقايا جرهم بها إلى اليوم وفنيت جرهم، أفناهم السيف فى تلك الحرب.

وأقام ثعلبة بمكة وما حولها فى قومه وعساكره حولاً فأصابتهم الحمى وكانوا فى بلد لا يدرون فيه ما الحمى، فدعوا طريفة فأخبروها الخبر[1]،

(١) كذا فى ب، وفى الأصل، آ: «فدعوا طريفة الخبر».

فشكوا إليها الذى أصابهم، فقالت لهم: قد أصابنى بؤس الذى تشكون[١] وهو مفرِّق ما بيننا.

قالوا: فماذا تأمرين؟ فقالت: فيكم ومنكم الأمير وعلىَّ التسيير، قالوا: فما تقولين؟ قالت: من كان منكم ذا هم بعيد، وجمل شديد، ومزاد جديد، فليلحق بقصر عُمان المشيد، فكان أزد عمان.

ثم قالت: من كان منكم ذا جلد وقصر وصبر على أزمات الدهر فعليه بالأراك من بطن مَرّ فكانت خزاعة.

ثم قالت: من كان منكم يريد الراسيات فى الوحل المطعمات فى المحل فليلحق بيثرب ذات النخل، فكانت الأوس والخزرج.

ثم قالت: من كان منكم يريد الخمر والخمير، والملك والتأمير، وتلبس الديباج والحرير، فليلحق ببصرى وعوير ـ وهما من أرض الشام ـ فكان الذى سكنوهما آل جفنة من غسان.

ثم قالت: من كان منكم يريد الثياب الرقاق، والخيل العتاق، وكنوز الأرزاق، والدم المهراق، فليلحق بأرض العراق، فكان الذين سكنوها آل جذيمة الأبرش ومن كان بالحيرة من غَسَّان وآل محرق، حتى جاءهم روادهم فافترقوا من مكة فرقتين فرقة توجهت إلى عمان. وهم أزد عمان.

وسار ثعلبة بن عمرو بن عامر نحو الشام فنزلتِ الأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر وهم الأنصار بالمدينة ومضت غسان فنزلوا الشام ولهم حديث طويل اختصرناه.

وانخزعت خُزاعة بمكة فأقام بها ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر، وهو لحى فولى أمر مكة وحجابة الكعبة.

وقال حسان بن ثابت الأنصارى يذكر انخزاع خزاعة بمكة ومسير الأوس

---

(١) كذا فى ب، وفى الأصل: «قد أصابوا الذى يشكون» وفى أ: «قد أصابوا بؤس الذى تشكون».

والخزرج إلى المدينة وغسان إلى الشام:

فلمــا هبطنا بطن مر تخزعت
خزاعــة منا فى حُلُول كَرَاكرِ
حَمَوْا كل وادٍ من تِهامة واحتمَـوْا
بصم القنا والمرهفات البـواترِ
فكان لها المرباع فى كلّ غارة
تشنُّ بنَجْـد والفجاج العـوابرِ
خزاعتُنـا أهلُ اجتهــاد وهجـرة
وأنصــارُنا جنــدُ النبىّ المهـاجرِ
وسرنا فلمّــا أن هبطنــا بيَثْرب
بلا وَهَــن منّا ولا بتشـــاجـرِ
وَجَـدْنا بها رزقًا عَدَامِلَ بقيت
وآثار عــاد بالحـلال الظـواهر
فحلّت بها الأنصـار ثم تبَوَّأت
بيَثْربهــا دارًا على خيـر طـاير
بنو الخزرج الأخيــار والأوس إنهم
حموهــا بفتيــان الصبــاح البواكر
نفوا من طغا فى الدهر عنها وذبّبوا
يهودًا بأطْراف الرماح الخــواطر
وســارت لنا سَيَّارَة ذات قــوة
بكوم المطايا والخيول الجمــاهر

يَؤمُّون نحو الشام حتى تمكّنوا
ملوكًا بأرض الشام فوق المنابر
يصيبون فصل القول فى كلّ خطبة
إذا وصلوا ايمانهم بالمحاضر
أولاك بنو ماء السماء توارثوا
دمشقًا بملك كابرًا بعد كابر

قال: فلمّا حازت خزاعة أمر مكة وصاروا أهلها، جاءهم بنو إسماعيل وقد كانوا اعتزلوا حرب جُرْهُم وخزاعة فلم يدخلوا فى ذلك فسألوهم السكنى معهم وحولهم فأذنوا لهم. فلمّا رأى ذلك مضاض بن عمرو بن الحارث وقد كان أصابه من الصبابة إلى مكة ما أحزنه، أرسل إلى خزاعة يستأذنها فى الدخول عليهم والنزول معهم بمكة فى جوارهم ومَتَّ إليهم برَأيه وتوريعه قومه عن القتال وسوء السيرة فى الحرم واعتزاله الحرب، فَأَبَتْ خزاعة أن تقرّهم ونَفَتْهم عن الحرم كلّه ولم يتركوهم ينزلون معهم، فقال عمرو بن لُحَىّ، وهو: ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر لقومه: من وجد منكم جرهميًا قد قارب الحرم فدَمُهُ هدر، فنزعت إبل لمضاض بن عمرو بن الحارث بن مضاض بن عمرو الجرهمى من قَنَوْنَى تريد مكة، فخرج فى طلبها حتى وجد أثرها قد دخلت مكة فمضى على الجبال من نحو أجياد، حتى ظهر على أبى قُبَيْس يتبصّر الإبل فى بطن وادى مكة، فأبصر الإبل تُنْحَر وتُؤكل لا سبيل له إليها، فخاف إنْ هبط الوادى أَنْ يُقْتَل فَولّى منصرفًا إلى أهله وأنشأ يقول:

كَأنْ لم يكن بين الحَجُون إلى الصَّفَا
أنيس ولم يَسْمُرْ بمكة سامرُ
ولم يتربّع واسطًا فجنوبُه
إلى المُنْحَنَى من ذى الأراكة حاضرُ
بلى نحن كُنَّا أهلها فأَزَالَنا
صُرُوفُ الليالى والجدود العواثرُ

وبَدَّلَنــا ربّى بهــا دارَ غُـربَةٍ … بها الذِّيبُ يَعْوِى والعدوُّ المحاصرُ

فإن تملأْ الدنيـا علينـا بكلّها … وتصبح حــال بعدنا وتشاجرُ

فكُنَّا ولاة البيت من بعد نابت … نطوف بهذا البيت والخير ظاهرُ

ملكنــا فعززنا فأعظم بملكنــا … فليـس لحى غيرنـا ثم فـاخر

فَأنكَح جـدّى خير شخص علمتُهُ … فأبناءنا منـه ونحـن الأصــاهرُ

فَأخرَجَنــا منهــا المليكُ بقُدْرة … كذلك حال الناس تَجْرى المقـادرُ

أقول إذا نام الخَلِىُّ ولم أَنَمْ … إِذَا العرْشِ لا يَبْعَـدْ سُهَيْل وعـامرُ

وبُدِّلْتُ منهم أَوْجُها لا أُحِبُّها … وحِمْيَر قـد بدلتهـا واليحـابرُ

وصِرْنا أحـاديثًا وكُنَّـا بِغبْطَـةٍ … كـذلك عَضَّتنا السنونُ الغوابرُ

فسَحَّتْ دموعُ العيـن تبكى لبلـدة … بهـا حَرَم أمن وفيهـا المشاعِرُ

بوادٍ أنيسٍ ليس يُؤذَى حمامُهُ … ولا منفراً يومًا وفيهـا العصافرُ

وفيهـا وحوش لا تراب أنيسة … إذا خرجت منها فمــا أن تغــادرُ

فياليت شعرىِ هـل تُعَمَّر بعـدنا … جيــاد فممضى سيلـه فالظواهرُ

فبطـن منى وحش كأنْ لم يسرْ به … مُضَـاض ومن حبّى عـدىّ عمـايرُ

وقال أيضًا:

يا أَيُّهــا الحَىُّ سيـروا إنَّ قَصرَكُمُ … أَنْ تُصْبِحوا ذات يوم لا تَسيرونا

إنّا كنا كُنْتُمــوا كُنَّا فغَيَّـرَنا … دهر فسوف كما صِرْنا تصيرونا

أَرْجوا المَطِىَّ وأَرْجـوا من أزمَّتها … قبل الممات وقَضُّـوا مـا تُقَضُّونا

قد مال دهر علينا ثم أَهْلَكَنا … بالبَغْى فيه وندّ الناس ناسونا

إنّ التفكر لا يُجْرى بصاحبه … عبد البديهة فى علم له دونا

قَضُّوا أمورَكُمُ بالحَزْم إن لها ... أمورَ رُشْد رشدتم ثم مسنونا

واستخبروا فى صنيع الناس قَبْلَكُمُ ... كمـا استبـان طريق عنـده الهونا

كُنَّا زمانًا ملوك الناس قبلكم ... بمسكن فى حرام الله مسكونا

قال: فانطلق مضاض بن عمرو نحو اليمن إلى أهله وهم يتذاكرون ما حال بينهم وبين مكة، وما فارقوا من أمنها وملكها، فحزنوا على ذلك حزنًا شديدًا، فبكوا على مكة وجعلوا يقولون الأشعار فى مكة.

واحتازت خزاعة بحجابة الكعبة وولاية أمر مكة وفيهم بنو إسماعيل بن إبراهيم بمكة وما حولها لا ينازعهم أحد منهم فى شىء من ذلك ولا يطلبونه.

فتزوّج لُحَىّ وهو ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر فُهَيْرَةَ، بنت عامر بن عمرو بن الحارث بن مضاض بن عمرو الجرهمى ملك جُرْهم، فولدت له عَمْرًا، وهو: عمرو بن لُحَىّ. وبلغ بمكة وفى العرب من الشرف ما لم يبلغ عربى قبله ولا بعده فى الجاهلية. وهو الذى قسم بين العرب فى حُطْمة حطموها عشرة آلاف ناقة وكان قد أَعْوَرَ عشرين فحلاً وكان الرجل فى الجاهلية إذا ملك ألف ناقة فَقَأَ عين فحل إبله، فكان قد فقأ عين عشرين فحلاً وكان أول من أطعم الحاجَّ بمكة سدايف الإبل ولحمانها على الثريد وعَمّ فى تلك السنة جميع حاجّ العرب بثلاثة أثواب من برود اليمن، وكان قد ذهب شرفه فى العرب كلّ مذهب، وكان قوله فيهم دينًا متبعًا لا يخالف، وهو الذى بحر البحيرة ووصل الوصيلة وحمى الحام وسيّب السائبة ونصب الأصنام حول الكعبة، وجاء بهُبَلَ من هيت من أرض الجزيرة فنصبه فى بطن الكعبة فكانت قريش والعرب تستقسم عنده بالأزلام، وهو أول من غيرّ الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام وكان أمره بمكة فى العرب مطاعًا لا يُعْصَى.

وكان بمكة رجل من جرهم على دين إبراهيم وإسماعيل وكان شاعراً، فقال لعمرو بن لحيّ حين غيرّ الحنيفية:

يا عمرو لا تظلم بمكة إنها بلد حرام
سائل بعاد أين هم وكذاك تخترم الأنام
وبنى العماليق الذين لهم بها كان السوام

فزعموا أن عمرو بن لحيّ أخرج ذلك الجرهمي من مكة فنزل بأُطم من أعراض مدينة النبي ﷺ نحو الشام، قال الجرهمي قد يتشوّق إلى مكة:

ألا ليت شعرى هل أبيتنّ ليلة وأهلى[1] معا بالمأزمَيْن حُلُولُ
وهل أرينّ العيس تَنْفَخ فى البرا لها بمِنًى والمأزمين ذميلُ
منازل كُنّا أهلها لم تحل بنا أزمان بها فيما أراه تحولُ
مضى أوّلونا راضيين بشأنهم جميعًا وغالتنى بمكة غُولُ

قال: فكان عمرو بن لحيّ يلى البيت وولده من بعده خمسمائة سنة حتى كان آخرهم حُلَيْل بن حبشية، بن سلول بن كعب بن عمرو، فتزوّج إليه قُصَى ابنته حُبَّى ابنة حليل، وكانوا هم حُجَّابه وخُزَّانه والقُوَّام به ووُلاة الحكم بمكة وهو عامر لم يخرب فيه خراب ولم تَبْن خزاعةُ فيه شيئًا بعد جُرْهم ولم تسرق منه شيئًا علمناه ولا سمعنا به، وترافدوا على تعظيمه والذبّ عنه، وقال فى ذلك عمرو بن الحارث بن عمرو الغُبْشَانى.

نحن وليناه فلم نغشه وابن مضاض قائم يهشّه
يأخذ ما يُهْدَى له يفشّه نترك مال الله ما نمشّه

حدثنى محمد بن يحيى، قال: حدثنا عبد العزيز بن عمران، قال: خرج أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومى قُبَيْلَ الإسلام فى نفر من قريش يريدون

(١) كذا فى الأصل، ب. وفى أ: «وأهل».

اليمن، فأصابهم عطش شديد ببعض الطريق وأمْسوا على غير الطريق فساروا جميعًا، فقال لهم أبو سلمة: إنى أرى ناقتى تنازعنى شقًّا أفلا أرسلها وأتبعها؟ قالوا: فافعل فَأرْسَلَ ناقته وتبعها فأصبحوا على ماء وحاضرٍ فاستقوا وسقوا، فإنهم لعَلَى ذلك إذ أقبل إليهم رجل فقال: مَن القوم؟ فقالوا: من قريش قال: فرجع إلى شجرة فقام أمام الماء فتكلّم عندها بشىء ثم رجع إلينا فقال: لينطلقن أحدكم معى إلى رجل يدعوه. قال أبو سلمة: فانطلقت معه فوقف بى تحت شجرة فإذا وَكْر معلّق، قال: فصَوَّتَ به يا أبه يا أبه، قال فزَعْزَعَ شيخ رأسه فأجابه قال: هذا الرجل قال لى: من الرجل؟ قلت: من قريش، قال: من أيّها؟ قلت: من بنى مخزوم بن يَقَظَةَ، قال: أيهم؟ قلت: أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة قال: أيهات منك أنا ويقظةُ سنّ أتَدْرى من يقول: ؟

كأَنْ لم يكن بين الحجون إلى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بل نحن كُنَّا أهلها فأزالنا
صروف الدهر والجدود العواثر

قلت لا قال: أنا قائلها أنا عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمى، أتدرى لِمَ سُمِىَ أجياد أجيادًا؟ قلت: لا، قال: جادت بالدماء يوم التقينا نحن وقطورا أتدرى لم سمّى قعيقعان [قعيقعان][1]؟ قلت: لا، قال: لتقعقع السلاح فى ظهورنا لـمّا طَلَعْنا عليهم منه.

* * *

(١) من ب.

باب ما جاء فى ولاية قصى بن كلاب البيت الحرام وأمر مكة بعد خزاعة وما ذكر من ذلك

حدثنا أبو الوليد، قال: حدثنى جدّى، قال: حدثنا سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، عن ابن جريج وعن ابن إسحاق - يزيد أحدهما على صاحبه - قالا: أقامت خزاعةُ على ما كانت عليه من ولاية البيت والحكم بمكة ثلاثمائة سنة، وكان بعض التبابعة قد سار إليه وأراد هدمه وتخريبه، فقامت دونه خزاعة فقاتلت عليه أشدَّ القتال حتى رجع ثم آخر فكذلك، وأمّا التُّبَّع الثالث الذى نحر له وكساه وجعل له غَلَقًا وأقام عنده أيامًا ينحر كلّ يوم مائة بدنة لا يرزأ هو ولا أحد من أهل عسكره شيئًا منها يردها الناس فى الفجاج والشعاب فيأخذون منها حاجتهم ثم تقع عليها الطير فتأكل، ثم تنتابها السباع إذا أمست لا يردّ عنها إنسان ولا طير ولا سبع ثم رجع إلى اليمن، إنما كان فى عهد قريش.

فلبثت خزاعة على ما هى عليه وقريش إذ ذاك فى بنى كِنَانَةَ متفرّقة، وقد قدم فى بعض الزمان حاجٌّ قُضَاعَة فيهم ربيعة بن حَرَام بن ضَبَّة بن عبد بن كبير بن عُذْرة بن سعد بن زيد، وقد هلك كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَىّ ابن غالب وترك زُهْرَةَ وقُصَيّاً ابنَى كلاب مع أمّهما فاطمة بنت عمرو بن سعد ابن سَيَل، وسعد بن سَيَل الذى يقول فيه الشاعر وكان أشجع أهل زمانه:

لا أرى فى الناس شخصًا واحدًا فاعلمـوا ذاك كسعـد بن سَيَل

فارس أضبـط فيـه عُسْـرَةٌ فإذا مـا عاين القـرن نَزَلْ

فارس يستـدرج الخيـل كمـا يُدْرج الحُرُّ القَطَـامِىُّ الحَجَـلْ

وزُهْرَةُ أكبرهما، فتزوّج ربيعة بن حرام أُمَّهما وزهرة رجل بالغ وقصىٌ فطيم أو فى سنّ الفطيم، فاحتملها ربيعة إلى بلادهم من أرض عُذْرَةَ من

أشراف الشام، فاحتملت معها قُصَيّاً لصغره وتخلف زهرة في قومه فولدت فاطمةُ ابنةُ عَمرو بن سعد لربيعة: رزاحَ بن ربيعة، فكان أخا قُصَيّ بن كلاب لأمه، ولربيعة بن حرام من امرأة أخرى ثلاثة نفر: حُنٌّ ومحمود وجَلْهَمة بنو ربيعة.

فبَيْنا قُصَيٌّ بن كلاب في أرض قضاعة لا ينتمى إلا إلى ربيعة بن حرام إذ كان بينه وبين رجل من قضاعة شيء وقُصَيّ قد بلغ فقال له القضاعى ألا تلحق بنسبك وقومك فإنك لست منّا. فرجع قصيٌّ إلى أمه وقد وجد في نفسه مّما قال له القضاعى، فسألَها عمّا قال له، فقالت: والله أنت يا بُنَيَّ خَير منه وأكرم، أنت ابن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر ابن مالك بن النضر بن كنانة، وقومك عند البيت الحرام وما حوله.

فَأَجْمع قصيّ للخروج إلى قومه واللحاق بهم، وكره الغربة في أرض قضاعة، فقالت له أمه: يا بنى لا تعجل بالخروج حتى يدخل عليك الشهر الحرام فتخرج في حاجّ العرب، فإنى أخشى عليك.

فأقام قصى حتى دخل الشهر الحرام، وخرج في حاجّ قضاعة حتى قدم مكة، فلمّا فرغ من الحجّ أقام بها. وكان قصيّ رجلاً جليداً حازمًا بارعًا، فخطب إلى حُلَيْل بن حُبْشيه بن سلول الخزاعى ابنته حُبَّى ابنة حليل، فعرف حليل النسب ورغب في الرجل فزوّجه، وحُلَيْل يومئذ يلى الكعبة وأمر مكة.

فأقام قصيّ معه حتى ولدت حُبَّى لقُصَيّ: عبد الدار، وهو أكبر ولده، وعبد مناف، وعبد العُزَّى وعبداً بنى قصيّ.

فكان حليل يفتح البيت، فإذا اعتلّ اعطَى ابنته حُبَّى المفتاح ففَتَحَتْه، فإذا اعتلَّتْ أعطت المفتاح زوجها قُصيًا أو بعض ولدها فيفتحه.

وكان قصى يعمل في حيازته إليه وقطع ذكر خزاعة عنه، فلمّا حضرتْ حليلاً الوفاة نظر إلى قصى وإلى ما انتشر له من الولد من ابنته، فرأى أن

يجعلها فى ولد ابنته فدَعَا قصيًا فجعل له ولاية البيت وأسلم إليه المفتاح، وكان يكون عند حُبَّى، فلما هلك حليل أَبَتْ خزاعة أن تَدَعَهُ وذاك، وأخذوا المفتاح من حُبَّى فمشى قصىّ إلى رجال من قومه من قريش وبنى كنانة ودعاهم إلى أن يقوموا معه فى ذلك وأن ينصروه ويعضدوه فَأجابوه إلى نصره.

وأرسل قصىّ إلى أخيه لأمه رزاح بن ربيعة وهو ببلاد قومه من قضاعة يدعوه إلى نصره ويعلمه ما حالت خزاعة بينه وبين ولاية البيت ويسأله الخروج إليه بمن أجابه من قومه، فقام رزاح فى قومه فأجابوه إلى ذلك، فخرج رزاح بن ربيعة ومعه إخوته من أبيه حُنّ ومحمود وجَلْهَمة بنو ربيعة ابن حرام فيمن تبعهم من قضاعة فى حاجّ العرب مجتمعين لنصر قصى والقيام معه.

فلمّا اجتمع الناس بمكة خرجوا إلى الحجّ فوقفوا بَعرفة وبجَمْع ونزلوا منىً وقصى مُجْمِعٍ على ما أجمع عليه من قبائلهم بمن معه من قريش وبنى كنانة ومن قدم عليه مع أخيه رزاح من قضاعة، فلمّا كان آخر أيام منىً أرسلت قضاعة إلى خزاعة يسألونهم أن يسلموا إلى قصىّ ما جعل له حُلَيْل، وعظموا عليهم القتال فى الحرم وحذروهم الظلم والبَغْىَ بمكة وذكّروهم ما كانت فيه جُرْهُم وما صارت إليه حين ألحدوا فيه بالظلم والبَغْى، فَأَبَتْ خزاعة أن تسلم ذلك، فاقتتلوا بمفضى مأزمَىْ منىً قال فسُمِىّ ذلك المكان المفجر لما فجر فيه وسُفك فيه من الدماء وانتهك من حُرمته، فاقتتلوا قتالاً شديدًا حتى كثرت القَتْلَى فى الفريقَيْن جميعًا، وفَشَتْ فيهم الجراحات، وحاجٌّ العرب جميعًا من مُضَر واليمن مستكفُّون ينظرون إلى قتالهم.

ثم تداعوا إلى الصلح ودخلت قبائل العرب بينهم، وعظّموا على الفريقَيْن سفك الدماء والفجور فى الحرم، فاصطلحوا على أن يحكّموا بينهم رجلاً من العرب فيما اختلفوا فيه، فحكّموا يَعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن

الليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، وكان رجلاً شريفًا، فقال لهم: مَوْعدكم فناء الكعبة غدًا، فاجتمع الناس وعَدُّوا القَتْلَى فكانت فى خزاعة أكثر منها فى قريش وقضاعة وكنانة، وليس كلٌّ بنى كنانة قاتل مع قصى، إنما كانت مع قريش من بنى كنانة قلال يسير[1]، واعتزلت عنها بكر بن عبد مناة قاطبة.

فلمّا اجتمع الناس بفناء الكعبة قام يعمر بن عوف، فقال: ألا إنى قد شَدَخْتُ ما كان بينكم من دم تحت قدمىَّ هاتَيْن فلا تباعة لأحد على أحد فى دم، وإنى قد حكمت لقصىّ بحجابة الكعبة وولاية أمر مكة دون خزاعة لما جعل له حليل، وأن يخلى بينه وبين ذلك، وأن لا تخرج خزاعة عن مساكنها من مكة، قال: فسُمّى يَعْمَرُ من ذلك اليوم، الشُّدَّاخ.

فسلمَتْ ذلك خزاعةُ لقُصَىّ وعظّموا سفك الدماء فى الحرم وافترق الناس، فولى قصى بن كلاب حجابة الكعبة وأمر مكة وجمع قومه من قريش من منازلهم وإلى مكة يستعزّ بهم، وتملّك على قومة فملّكوه وخزاعة مقيمة بمكة على رباعهم وسكناتهم لم يحركوا ولم يخرجوا منها، فلم يزالوا على ذلك حتى الآن.

وقال قصى فى ذلك وهو يتشكّر لأخيه رزاح بن ربيعة[2]:

أنا ابنُ العاصمين بنى لُؤَىّ ... بمكة مولدى وبها رَبَيْت
ولى البطحاء قد علمَتْ مَعَدّ ... ومَرْوَتُها رَضَيْتُ بها رَضَيْت
وفيها وفيها كانت الآباء قبلى ... فما شويَتْ أخىٌّ ولا شويت
فلست لغالب أن لم تَأثّلْ ... بها أولادُ قَيْدَرَ والنبيت
رزاح ناصرى وبه أُسامى ... فلستُ أخاف ضَيْمًا ما حييت

(١) كذا فى الأصل، آ. وفى ب: «قبائل يسيرة».

(٢) الروض الأنف ١/٢٣٧، شفاء الغرام ٢/ ١١٠.

فكان قُصَى أول رجل من بنى كنانة أصاب مُلْكًا، وأطاع له به قومه، فكانت إليه الحجابة والرفادة والسقاية والندوة واللواء والقيادة، فلمّا جمع قصىّ قريشًا بمكة سُمّى مجمّعًا، وفى ذلك يقول حُذافة بن غانم الجُمَحِىّ يمدحه[١]:

أبوهم قصىّ كان يُدْعَى مجمّعًا   به جمع الله القبائل من فِهْرِ
هُمُ نزلوها والمياه قليلة   وليس بها إلا كهول بنى عَمْرِو

يعنى خزاعة: قال إسحاق بن أحمد: وزادنى أبو جعفر محمد بن الوليد ابن كعب الخزاعى[٢]:

أقمنا بها والناس فيها قلائل   وليس بها إلاّ كهول بنى عمْرِو
هُمُ ملكوا[٣] البطحاء مجدًا وسُودَدًا   وهم طردوا عنها غُوَاةَ بنى بَكْرْ
وهم حفروها والمياه قليلة   ولم يستقى إلا بنكد من الحَفْر
حليل الذى عادى كنانة كلَّها   ورابط بيت الله فى العُسْر واليُسْر
أحازم إمَّا أَهْلِكَنّ فلا تزل   لهم شاكرًا حتى تُوَسَّدَ فى القبر

ويقال: من أجل تجمع قريش إلى قصىّ سُمّيت قريش قريشًا، قال أبو الوليد، وأنشدنى عبد العزيز بن إسماعيل الحلبى فى التقرش، وهو الاجتماع[٤]:

أيجدى كشحنا للطعان إذا   اقترش القنا وتقعقع الحجف

---

(١) شفاء الغرام ٢/ ١١٠.

(٢) شفاء الغرام ٢/ ١١٠.

(٣) كذا فى الأصل، أ. ومثله فى شفاء الغرام ٢/ ١١٠. وفى ب «ملئوا» ومثله فى الروض الأنف ١/ ٢٣٤.

(٤) كذا فى الأصل، ب. وفى أ: «الاجماع».

ولبعضهم:

قوارش بالرماح كان فيها　　　شواطن ينتزعن به انتزاعا

والتجمع: التقرّش فى بعض كلام العرب، ويقال: كان يقال لقُصَىّ القُرَشّى، ولم يسم قرشىّ قبله. ويقال أيضًا: إن النضر بن كنانة كان يُسَمَّى القرشى وقد قيل ايضًا: إنمّا سُمّيت قريش قريشًا أنها كانت تجارًا تكتسب وتتجر وتحترش فشبّهَتْ بحُوت فى البحر.

حدثنى أبو الحسن الوليد بن أبان الرازى، عن على بن جعفر بن محمد، عن أبيه عليهم السلام، قال: قيل لابن عبّاس: لم سُمّيت قريش قريشًا؟ قال: بَأمر بيّن مشهور بدابّة فى البحر تُسَمَّى قريش، والدليل على ذلك قول تُبَّع حين يقول:

وقريش هى التى تسكن البحر　　　بها سُمّيت قريش قريشا

تأكل الغثّ والسمين ولا　　　تترك فيه لذى جناحين ريشا

هكذا فى البلاد حَتى قريش　　　يأكلون البلاد أكلاً كشيشا

ولهم آخر الزمان نبىّ　　　يكثر القتل فيهم والخُمُوشا

ثم رجع إلى حديث ابن جريج ومحمد بن إسحاق قال: فحاز قصىّ شرف مكة وأنشأ دار الندوة، وفيها كانت قريش تقضى أمورها، ولم يكن يدخلها من قريش من غير ولد قصىّ إلا ابن أربعين سنة للمشورة. وكان يدخلها ولد قصىّ كلُّهم أجمعون وحلفاؤهم، فلمّا كبر قصىٌ ورَقّ وكان عبد الدار بكره وأكبر ولده، وكان عبد مناف قد شرف فى زمان أبيه وذهب شرفه كلَّ مذهب. وعبد الدار وعبد العُزَّى وعَبْد بنى قصىّ بها لم يبلغوا ولا أحد من قومهم من قريش ما بلغ عبد مناف من الذكر والشرف والعزّ.

وكان قصىّ وحُبَّى ابنة حُلَيْل يحبّان عبد الدار ويرقّان عليه لما يَرَيَان عليه من

شرف عبد مناف وهو أصغر منه، فقالت له حُبّى: لا والله لا أرضى حتى تَخُصّ عبد الدار بشىء تُلْحقه بأخيه. فقال قصىّ: والله لألحقنّه به ولأحبُوَنَّه بذروة الشرف حتى لا يدخل أحد من قريش ولا غيرها الكعبة إلا بإذْنه ولا يقضون أمراً ولا يعقدون لواء إلا عنده وكان ينظر فى العواقب.

فأجمع قصىّ على أن يقسم أمور مكة الستّة التى فيها الذكر والشرف والعزّ بين ابنيه فأعطى عبد الدار السدانة وهى الحجابة ودار الندوة واللواء وأعطى عبد مناف السقاية والرفادة والقيادة.

فأمَّا السقاية فحِيَاض من أدم كانت على عهد قصىّ توضع بفناء الكعبة ويُسقى فيها الماء العذب من الآبار على الإبل ويسقاه الحاجّ.

وأمّا الرفادة فخرج كانت قريش تخرجه من أموالها فى كل موسم فتدفعه إلى قصىّ يصنع به طعامًا للحاجّ يأكله من لم يكن معه سعة ولا زاد.

فلمّا هلك قصىّ أقيم أمره فى قومه بعد وفاته على ما كان عليه فى حياته وولى عبد الدار حجابة البيت وولاية دار الندوة واللواء، فلم يزل يليه حتى هلك وجعل عبد الدار الحجابة بعده إلى ابنه عثمان بن عبد الدار وجعل دار الندوة إلى ابنه عبد مناف بن عبد الدار.

فلم تزل بنو عبد مناف بن عبد الدار يلون الندوة دون ولد عبد الدار، فكانت قريش إذا ارادت أن تشاور فى أمر فتحها لهم عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار وبعض ولده أو ولد أخيه، وكانت الجارية إذا حاضت أدخلَتْ دار الندوة ثم شَقّ عليها بعض ولد عبد مناف بن عد الدار دِرْعَها ثم دَرَّعَها إياه وانقلب بها أهلها فحجبوها، وكان عامر بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار يُسَمَّى مُحَيَّضًا، وإنما سُمّيت دار الندوة لاجتماع النُّدَاة فيها يندونها يجلسون فيها لإبرام أمرهم وتشاورهم.

ولم تزل بنو عثمان بن عبد الدار يلون الحجابة دون ولد عبد الدار. ثم

وليها عبد العُزّى بن عثمان بن عبد الدار ثم وليها أبو طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار. ثم وليها ولده من بعده حت كان فتح مكة فقبضها رسول الله ﷺ من أيديهم وفتح الكعبة ودخلها، ثم خرج رسول الله ﷺ من الكعبة مشتملاً على المفتاح فقال له العبّاس بن عبد المطّلب: بأبى أنت وأمّى يا رسول الله أعطنا الحجابة مع السقاية، فأنزل الله عز وجل على نبيّه ﷺ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء:٥٨] فقال عمر بن الخطّاب رضى الله عنه فما سمعتها من رسول الله ﷺ قبل تلك الساعة فتلاها ثم دعا عثمان بن طلحة فدفع إليه المفتاح وقال غَيِّبوه ثم قال خذوها يا بنى أبى طلحة بأمانة الله سبحانه واعملوا فيها بالمعروف خالدة تالدة لا ينزعها من أيديكم إلا ظالم.

فخرج عثمان بن طلحة إلى هجرته مع النبى ﷺ وأقام ابن عّمه شيبة بن عثمان بن أبى طلحة، فلم يزل يحجب هو وولده وولد أخيه وهب بن عثمان حتى قدم ولد عثمان بن طلحة بن أبى طلحة وولد مُسافع بن طلحة ابن أبى طلحة من المدينة، وكانوا بها دهرًا طويلاً، فلما قدموا حجبوا مع بنى عمّهم، فولد أبى طلحة جميعًا يحجبون.

وأمّا اللواء فكان فى أيدى بنى عبد الدار كلّهم يليه منهم ذوو السّنّ والشرف فى الجاهلية حتى كان يوم أُحُد فقُتل عليه من قُتل منهم.

وأمّا السقاية والرفادة والقيادة فلم تزل لعبد مناف بن قصى يقوم بها حتى توفّى، فولى بعده هاشم بن عبد مناف السقاية والرفادة وولى عبد شمس بن عبد مناف القيادة. وكان هاشم بن عبد مناف يطعم الناس فى كل موسم بما يجتمع عنده من ترافُد قريش كان يشترى بما يجتمع عنده دقيقًا ويأخذ من كلّ ذبيحة من بدنة أو بقرة أو شاة فخذها فيجمع ذلك كلّه ثم يَحْرز به الدقيق ويطعمه الحاجّ، فلم يزل على ذلك من أمره حتى أصاب الناس فى سنة جدب شديد، فخرج هاشم بن عبد مناف إلى الشام فاشترى بما اجتمع عنده

من ماله دقيقًا وكعكًا فقدم به مكة فى الموسم فهشم ذلك الكعك ونحر الجَزُور[١] وطبخه وجعله ثريداً، وأطعم الناس وكانوا فى مجاعة شديدة حتى أشبعهم، فسُمّى بذلك هاشمًا، وكان اسمه عمرو ففى ذلك يقول ابن الزِبَعْرى السَّهْمِى[٢]:

كانت قريشُ بيضةً فتفلَّقَتْ فالمُحُّ[٣] خالصُها لعبد منافِ

الرايشين وليس يوجد رايش والقائلين هَلمَّ للأَضْياف

والخالطين غنيّهم بفقيرهم حتى يعود فقيرهم كالكاف

والضاربين الكيس تَبْرُقُ بيضُهُ والمانعين البيض بالأسياف

عمرو العلا هشم الثريد لمعشر كانوا بمكة مستتين عجاف

يعنى بعمرو العلا: هاشمًا. فلم يزل هاشم على ذلك حتى توفى. وكان عبد المطلب يفعل ذلك فلمّا توفى عبد المطلب قام بذلك أبو طالب فى كلّ موسم حتى جاء الاسلام وهو على ذلك، وكان النبى ﷺ قد أرسل بمال يعمل به الطعام مع أبى بكر رضى الله عنه حين حج أبو بكر بالناس سنة تسع، ثم عمل فى حجة النبى ﷺ فى حجّة الوداع، ثم أقام أبو بكر فى خلافته ثم عمر رضى الله عنه فى خلافته، ثم الخلفاء هَلُمَّ جراً حتى الآن[٤].

وهو طعام الموسم الذى تطعمه الخلفاء اليوم فى أيام الحج بمكة وبمنى حتى تنقضى أيام الموسم.

وأما السقاية فلم تزل بيد عبد مناف فكان يسقى الماء من بئر رُمّ، وبئر

---

(١) كذا فى الأصل، ب ومثله فى شفاء الغرام ٢/ ١١١. وفى أ: «الجُزُر» والجزور: ما يصلح لأن يُذبح من الابل. وجمعه: جُزُر.

(٢) شفاء الغرام ٢/ ١٤١.

(٣) المُحُّ: خالص كل شيء. وما فى جوف البيضة من صُفرة، أو من صفرة وبياض.

(٤) شفاء الغرام ٢/ ١٤١.

خُمّ[1] على الإبل فى المزاد والقِرَب، ثم يَسْكُب ذلك الماء فى حياض من أدم بفناء الكعبة فيَرِدُه الحاجُّ حتى يتفرّقوا، فكان يستعذب ذلك الماء، وقد كان قصىّ حفر بمكة آباراً وكان الماء بمكة عزيزاً إنّما يشرب الناس من آبار خارجة من الحرم. فأوّل من حفر قصىّ بمكة حفر بئراً يقال لها العَجُول، كان موضعها فى دار أمّ هانى بنت أبى طالب بالحَزْوَرة، وكانت العرب إذا قدمت مكة يَرِدُونها فيسقون منها ويتراجزون عليها، قال قائل فيها[2]:

أروى من العَجُول ثُمَّت انطَلَق

إن قُصيًا قـد وَفَى وقـد صَدَقْ

بالشبـع للحىّ ورىّ المغتبَـق

وحفر قصىّ أيضًا بئراً عن الردم الأعلى عند دار أبان بن عثمان التى كانت لآل جَحْش بن رئاب ثم دثرت، فنثلها جُبَيْر بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف وأحياها، ثم حفر هاشم بن عبد مناف بَذّر وقال حين حفرها لأجعلنّها للناس بلاغًا وهى البئر التى فى حقّ المقوّم ابن عبد المطّلب فى ظهر دار الطلوب مولاة زبيدة بالبطحاء فى أصل المُسْتَنْذر وهى التى يقول فيها بعض ولد هاشم:

نحن حَفَرْنا بَذَّر * بجانب المستَنْذر * نسقى الحجيج الأكبَر[3]

وحفر هاشم أيضًا سَجْلَة[4] وهى البئر التى يقال لها بئر جُبَيْر بن مطعم دخلت فى دار القوارير، فكانت سجلة لهاشم بن عبد مناف، فلم تزل لولده حتى وهبها أسد بن هاشم للمطعم بن عدى حين حفر عبد المطلب

---

(١) كذا فى شفاء الغرام ٢/١٤١. وفى الأصول: «بئر كرادم وبئرخم» ورُمّ: بئر فى ضواحى مكة، وكذلك خم بئران حفرهما عبد شمس بن عبد مناف (ياقوت).

(٢) شفاء الغرام ٢/ ١٤٢.

(٣) شفاء لغرام ٢/ ١٤٢.

(٤) سجلة: كانت برباط السدرة كما ذكر الفاسى.

زَمْزَمَ واستغنوا عنها. ويقال وهبها له عبد المطلب حين حفر عبد المطلب زمزم واستغنى عنها وسأله المطعم بن عدى أن يضع حوضًا من أدم إلى جانب زمزم يسقى فيه من ماء بئره فأذن له فى ذلك وكان يفعل، فلم يزل هاشم بن عبد مناف يسقى الحاجَّ حتى توفى فقام بَأمر السقاية بعده عبد المطلب بن هاشم، فلم يزل كذلك حتى حفر زمزم فعَفَتْ على آبار مكة كلّها وكان منها مشرب الحاج، قال وكانت لعبد المطلب إبل كثيرة، فإذا كان الموسم جمعها ثم يسقى لبنها بالعسل فى حوض من أدم عند زمزم، ويشترى الزبيب فينبذه بماء زمزم ويسقيه الحاجَّ لأنْ[1] يكسر غلظ ماء زمزم، وكانت إذ ذاك غليظة جداً وكان الناس إذ ذاك لهم فى بيوتهم أسقية يسقون فيها الماء من هذه البئار، ثم ينبذون فيها القبضات من الزبيب والتمر لأنْ يكسر عنهم غلظ ماء آبار مكة، وكان الماء العذب بمكة عزيزاً لا يوجد إلا لإنسان يستعذب له من بئر ميمون وخارج من مكة، فلبث عبد المطلب يسقى الناس حتى توفّى[2].

فقام بأمر السقاية بعده العبّاس بن عبد المطلب فلم تزل فى يده، وكان للعباس كرم بالطائف وكان يحمل زبيبه إليها، وكان يداين أهل الطائف ويقتضى منهم الزبيب فينبذ ذلك كلّه ويسقيه الحاجّ أيام الموسم حتى ينقضى فى الجاهلية وصدر الاسلام حتى دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح فقبض السقاية من العباس بن عبد المطلب والحجابة من عثمان بن طلحة.

فقام العباس بن عبد المطلب فبسط يده وقال: يا رسول الله بأبى أنت وأمّى اجمع لنا الحجابة والسقاية، فقال رسول الله ﷺ: أعطيكم ما ترزءون فيه ولا ترزءون منه. فقام بين عضادتى باب الكعبة فقال: ألا إن كلَّ دم أو مال أو مأثرة كانت فى الجاهلية فهى تحت قدمىّ هاتَيْن إلا سقاية الحاجّ وسدانة

(١) لدى الفاسى ٢/ ١٤٣: «لأنه».
(٢) شفاء الغرام ٢/ ١٤٣.

الكعبة، فإنّي قد أمضيتهما لأهلهما على ما كانتا عليه فى الجاهلية فقبضها العباس فكانت فى يده حتى توفّى فوليها بعده عبد الله بن العباس رضى الله عنه فكان يفعل فيها كفعله دون بنى عبد المطلب.

وكان محمد بن الحنفية قد كلّم فيها ابن عباس فقال له ابن عباس: ما لك ولها نحن أولى بها فى الجاهلية والإسلام، قد كان أبوك تكلّم فيها فأقمت البيّنة. [وشهد لى] طلحة بن عبيد الله، وعامر بن ربيعة، وأزهر بن عبد عوف، ومَخْرَمة بن نوفل أن العباس بن عبد المطلب كان يليها فى الجاهلية بعد عبد المطلب، وجَدُّك أبو طالب فى إبله فى باديته بعُرَنَةَ وأن رسول الله ﷺ أعطاها العباس يوم الفتح دون بنى عبد المطلب فعرف ذلك من حضر[1].

فكانت بيد عبد الله بن عباس بعد أبيه ولا ينازعه فيها منازع ولا يتكلّم فيها متكلّم حتى توفّى فكانت بيد على بن عبد الله بن عباس يفعل فيها كفعل أبيه وجدّه يأتيه الزبيب من ماله بالطائف وينبذ حتى توفى وكانت بيد ولده حتى الآن[2].

وأمّا القيادة فوليها من بنى عبد مناف عبد شمس بن عبد مناف، ثم وليها من بعده أُميَّة بن عبد شمس، ثم من بعده حَرْب بن أمية. فقاد بالناس يوم عُكَاظ فى حرب قريش وقيس عَيْلانِ، وفى الفجارَيْن: الفجار الأول والفجار الثانى. وقاد الناس قبل ذلك بذات نكيف فى حرب قريش وبنى بكر بن عبد مناة بن كنانة، والأحابيش يومئذ مع بنى بكر تحالفوا[3] على جبل يقال له الحُبْشِىّ على قريش فسُمُّوا الأحابيش بذلك[4].

---

(١) شفاء الغرام ٢/ ١٤٤ وما بين حاصرتين منه.

(٢) شفاء الغرام ٢/ ١٤٤.

(٣) كذا فى الأصل، ب ومثله فى شفاء الغرام. وفى أ: «يحالفوا».

(٤) شفاء الغرام ٢/ ١٤٤.

ثم كان أبو سفيان بن حرب يقود قريشًا بعد أبيه حتى كان يوم بَدْر فقاد الناس عُتْبَة بن ربيعة بن عبد شمس، وكان أبو سفيان بن حرب في العير يقود الناس، فلمّا أن كان يوم أُحُد قاد الناس أبو سفيان بن حرب وقاد الناس يوم الأحزاب وكانت آخر وقعة لقريش وحرب حتى جاء الله بالإسلام وفتح مكة[1].

* * *

ما جاء فى انتشار ولد إسماعيل وعبادتهم الحجارة وتغيير الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام

حدثنا أبو الوليد، قال: حدثنى جدّى قال حدثنا سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، قال: أخبرنى ابن إسحاق أن بنى إسماعيل وجُرْهم من ساكنى مكة ضاقت عليهم مكة فتفسّحوا فى البلاد والتمسوا المعاش، فيزعمون أن أوّل ما كانت عبادة الحجارة فى بنى إسماعيل أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم إلاّ احتملوا معهم[2] من حجارة الحرم تعظيمًا للحرم وصبابة بمكة وبالكعبة حيث ما حَلُّوا وضعوه فطافوا به كالطواف بالكعبة، حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة وأعجبهم من حجارة الحرم خاصّة، حتى خلفت الخُلُوفُ بعد الخلوف ونسوا ما كانوا عليه، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم من قبلهم من الضلالات وانتحوا[3] ما كان يعبد قوم نوح منها على إرْث ما كان بقى فيهم من ذكرها وفيهم على ذلك بقايا من عهد

(١) شفاء الغرام ٢/ ١٤٤.

(٢) كذا فى الأصل، أ، ومثله فى شفاء الغرام. وفى ب: «إلا احتمل معه».

(٣) كذا فى الأصل وتحت حاء الكلمة علامة الإهمال للتأكيد ومثله فى أ، وشفاء الغرام. وفى ب: «انتجسوا».

إبراهيم وإسماعيل يتمسكون[١] بها من تعظيم البيت والطواف به والحجّ والعمرة والوقوف على عرفة ومزدلفة وهدى البُدْن والإهلال بالحج والعمرة مع إدخالهم فيه ما ليس منه[٢].

وكان أوّل من غيّر دين إبراهيم وإسماعيل ونصب الأوثان وسيّب السائبة وبحر البحيرة ووصل الوصيلة وحمى الحام: عَمرو بن لحُى[٣].

حدثنا جدّى قال: حدثنا سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج قال: أخبرنى ابن جريج قال: قال عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: رأيت عمرو بن لحى يجرُّ قصبه - يعنى أمعاءه - فى النار على رأسه فَرْوَة فقال له رسول الله ﷺ: من فى النار؟ قال: من بينى وبينك من الأمم وقال رسول الله ﷺ: هو أول من جعل البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ونصب الأوثان حول الكعبة وغيّر الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام.

* * *

باب ما جاء فى أول من نصب الأصنام فى الكعبة والاستقسام بالأزلام

حدثنا أبو الوليد، قال: حدثنى جدّى أحمد بن محمد، قال: حدثنا سعيد بن سالم القَدَّاح، عن عثمان بن ساج، قال: أخبرنى محمد بن إسحاق قال: إن البئر التى كانت فى جوف الكعبة كانت على يمين من دخلها وكان عمقها ثلاثة أذرع. يقال: إن إبراهيم وإسماعيل حفراها ليكون فيها ما يُهْدَى للكعبة، فلم تزل كذلك حتى كان عمرو بن لحُىّ فقدم بصنَم

(١) كذا فى الأصل، أ. ومثله فى شفاء الغرام. وفى ب: «يتنسكون».

(٢) شفاء الغرام ٢/ ٣٥ - ٣٦.

(٣) شفاء الغرام ٢/ ٣٦.

يقال له هُبَل من هيت من أرض الجزيرة، وكان هُبَلُ من أعظم أصنام قريش عندها، فنصبه على البئر فى بطن الكعبة وأمر الناس بعبادته. فكان الرجل إذا قدم من سفر بدأ به على أهله بعد طوافه بالبيت وحلق رأسه عنده وهُبَلُ الذى يقول له أبو سفيان يوم أُحُد: اعلُ هبل أى أظهر دينك، فقال النبىُّ ﷺ: الله أعلى وأجل وكان اسم البئر التى فى بطن الكعبة الأَخْسَف وكانت العرب تسميّها الأَخْشف.

قال محمد بن إسحاق كان عند هُبَلَ فى الكعبة سبعة قداح كلُّ قدح منها فيه كتاب، قدح فيه العَقْل إذا اختلفوا فى العقل من يحمله منهم ضربوا بالقداح السبعة عليهم فعَلَى من خرج حمله وقدح فيه نعم للأمر إذا أرادوه يُضْرُب به فى القداح، فإن خرج قدح فيه نعم حملوا به. وقدح فيه لا، فإذا أرادوا الأمر ضربوا به فى القداح فإذا خرج ذلك القدح لم يفعلوا ذلك الأمر. وقدح فيه منكم. وقدح فيه مُلْصَق وقدح فيه من غيركم. وقدح فيه المياه، فإذا أرادوا أن يحفروا للماء ضربوا بالقداح وفيها ذلك القدح فحيثما خرج عملوا به[١].

وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلامًا أو[٢] ينكحوا منكحًا أو يدفنوا ميتًا أو شكُّوا فى نسب أحد، ذهبوا به إلى هُبَلَ وبمائة درهم وجَزُور فأعطوها صاحب القداح الذى يضرب بها، ثم قرّبوا صاحبهم الذى يريدون به ما يريدون، ثم قالوا: يا إلهنا، هذا فلان أردنا به كذا وكذا، فَأَخْرِجِ الحقَّ فيه ثم يقولون لصاحب القداح: اضرب، فإن خرج منكم كان منهم وسطًا[٣] وإن خرج عليه من غيركم كان حليفًا وأن خرج عليه ملصق كان ملصقًا على منزلته فيهم لا نسبَ له ولا حِلْفَ، وإن خرج عليه شىء مما سوى هذا مما

---

(١) ابن هشام ١/ ١٥٢.

(٢) كذا فى الأصل، ب. وفى أ: «أن».

(٣) كذا فى الأصل، ومثله لدى الفاسى فى شفاء الغرام ٢/ ٤٤ وهو ينقل عن المصنف وفى أ، ب وسيطا».

يعملون به نعم عملوا به. وإن خرج لا، أَخَّروه عامهُ ذلك حتى يأتوا به مرّة أخرى ينتهون فى أمرهم ذلك إلى ما خرجت به القداح، وبذلك فعل عبد المطلب بابنه حين أراد أن يذبحه[١].

وقال محمد بن إسحاق: كان هُبَلُ من خرز[٢] العقيق على صورة إنسان، وكانت يده اليمنى مكسورة فأدركَتْه قريش فجعلَتْ له يداً من ذهب، وكانت له خزانة للقربان، وكانت له سبعة قداح يضرب بها على الميت والعذرة والنكاح، وكان قربانه مائة بعير، وكان له حاجب، وكانوا إذا جاءوا هُبَلَ بالقربان ضربوا القداح وقالوا:

إنا اختلفنا فهَبِ السراحا
ثلاثة يا هبل فصاحا
الميت والعذرة والنكاحا
والبُرْء فى المرضى والصحاحا
إن لم تَقُلْه فَمُرِ القِداحا

* * *

باب ما جاء فى أول من نصب الأصنام وما كان من كسرها

حدثنا أبو الوليد، قال: حدثنى جدّى، عن سعيد بن سالم، عن عثمان ابن ساج، قال: حدثنى محمد بن إسحاق: أن جُرْهُم لما طَغَت فى الحرم دخل رجل منهم بامرأة منهم الكعبة ففجر بها، ويقال: إنّما قبّلها فيها فمُسِخَا حجرَيْن، اسم الرجل إسَافُ بن بغا، واسم المرأة نَائلَة بنت ذئب، فأخرجا

---

(١) شفاء الغرام ٢/ ٤٤٤.

(٢) كذا فى الأصول. ولدى الفاسى وهو ينقل عن المصنف: «حجر».

من الكعبة، فنُصب أحدهما على الصَّفا والآخر على المَرْوَة، وإنّما نُصبا هنا ليعتبر بهما الناس ويزدجروا عن مثل ما ارتكبا لما من يرون الحال التى صارا إليها، فلم يزل الأمر يدرس ويتقادم حتى صارا يُمَسَّحان يُتَمَسَّحُ بهما من وقف على الصفا والمروة، ثم صارا وثَنَيْن يُعْبَدان، فلمّا كان عمرو بن لُحَىّ أمر الناس بعبادتهما والتمسَّح بهما، وقال للناس: إن من كان قبلكم كان يعبدهما.

فكانا كذلك حتى كان قُصَىٌّ بن كلاب فصارت إليه الحجابة وأمر مكة فحَوَّلهما من الصفا والمروة، فجعل أحدهما بلصْق الكعبة وجعل الآخر فى موضع زمزم. ويقال: جعلهما جميعًا فى موضع زمزم. وكان ينحر عندهما. وكان أهل الجاهلية يمُرّون بإساف ونائلة ويتمسّحون بهما. وكان الطائف إذا طاف بالبيت يبدأ بإساف فيستلمه فإذا فرغ من طوافه ختم بنائلة فاستلمها.

فكانا كذلك حتى كان يوم الفتح فكسّرها رسول الله ﷺ مع ما كسر من الأصنام.

حدثنى محمد بن يحيى المدينى عن إبراهيم بن محمد بن أبى يحيى، عن ابن حَزْم، عن عمرة أنها قالت: كان إساف ونائلة رجل وامرأة فمسخا حجرين، فأخْرجا من جوف الكعبة وعليهما ثيابهما، فجعل أحدهما بلصق الكعبة والآخر عند زمزم. وكان يطرح بينهما ما يُهْدَى للكعبة. ويقال: إن ذلك الموضع كان يُسَمَّى الحطيم. وإنما نُصبا هنالك ليعتبر بهما الناس، فلم يزل أمرهما يُدرس حتى جُعلاَ وثَنَيْن يُعْبَدان، وكانت ثيابهما كلّما بليتْ أخلفوا لهما ثيابًا ثم أخذ الذى بلصق الكعبة فجُعل مع الذى عند زمزم. وكانوا يذبحون عندهما. ولم تكن تدنو منهما امرأة طامث، ففى ذلك يقول الشاعر بشر بن أبى حازم الأسدى أسد خُزَيْمة:

عليـه الطيـر مـا يدنون منه   مقامات العوارك من إساف

حدثنى جدّى، قال: حدثنا سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، قال:

أخبرنى ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبى بكر، عن على بن عبد الله بن عباس قال: لقد دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح وأن بها ثلاثمائة وستّين صنمًا قد شدّها إبليس بالرَّصَاص وكان بيد رسول الله ﷺ قضيب فكان يقوم عليها، ويقول: جاء الحقُّ وزَهَقَ الباطلُ إن الباطل كان زهوقًا، ثم يشير إليها بقضيبه فتتساقط على ظهورها.

وحدثنى جدّى، عن سفيان بن عُيَيْنة، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، عن أبى معمر، عن عبد الله بن مسعود، قال: دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح وحول الكعبة ثلاثمائة وستّون صنمًا، فجعل يطعنها، ويقول: جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا، جاء الحقُّ وما يبدئ الباطل وما يعيد.

حدثنا محمدبن يحيى، قال: حدثنا عبد العزيز بن عمران، عن محمد بن عبد العزيز، عن ابن شهاب، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس، قال: دخل رسول الله ﷺ مكة وحَوْل الكعبة ثلاثمائة وستّون صنمًا منها ما قد شدّ بالرصاص فطاف على راحلته وهو يقول: جاء الحقُّ وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا، ويشير إليها فما منها صنم أشار إلى وجهه إلا وقع على دبره، ولا أشار إلى دبره إلا وقع على وجهه حتى وقعت كلُّها.

وقال ابن اسحاق لمّا صلّى النبىُّ ﷺ الظهر يوم الفتح أمر بالأصنام التى كانت حول الكعبة كلّها فجُمعت ثم حُرقت بالنار وكُسّرت. وفى ذلك يقول فَضَالَةُ بن عُمَيْر بن المُلَوَّح اللَّيْثى فى ذكر يوم الفتح[1]:

أوَمَا رَأَيْتِ محمدًا وجنوده ... بالفتح يوم تُكَسَّرُ الأصنامُ
لَرَأَيْتِ نور الله أَصبَحَ بيِّنًا ... والشِّرْكُ يَغْشَى وَجْهَهُ الإظْلاَمُ

---

(١) شفاء الغرام ٢/٤٤٦.

حدثنى جدّى عن محمد بن إدريس، عن الواقدى، عن ابن أبى سبْرة، عن حسين بن عبد لله بن عبيد الله بن عباس، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: ما يزيد رسول الله ﷺ على أن يشير بالقضيب إلى الصنم فيقع لوجهه. فطاف رسول الله سبعًا على راحلته يستلم الركن الأسود بِمِحْجَنه، فلمّا فرغ من سبعة نزل عن راحلته ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى المقام. وجاءه معمر بن عبد الله بن نضلة فأخرج راحلته والدرع عليه والمغفر وعمامته بين كتفَيْه فصلّى ركعتَيْن ثم انصرف إلى زمزم فاطلع فيها وقال: لولا أن تغلب عبد المطلب لنزعت منها دلواً، فنزع له العباس بن عبد المطلب دلوا فشرب وأَمَرَ بهُبَلَ فكُسّر وهو واقف عليه. فقال الزُّبير بن العَوَّام لأبى سفيان بن حرب: أبا سفيان قد كُسّر هُبَلُ أما إنك قد كنت منه يوم أُحُد فى غرور حين تزعم أنه قد أنعم عليك. فقال أبو سفيان: دَعْ هذا عنك يابن العَوَّام فقد أرى أن لو كان مع إله مُحَمَّدٍ غيره لكان غير ما كان.

حدثنى جدّى، عن محمد بن إدريس، عن الواقدى، عن أشياخه قالوا كان إساف ونائلة رجلاً وامرأة، الرجلُ إساف بن عمرو والمرأة نائلة بنت سُهيْل من جرهُم، فزَنَيَا فى جوف الكعبة فمُسخا حجرَيْن فاتّخذوهما يعبدونهما. وكانوا يذبحون عندهما ويحلقون رءوسهم عندهما إذا نسكوا. فلمّا كُسِّرَت الأصنامُ كُسِّرَا فخرجت من أحدهما امرأة سوداء شمطاء تخمش وجهها عريانة ناشرة الشعر تدعو بالويل، فقيل لرسول الله ﷺ فى ذلك، فقال: تلك نائلة قد أَيِسَتْ أن تُعْبَدَ ببلادكم أبداً.

ويقال: رَنَّ إبليسُ ثلاث رَنّات رَنَّة حين لُعِنَ فتغيَّرت صورتُه عن صورة الملائكة، ورنَّة حين رأى رسول الله ﷺ قائمًا بمكة يصلى، ورنة حين افتتح رسول الله عليه لسلام مكة فاجتمعت إليه ذريته. فقال إبليس: ايئسُوا أن تردُّوا أمة محمد على الشركِ بعد يومهم هذا أبداً، ولكن أَفْشُوا فيهم النَّوْحَ والشعر.

وذكر الواقدى عن أشياخه قال: نادى منادى رسول الله ﷺ يوم الفتح، بمكة: من كان يؤمن بالله ورسوله فلا يَدَعَنَّ فى بيته صنمًا إلا كسره، فجعل المسلمون يكسرون تلك الأصنام. قال: وكان عكرمة بن أبى جهل حين أسلم لا يسمع بصنم فى بيت من بيوت قريش إلا مشى إليه حتى يكسره، وكان أبو تجارة يعملها فى الجاهلية ويبيعها. ولم يكن فى قريش رجل بمكة إلا وفى بيته صنم.

وقال الوَاقدىّ وحدثنى ابن أبى سَبْرَةَ، عن سليمان بن سُحيْم، عن بعض آل جُبَيَر بن مُطْعم، عن جبير بن مطعم، قال: لـمّا كان يوم الفتح نادى منادى رسول الله ﷺ: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يتركن فى بيته صنمًا إلا كسره وأحرقه وثمنُه حرام: قال جبير: وقد كنت أرى قبل ذلك الأصنام يطاف بها فيشتريها أهل البدو فيخرجون بها إلى بيوتهم، وما من رجل من قريش إلا وفى بيته صنم إذا دخل يمسحه وإذا خرج يمسحه تبرُكًا به.

قال الوَاقِدِىّ: وأخبرنا عبد الرحمن بن أبى الزناد، عن عبد الحميد بن سهيل، قال: لـمّا أسلمت هند بنت عتبة جعلت تضرب صنمًا فى بيتها بالقدوم فلذةً فلذة، وهى تقول: كُنَّا منك فى غرور.

* * *

باب ما جاء فى الأصنام التى كانت على الصفا والمروة ومن نصبها وما جاء فى ذلك

حدثنا أبو الوليد، قال: حدثنا جدّى، قال: حدثنا سعيد بن سالم القَدَّاح، عن عثمان بن ساج، قال: أخبرنى ابن إسحاق، قال: نصب عَمرو ابن لُحَى الخُلَصَةَ بأسْفل مكة فكانوا يلبسونها القلائد ويهدون إليها الشعير

والحنطة ويصبّون عليها اللَّبَنَ ويذبحون لها ويعلّقون عليها بيض النعام. ونصب على الصفا صنمًا يقال له: نهيك مجاود الريح. ونصب على المروة صنمًا يقال له مطعم الطير.

* * *

ما جاء فى مناة وأول من نصبها

حدثنا أبو الوليد، قال: حدثنى جدّى، قال: حدثنا سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، قال: أخبرنى محمد بن إسحاق، أن عمرو بن لُحىّ نصب مَنَاَة على ساحل البحر ممّا يلى قُدَيْداً وهى التى كانت للأزْد وغَسَّان يحجّونها ويعظّمونها، فإذا طافوا بالبيت وأفاضوا من عرفات وفرغوا من مِنى لم يحلقوا إلا عند مناة، وكانوا يُهِلُّون لها ومن أهلّ لها لم يطفْ بين الصفا والمروة لمكان الصنمين اللذين عليهما نهيك مجاود الريح، ومطعم الطير.

وكان هذا الحىّ من الأنصار يهلُّون بمَنَاةَ وكانوا إذا أهلّوا بحجّ أو عمرة لم يُظِلّ أحداً منهم سقفُ بيت حتى يفرغ من حجته أو عمرته. وكان الرجل إذا أحرم لم يدخل بيته وإن كانت له فيه حاجة تسوّر من ظهر بيته لِئلا يَجُنَّ رِتَاجُ الباب رأسَهُ، فلمّا جاء الله بالإسلام وهدم أمر الجاهلية أنزل الله تعالى فى ذلك ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ ﴾ [البقرة:١٨٩] قال: وكانت مناةُ للأوس والخزرج وغسّان من الأزد ومن دان بدينهم من أهل يَثْرب وأهل الشام. وكانت على ساحل البحر من ناحية الْمُشَلَّل بقُدَيْد.

وحدثنى جدّى، عن سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، قال: أخبرنى محمد بن السائب الكلبى قال: كانت مناة صخرة لهُذيل وكانت بقُدَيْد.

* * *

باب ما جاء فى اللات والعُزى وما جاء فى بدوهما كيف كان

حدثنا أبو الوليد، قال: حدثنى جدّى، عن سعيد بن سالم، عن عثمان ابن ساج، عن محمد بن السائب الكلبى، عن أبى صالح، عن ابن عباس أن رجلاً ممّن مضى كان يقعد على صخرة لثقيف يبيع السمن من الحاجّ إذا مَرُّوا فيَلُتُّ سويقهم وكان ذا غنم فسميت صخرة اللاّتَ فمات، فلمّا فقده الناس قال لهم: عمرو: إن ربَّكم كان اللات فدخل فى جوف الصخرة. وكان العُزَّى ثلاث شجرات سَمُرات بنخلة، وكان أول من دعا إلى عبادتها عمرو بن ربيعة والحارث بن كعب. وقال لهم عمرو: إن ربَّكم يتصيف باللات لبرد الطائف ويشتو بالعُزى لحَرِّ تِهَامَةَ. وكان فى كلّ واحدة شيطان يُعْبَدُ، فلمّا بعث الله محمدًا ﷺ بعث بعد الفتح خالد بن الوليد إلى العُزَّى ليقطعها فقطعها، ثم جاء إلى النبىّ ﷺ فقال له النبى ﷺ: ما رأيت فيهنَّ؟ قال: لا شىء، قال: ما قطعتهنّ فارجع فاقطع فرجع فقطع فوجد تحت أصلها امرأة ناشرة شعرها قائمة عليهن كأنها تنوح عليهن فرجع فقال: إنى رأيت كذا وكذا، قال: صدقت.

حدثنى جدّى، قال: حدثنا سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، قال: أخبرنا محمد بن إسحاق أن عمرو بن لحُى اتخذ العُزَّى بنخْلَةَ فكانوا إذا فرغوا من حجهم وطوافهم بالكعبة لم يحلُّوا حتى يأتوا العزى فيطوفون بها ويحلُّون عندها ويعكفون عندها يومًا، وكانت لخزاعة. وكانت قريش وبنو كنانة كلُّها يعظّم العزى مع خزاعة وجميع مُضَر، وكان سدنتها الذين يحجبونها بنى شيبان من بنى سُلَيم حُلَفاء بنى هاشم.

وقال عثمان: وأخبرنى محمد بن السائب الكلبى، قال: كانت بنو نَصْر وجُشَم وسعد بن بكر وهم عجزُ هَوَازن يعبدون العزى. قال الكلبى: وكانت

اللات والعزى ومناة فى كل واحدة منهن شيطانة تكلّمهم وترايا للسدنة وهم الحجبة، وذلك من صنيع إبليس وأمره.

حدثنى جدّى عن محمد بن إدريس عن الواقدى عن عبد الله بن يزيد عن سعيد بن عمرو الهذلى، قال قدم رسول الله ﷺ مكة يوم الجمعة لعشر ليال بقين من شهر رمضان، فبثّ السرايا فى كلّ وجه يأمرهم أن يغيروا على من لم يكن على الإسلام، فخرج هشام بن العاصى فى مائتين قِبَل يَلَمْلم، وخرج خالد بن سعيد بن العاصى فى ثلاثمائة قِبَل عُرَنَةَ، وبعث خالد بن الوليد إلى العزى يهدمها، فخرج خالد فى ثلاثين فارسًا من أصحابه إلى العزى حتى انتهى إليها فهدمها ثم رجع إلى النبىّ ﷺ فقال: أَهَدَمْتَ؟ قال: نعم يا رسول الله. قال: هل رأيت شيئًا؟ قال: لا. قال: فإنك لم تهدمها، فارجع إليها فاهدمها. فخرج خالد بن الوليد وهو متغيّظ فلمّا انتهى إليها جرّد سيفه فخرجت إليه امرأة سوداء عريانة ناشرة شعرها فجعل السادن يصيح بها، قال خالد: وأخذنى اقشعرار فى ظهرى فجعل يصيح بها ويقول[1]:

أَعُزَّاىَ شُدّى شَدَّةً لا تكـذبى ... أعُزَّى أَلْقِى بالقِنَاع وشَمِّرِى

أَعُزَّاىَ إن لم تَقْتُلى المرء خالدًا ... فبُوئى بإثم عاجـلٍ أو تَنصَّرى

فأقبل خالد بن الوليد بالسيف إليها وهو يقول:

[يا عُزَّ] كفرانك لا سبحانك ... إنى رأيت الله قـد أهـانك[2]

قال: فضربها بالسيف فجزلها باثنتين، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره فقال: نعم تلك العزى قد أيسَتْ أن تُعْبَدَ ببلادكم أبدًا. ثم قال خالد: يا رسول الله، الحمد لله الذى أكرمنا بك وأنقذنا من الهلكة. لقد كنت أرى أبى يأتى العزى بخير ماله من الإبل والغنم فيذبحها للعزى ويقيم

---

(١) كتاب الطبقات الكبير لابن سعد ٥/ ٣٢.

(٢) المصدر السابق، وما بين حاصرتين منه.

عندها ثلاثًا ثم ينصرف إلينا مسرورًا. ونظرت إلى ما مات عليه أبى وإلى ذلك الرأى الذى كان يعاش فى فضله وكيف خدع حتى صار يذبح لما لا يسمع ولا يبصر ولا يضرُّ ولا ينفع فقال رسول الله ﷺ: إن هذا الأمر إلى الله فمن يَسَّرَهُ للهُدَى تَيَسَّرَ له ومن يسّره للضلالة كان فيها، وكان هدمها لخمس ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان، وكان سادنُها أَفْلح بن النضر السُّلَمى من بنى سُلَيْم، فلمّا حضرتْه الوفاة دخل عليه أبو لهب يعوده وهو حزين فقال له: ما لى أراك حزينًا قال: أخاف أن تضيع العُزَّى من بعدى، قال له أبو لهب: فلا تحزن فأنا أقوم عليها بعدك فجعل أبو لهب يقول لكلّ من لقى: إن تظهر العزى كنت قد اتخذت عندها يدًا بقيامى عليها، وإن يظهر محمد على العزى ـ وما أراه يظهر ـ فابن أخى فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [المسد: ١].

حدثنى جدّى، قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن عبد الملك بن عُمَيْر، عمّن حدّثه، قال: جاء حَسَّان بن ثابت الأنصارى إلى رسول الله ﷺ وهو فى المسجد فقال: يا رسول الله، ائذن لى أن أقول فإنى لا أقول إلا حقًا، قال: قُلْ فأنشأ يقول:

شهـــدت بإذْن الله أن محمَّدًا رسولُ الذى فوق السموات مِنْ عَل

فقال رسول الله ﷺ وأنا أشهد، فقال حسان بن ثابت:

وأن أبا يحيى ويحيى كلاهما[1] له عمل فى دينــه متقبّلُ

فقال رسول الله ﷺ: وأنا أشهد، فقال حسان بن ثابت:

وأن الذى عـــاد اليهـودُ ابن مريم

رسولٌ أتى من عند ذى العرش مُرْسَلُ

فقال النبى ﷺ: وأنا أشهد، فقال حسان بن ثابت:

(١) كذا فى الأصل، ومثله فى الديوان وطبقات ابن سعد والأغانى، وفى أ، ب «كليهما».

وأن أخا الأحْقاف إذ يعذلونه[١] يجاهد فى ذات الإله ويَعْدِلُ

فقال رسول الله ﷺ: وأنا أشهد، فقال حسان بن ثابت:

وأن التى[٢] بالجَزْع من بطن نَخْلَةَ ومن دانها فِلٌّ عن الحقّ مُعْزَل

فقال النبى ﷺ: وأنا أشهد[٣].

قال سفيان: يعنى العزى، وأما مناة فكانت بالمُشَلَّل من قُدَيْد.

* * *

ما جاء فى ذات أنواط

حدثنا أبو الوليد، قال: حدثنى جدّى، عن محمد بن إدريس، عن محمد بن عمر الواقدى، عن معمر بن راشد البصرى، عن الزُّهْرى، عن سنان بن أبى سنان الديلى، عن أبى واقد الليثى - وهوالحارث بن مالك - قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنَيْن وكانتْ لكفار قريش ومن سواهم من العرب شجرة عظيمة خضراء يقال لها ذات أَنْواط يأتونها كل سنة فيعلّقون عليها أَسْلِحَتَهم ويذبحون عندها ويعكفون عندها يومًا، قال: فرأَيْنا يومًا ونحن نسير مع النبى ﷺ شجرة عظيمة خضراء فسايرتنا من جانب الطريق فقُلْنا يا رسول الله، اجعلْ لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال رسول الله ﷺ الله أكبر الله أكبر، قلتم والذى نفس محمد بيده كما قال قوم موسى. اجعلْ لنا إلهًا كما لهم آلهة، قال: إنكم قوم تجهلون الآية إنها السُّنَنُ سُنَنُ مَنْ كان قبلكم.

---

(١) فى الأصل، أ: «يعدلونه» بالدال المهملة. والمثبت من ب والديوان وطبقات ابن سعد والأغانى.

(٢) كذا فى الأصل، ب، والديوان وطبقات ابن سعد. وفى أ «الذى» ومثله فى الأغانى.

(٣) الطبقات الكبير لابن سعد ٤/٣٢٣، والديوان ٣٠٥، والأغانى ٤/١٥٢.

حدثنى جدّى، عن محمد بن إدريس، عن الواقدى، قال: أخبرنى ابن أبى حبيبة عن داود بن الحسين، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كانت ذات أنواط شجرة يعظّمها أهل الجاهلية يذبحون لها ويعكفون عندها يومًا، وكان من حجّ منهم وضع زاده عندها ويدخل بغير زاد تعظيمًا لها. فلمّا مرّ رسول الله ﷺ إلى حُنَيْن قال له رهط من أصحابه - فيهم الحارث بن مالك يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، قال: فكبّر رسول الله ﷺ وقال: هكذا فعل قوم موسى بموسى عليه السلام.

* * *

ما جاء فى كسر الأصنام

حدثنا أبو الوليد قال حدثنى جدّى عن محمد بن إدريس عن محمد بن عمر الواقدي قال: أخبرنى عبد الله بن يزيد عن سعيد بن عمرو الهُذَلى قال لـمّا فتح رسول الله ﷺ مكة بثّ السرايا فبعث خالد بن الوليد إلى العُزَّى وبعث إلى ذى الكَفَّين صَنَمِ عمرو بن حُمَمَةَ الطُّفَيْلَ بن عمرو الدَّوْسى فجعل يحرقه بالنار ويقول:

يا ذا الكفين لست من عبادكا

ميلادنا أقدم من ميلادكا

إنى حَشَشْتُ النار فى فؤادكا[1]

وبعث سعيد بن عبيد الأَشْهَلى إلى مَنَاةَ بالمُشَلَّل فهدمها، وبعث عمرو بن العاصى إلى سُوَاع صنم هُذَيْل فهدمه. وكان عمرو: يقول انتهيتُ إليه وعنده السادن فقال: ما تريد؟ قلت: هدم سُوَاع، قال: وما لك وله؟ قلت: أمرنى

(١) كذا فى ب، ومثله فى كتاب الطبقات الكبير ٢/١٤٥. وفى الأصل، أ، الألف ساقطة.

رسول الله ﷺ، قال: لا تقدر على هدمه، قلتُ: لم؟ قال يمتنع. قال عمرو: حتى الآن أنت فى الباطل ويحك! وهل يسمع ويبصر؟ قال عمرو: فَدَنَوتُ منه فكسرتُهُ وأمرت أصحابى فهدموا بيت خزانته ولم يجدوا فيه شيئًا، ثم قلتُ للسادن: كيف رأيت؟ قال: أسلمت لله تعالى.

* * *

مسير تبّع إلى مكة شرفها الله تعالى

حدثنا أبو الوليد، قال: حدثنى جدّى، عن سعيد بن سالم، عن عثمان ابن ساج، قال: أخبرنى ابن إسحاق قال: سار تُبَّع الأول إلى الكعبة وأراد هدمها وتخريبها، وخزاعة يومئذ تلى البيت وأمر مكة. فقامت خزاعة دونه وقاتلت عنه أشدَّ القتال حتى رجع ثم تُبَّع آخر فكذلك.

وأمّا التبابعة الذين أرادوا هدم الكعبة وتخريبها ثلاثة، وقد كان قبل ذلك منهم من يسير فى البلاد فإذا دخل مكة عظّم الحرم والبيت وأمّا التُبَّع الثالث الذى أراد هدم البيت فإنّما كان فى أول زمان قريش.

قال: وكان سبب خروجه ومسيره إليه أن قومًا من هُذَيْل من بنى لحيان جاءوه فقالوا: إن بمكة بيتًا تعظّمه العرب جميعًا وتَفِدُ إليه وتنحر عنده وتحجُّه وتعتمره، وأن قريشًا تليه فقد حازت شرفه وذكره وأنت أولى أن يكون ذلك البيت وشرفه وذكره لك، فلو سِرْتَ إليه وخربته وبنيت عندك بيتًا ثم صرفت حاجّ العرب إليه كنت أحقَّ به منهم.

قال: فأجمع المسير إليه.

حدثنى جدّى، قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن موسى بن عيسى المدينى، قال: لما كان تُبَّع بالدَّف من جُمْدَانَ بين أَمَجَ وعُسْفَانَ دَفَّتْ بهم دوابُّهم وأظلمت عليهم، فدَعَا أحباراً كانوا معه من أهل الكتاب فسألهم فقالوا: هل

هممتَ لهذا البيت بشيء؟ قال: أردت أن أهدمه قالوا: فأنو له خيرًا أن تكسوه وتنحر عنده. ففعل فانجلتْ عنهم الظلمة، وإنّما سُمّى الدف من أجل ذلك.

ثم رجع إلى حديث ابن إسحاق، قال: فسار حتى إذا كان بالدفّ من جُمْدان بين أَمَج وعُسْفان دفّت بهم الأرض وغشيَتْهم ظلمة شديدة وريح، فدعا أحبارًا كانوا معه من أهل الكتاب فسألهم فقالوا: هل هممت لهذا البيت بسوء؟ فأخبرهم بما قال له الهُذليون وبما أراد أن يفعل. فقالت الأحبار والله ما أرادوا إلا هلاكك وهلاك قومك إن هذا بيت الله الحرام ولم يرِدْهُ أحد قط بسوء إلا هلك. قال: فما الحيلة؟ قالوا: تَنْوِى له خيرًا أن تعظّمه وتكسوه وتنحر عنده وتحسن إلى أهله ففعل، فانجَلتْ عنهم الظلمة وسكنت الريح وانطلقت بهم ركابهم ودوابهم. فَأمر تُبَّع بالهُذَليين فضُربت أعناقهم وصلبهم وإنما كانوا فعلوا ذلك حسدًا لقريش على ولايتهم البيت.

ثم سار تُبَّع حتى قدم مكة فكانت سلاحه بقُعَيْقعان فيقال: فبذلك سُمّى قُعَيْقعان، وكانت خَيْلُه بأجْيَاد، ويقال: إنما سُمّيت أجياد أجيادًا بجياد خيل تُبَّع. وكانت مطابخه فى الشعب الذى يقال له شعب عبد الله بن عامر بن كُرَيْز فلذلك سُمّى الشعب المطابخ.

فأقام بمكة أيامًا ينحر فى كلّ يوم مائة بدنة لا يرزأ هو ولا أحد مّمن فى عسكره منها شيئًا يردها الناس فيأخذون. منها حاجتهم، ثم تقع الطير فتأكل، ثم تنتابها السباع إذا امست لا يصدّ عنها[1] شىء من الأشياء إنسان ولا طائر ولا سبع يفعل ذلك كلَّ يوم مقامه أجمع. ثم كسا البيت كسوة كاملة كساه العَصْبَ وجعل له بابًا يغلق بضَبّة فارسية.

قال ابن جريج: كان تُبَّع أول من كسا البيت كسوة كاملة أرى فى المنام أن

(١) كذا فى الأصل، ومثله فى ب. وفى أ: «لا يصدعها».

يكسوها فكساها الأنُطاع، ثم أرى أن يكسوها فكساها الوصائل ثياب حبرة من عَصْب اليمن، وجعل لها بابًا يغلق ولَم يكن يغلق قبل ذلك.

وقال تُبَّع في ذلك[1]، وفي مسيره شعراً:

وكسونا البيت الذى حرم اللـــــــه مُـــلاء معصّبا وبُــرُوداً

وأقمنا به من الشهر عشراً وجعلنـــا لبـــابه إقليـــداً

وخرجنـا منـه نَؤُمُّ سُهَيْـلاً فَرفَعْنـا[2] لواءنا معقـــوداً

* * *

ذكر مبتدأ حديث الفيل

حدثنا أبو الوليد، قال: حدثنى جدّى، قال: حدثنا سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، عن محمد بن إسحاق، قال كان من حديث الفيل فيما ذكر بعض أهل مكة عن سعيد بن جبير، وعكرمة، عن ابن عبّاس وعمّن لقى من علماء أهل اليمن وكان جُلُّ الحديث عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن ملكًا من ملوك حمير يقال له زُرْعة ذو نواس[3] وكان قد تهوّد واستجمعت معه حمير على ذلك إلا ما كان من أهل نَجْرَانَ وهم من أَشْلاء سبأ فإنهم كانوا على دين النصرانية على أصل حكم الإنجيل وبقايامن دين الحواريّين.

ولهم رأس يقال له عبد الله بن ثامر، فدعاهم ذو نواس إلى اليهودية فَأَبَوْا فخَيَّرَهم فاختاروا القتل، فخَدَّ لهم أخدودا وصنف لهم القتل فمنهم من قُتل صبراً ومنهم من أوقد له النار فى الأُخْدُود فألقاه فى النار إلا رجلاً من سبأ

(١) الروض الأنف ١/ ٨٠.

(٢) كذا فى الأصل، ومثله فى أ، والروض الأنف ١/ ٨٥، وابن هشام ١٣/ ٣٠ وفى ب: «قد رفعنا».

(٣) كذا فى الأصل، ومثله فى ب، والروض الأنف. وفى أ: «النواس».

يقال له دوْس بن ذى ثعلبان فذهب على فرس له يركُض حتى أعجزهم فى الرمل، فأتى قَيْصَرَ فذكر له ما بلغ منهم واستنصره، فقال له: بعدَتْ بلادُك عنَّا، ولكن سأكْتُب لك إلى ملك الحبشة فإنه على ديننا فيَنْصرك.

فكتب له إلى النَّجَاشي يأمره بنَصْره، فلمّا قدم على النجاشى بعث معه رجلاً من الحبشة يقال له أرياط وقال: إن دخلت اليمن فاقتل ثلث رجالها، وأخرب ثلث بلادها.

فلمّا دخلوا أرض اليمن تناوشوا شيئًا من قتال ثم ظهر عليهم أرياط، وخرج زرعة ذونواس على فرسه فاستعرض به البحر حتى لجج به فماتا فى البحر، وكان آخر العهد به، فدخلها أرياط فعمل ما أمر به النجاشى، فقال قائل من أهل اليمن فى ذلك مثلاً يضربه: لا كدَوْس ولا كأعْلاق رَحْلِهْ.

وقال ذو جَدَن فيما أصاب أهل اليمن وما نزل بهم[1]:

دَعِينى لا أبالك لن تُطيقى ... لَحَاكِ اللهُ قد أَنْزَفْتِ ريقِى

لَدَا عَزْفِ القيان إذا انتَشَيْنا ... وإذ نُسْقَى من الخمْر الرحيق

وشُرْبُ الخمر ليس علىَّ عاراً ... إذا لم يَشْكُنى فيها رفيقى

وغُمْدَانُ الذى نُبِّيتَ عنه ... بَنَوْه مُسَمَّكًا فى رأس نيق

مصابيحُ السليط يَلُحْن فيه ... إذا يُمْسى كتوماض[2] البروق

فأصبحَ بعدَ جِدَّتِه رَمَاداً ... وغَيَّرَ حُسْنَه لَهبُ الحريقِ

وأسلَمَ ذو نُوَاس مستميتًا ... وحَذَّرَ قومَهُ ضنْكَ المضيقِ

وقال ذو جَدَن أيضًا[3]:

---

(١) ابن هشام ١/ ٣٨.

(٢) كذا فى «ب» وابن هشام وفى الأصل، أ «كتيماض».

(٣) ابن هشام ١/ ٣٨.

هَوْنَكما[1] لن يَرُدَّ الدَّمْعُ ما فاتا لا تَهْلكى أَسَفًا فى إثر مَنْ ماتا

أَبَعْدَ بَيْنُونَ لا عين ولا أثر وبعد سِلْحِينَ يَبْنِى الناسُ أبياتا

* * *

ذكر الفيل حين ساقته الحبشة

حدثنا أبو الوليد، قال: حدثنى جدّى، قال: حدثنا سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، عن محمد بن سحاق أنه قال: لـمّا ظهرت الحبشة على أرض اليمن كان مُلْكهم إلى أرياط وأبرهة، وكان أرياط فوق أبرهة، فأقام أرياط باليمن سنتَيْن فى سلطانه لا ينازعه أحد، ثم نازعه أبرهة الحبشى الملك، وكان فى جند من الحبشة فانحاز إلى كلّ واحد منهما من الحبشة طائفة ثم صار أحدهما إلى الآخر، فكان أرياط يكون بصَنْعاء ومخاليفها، وكان أبرهة يكون بالجَند ومخاليفها.

فلمّا تقارب الناس ودنا بعضهم من بعض أرسل أبرهة إلى أرياط أنك لا تصنع بأن تلقى الحبشة بعضهم ببعض فتُفنيها بيننا، فابرُز لى وأبرز لك، فأينا ما أصاب صاحبه انصرف إليه جنده.

فأرسل إليه أرياط قد أنصفت فخرج أرياط وكان رجلاً عظيمًا طويلاً وسيمًا وفى يده حربة له، وخرج له أبرهة وكان رجلاً قصيراً حادراً لحيمًا دحداحًا، وكان ذا دين فى النصرانية، وخلف أبرهة عبدُ له يَحْمى ظهره يقال له: عَتْوَدة، فلمّا دنا أحدهما من صاحبه رفع أرياط الحربة فضرب بها رأس أبرهة يريد يَافُوخَه فوقعت الحربة على جبهة أبرهة فشرمت حاجبه وعينه وأنفه وشفتَيْه، فبذلك سُمّى أبرهة الأَشْرَم، وحمل غلام أبرهة عَتْوَدَةُ على أرياط

---

(١) كذا فى الأصول، ولدى ابن هشام: «هونك» وهونكما: من باب قول العرب للواحد افعلا، وهو كثير فى القرآن الكريم.

من خلف أبرهة فزرقه بالحربة فقتله فانصرف جند أرياط إلى أبرهة فاجتمعت عليه الحبشة باليمن.

وكان ما صنع أبرهة من قتله أرياط بغير علم النجاشى ملك الحبشة بأرض أكسوم من بلاد الحَبَش، فلمّا بلغه ذلك غضب غضبًا شديدًا، وقال: عُدِىَ على أميرى بغير أمرى فقتله، ثم حلف النجاشى لا يدع أبرهة حتى يَطَأَ أرضه ويَجُزَّ ناصيته، فلمّا بلغ ذلك أبرهة حلق رأسه ثم ملأ جرابًا من تُراب أرض اليمن ثم بعث به إلى النجاشى وكتب إليه: أيها الملك، إنما كان أرياط عبدك وأنا عبدك اختلفنا فى أمرك وكلُّنا طاعتُهُ لك، إلا أنى كنت أقوى على أمر الحبشة منه وأضبط وأَسْوَسَ لهم منه، وقد حلقت رأسى كلَّه حين بلغنى قسم الملك وبعثت به إليه مع جراب من تراب أرضى ليَضَعَه تحت قدمَيْه فيبرَّ بذلك قسمه.

فلمّا انتهى ذلك إلى النجاشى رضى عنه وكتب له أن اثبُتْ بأرض اليمن حتى يأتيك أمرى فأقام أبرهة باليمن، وبنى أبرهة عند ذلك القُلَّيْس بصَنْعاء إلى جنب غُمْدَانَ فبنى كنيسة وأحكمها وسمّاها القليس، وكتب إلى النجاشى ملك الحبشة: إنى قد بنيت لك كنيسة لم يبن مثلها لملك كان قبلك ولستُ بمُنْتَه حتى أَصْرِفَ حاجَّ العرب إليها.

قال أبو الوليد: أخبرنى محمدبن يحيى، قال: حدثنا من أثق به من مشيخة أهل اليمن بصَنْعاء أن يوسف ذا نُواس وهو صاحب الأخْدُود الذى حرّق أهل الكتاب بنَجْرَانَ، لما غرقه الله عزّ وجلّ وجاءت الحبشة إلى أرض اليمن فعبروا من دَهْلَك حتى دخلوا صنعاء وحرقوا غُمْدَانَ، وكان أعظم قصر يعلم فى الأرض وغلبوا على اليمن، وبنى أبرهة الحبشى القليس للنجاشى وكتب إليه: إنى قد بنيت لك بصنعاء بيتًا لم تبن العربُ ولا العجم مثله ولن أنتهى حتى أصرف حاجَّ العرب إليه ويتركوا الحجَّ إلى بيتهم.

فبنى القليس بحجارة قصر بَلْقيس الذى بمأرب، وبلقيس صاحبة الصرْح

الذى ذكره الله فى القرآن فى قصّة سليمان، وكان سليمان حين تزوّجها ينزل عليها فيه إذا جاءها فوضع الرجال نسقًا يناول بعضهم بعضًا الحجارة والآلة حتى نقل ما كان فى قصر بلقيس ممّا احتاج إليه من حجر أو رخام أو آلة البناء وجدٍّ فى بنائه وأنه كان مربعًا مستوى التربيع، وجعل طوله فى السماء ستّين ذراعًا وكبسه من داخله عشرة أذرع فى السماء. وكان يصعد إليه بدرج الرخام، وحوله سور بينه وبين القليس مائتا ذراع مُطيف به من كل جانب، وجعل بين ذلك كلّه بحجارة تسميّها أهل اليمن الجروب منقوشة مطابقة لا يدخل بين أطباقها الإبرة مطبّقة به وجعل طول ما بنى به من الجروب عشرين ذراعًا فى السماء، ثم فصل ما بين حجارة الجروب بحجارة مثلّثة تشبه الشرف مداخلة بعضها ببعض حجرًا أخضر وحجرًا أحمر وحجرًا أبيض وحجرًا أصفر وحجرًا أسود، وفيما بين كلّ ساقَيْن خشب سَاسم مدور الراس غلظ الخشبة حَضَن الرجل ناتئة على البناء فكان مفصلاً بهذا البناء فى هذه الصفة. ثم فصل بإفريز من رخام منقوش طوله فى السماء ذراعان، وكان الرخام ناتئًا على البناء ذراعًا، ثم فصل فوق الرخام حجارة سود لها بريق من حجارة نُقُم جبل صنعاء المشرف عليها.

ثم وضع فوقها حجارة صفر لها بريق، ثم وضع فوقها حجارة بيض لها بريق، فكان هذا ظاهر حائط القليس، وكان عرض حائط القليس ستة أذرع.

وذكروا أنهم لا يحفظون ذرع طول القليس ولا عرضه، وكان له باب من نحاس عشرة أذرع طولاً فى أربعة أذرع عرضًا. وكان المدخل منه إلى بيت فى جوفه طوله ثمانون ذراعًا فى أربعين ذراعًا معلق العمل بالساج المنقوش ومسامير الذهب والفضّة. ثم يدخل من البيت إلى ايوان طوله أربعون ذراعًا عن يمينه وعن يساره وعقوده مضروبة بالفسيفساء مشجَّرة، بين أضعافها كواكب الذهب ظاهرة. ثم يدخل من الإيوان إلى قُبَّة ثلاثين ذراعًا فى ثلاثين ذراعًا جدرها بالفسيفساء، وفيها صُلُب منقوشة بالفسيفساء والذهب

والفضّة، وفيها رخامة ممّا يلى مطلع الشمس من البَلَق مربعة عشرة أذرع فى عشرة أذرع تُغشى عَيْنُ مَنْ نظر إليها من بطن القبّة تُؤدّى ضوء الشمس والقمر إلى داخل القبّة.

وكان تحت الرخامة منبْر من خشب اللَّبخ - وهو عندهم الآبَنُوس - مفصل بالعاج الأبيض، ودرج المنبر من خشب الساج ملبسة ذهبًا وفضّةً.

وكان فى القبّة سلاسل فضّة، وكان فى القبة أو فى البيت خشبة ساج منقوشة طولها ستّون ذراعًا، يقال لها: كُعَيْب، وخشبة من ساج نحوها فى الطول يقال لها: امرأةُ كُعَيْب، كانوا يتبرّكون بهما فى الجاهلية. وكان يقال لكعيب الأحوزى - والأحوزى بلسانهم الحر.

وكان أبرهة عند بناء القليس قد أخذ العُمَّال بالعمل أخذًا شديدًا، وكان آلى أن لا تطلع الشمس على عامل لم يَضَعْ يده فى عمله فيؤتى به إلا قطع يده. قال فتخلَّفَ رجل ممّن كان يعمل فيه حتى طلعت الشمس وكانت له أمّ عجوز فذهب بها معه لتستوهبه من أبرهة فَأَتَتْه وهو بأَزَر[1] الناس فذكرت له علَّة ابنها واستوهبته منه فقال: لا أكذب نفسى ولا أفسد علَّى عُمَّالى. فأمر بقطع يده فقالت له أمُّه: اضرب بِمِعْوَلك ساعى بهر، اليوم لك وغدًا لغيرك، ليس كلُّ الدهر لك. فقال: ادنوها، فقال لها: إن هذا الملك أيكون لغيرى؟ قالت: نعم.

وكان أبرهة قد أجمع أن يبنى القليس حتى يظهر على ظهره فيرى منه بحر عَدَن، فقال: لا أبنى حجرًا على حجر بعد يومى هذا، وأعفى النّاس من العمل، وتفسير قولها: ساعى بهر تقول: اضرب بمعولك ما كان حديدًا، فانتشر خبر بناء أبرهة هذا البيت فى العرب فدعا رجل من النساءة من بنى مالك بن كنانة فتيين منهم فأمرهما أن يذهبا إلى ذلك البيت الذى بناه أبرهة

(١) كذا فى أ، والعبارة ساقطة من الأصل، وفى ب: «وهو بارز للناس» والأَزَر: الجمع الكثير المزدحم.

بصنعاء فيحدثا فيه فذهب بهما ففعلا ذلك فدخل أبرهة البيت فرأى أثرهما فيه، فقال: من فعل هذا؟: فقيل: رجلان من العرب فغضب من ذلك، وقال: لا أنتهى حتى أهدم بيتهم الذى بمكة.

قال: فساق الفيل إلى بيت الله الحرام ليهدمه فكان من أمر الفيل ما كان.

فلم يزل القليس على ما كان عليه حتى ولى أبو جعفر المنصور أمير المومنين العَبَّاس بن الربيع بن عبيد الله الحارثى اليمن فذكر العباس ما فى القليس من النقض والذهب والفضّة وعظم ذلك عنده، وقيل له: إنك تصيب فيه مالاً كثيرًا وكنزًا فتاقَتْ نفسه إلى هدمه وأخذ ما فيه، فبعث إلى ابن لوَهْب بن منبّه فاستشاره فى هدمه وقال: إن غير واحد من أهل اليمن قد أشاروا على أن لا أهدمه وعظم على أمر كُعَيْب وذكر أن أهل الجاهلية كانوا يتبركون به وأنه كان يكلمهم ويخبر بأشياء مّما يحبُّون ويكرهون.

قال ابن وهب: كلّ ما بلغك باطل وإنّما كُعَيْب صنم من أصنام الجاهلية فتنوا به، فمر بالدهل - وهو الطبل - وبمزمار فليكونا قريبًا ثم اعله الهدامين، ثم مُرْهم بالهَدْم فإن الدهل والمزمار أنشط لهم وأطيب لأنفسهم، وأنت مصيب من نقضه مالاً عظيمًا مع أنك تثاب من الفسقة الذين حرقوا غمدان وتكون قد مَحَوْتَ عن قومك اسم بناء الحبش وقطعتَ ذكرهم.

وكان بصَنْعاء يهودىّ عالم، قال: فجاء قبل ذلك إلى العباس بن الربيع يتقرّب إليه فقال له: إن ملكًا يهدم القليس يلى اليمن أربعين سنة. قال: فلمّا اجتمع له قول اليهودى ومشورة ابن وهب بن منبّه أجمع على هدمه.

قال أبو الوليد: فحدّثنى الثقة، قال: شهدت العباس وهو يهدمه فأصاب منه مالاً عظيمًا، ثم رأيته دعا بالسلاسل فعلّقها فى كُعَيْب والخشبة التى معه فاحتملها الرجال فلم يقربها أحد مخافة لما كان أهل اليمن يقولون فيها، فدعا بالورديون - وهى العجل - فأعلق فيها السلاسل ثم جبذها الثيران

وجبذها الناس معها حتى أبرزوها من السور، فلمّا أن لم ير الناس شيئًا ممّا كانوا يخافون من مضرتها وثب رجل من أهل العراق كان تاجرًا بصنعاء فاشترى الخشبة وقطعها لدار له، فلم يلبث العراقى أن جذم فقال رَعَاعُ الناس هذا لشرائه كعيبًا، قال: ثم رأيت أهل صنعاء بعد ذلك يطوفون بالقليس فيلقطون منه قطع الذهب والفضّة.

ثم رجع إلى حديث ابن اسحاق، قال: فلمّا تَحدَّثَت العرب بكتاب أبرهة بذلك إلى النجاشى غضب رجل من النساءة أحد بنى فُقَيْم من بنى مالك بن كنانة فخرج حتى أتى القليس فقعد فيها - أى أحدث فيها - ثم خرج حتى لحق بأرضه فأُخْبر بذلك أبرهة فقال: من صنع هذا، فقيل له: صنعه رجل من العرب من أهل البيت الذى تحجّ العربُ إليه بمكة لما سمع بقولك: أصرف إليها حاجّ العرب فغضب فجاءها فقعد فيها أى أنها ليست لذلك بأهل، فغضب عند ذلك أبرهة وحلف ليسيرن إلى البيت حتى يهدمه، ثم أمر الحبشة فتهيَّأتْ وتجهّزت، ثم سار وخرج بالفيل معه.

فسمعت بذلك العرب فأعظموه وقطعوا به ورأَوا أن جهاده حقّ عليهم حين سمعوا أنه يريد هَدْمَ الكعبة - بيت الله الحرام - فخرج إليه رجل من أشراف اليمن وملوكهم يقال له ذو نَفْر فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة وإلى مجاهدته عن بيت الله سبحانه وما يريد من هدمه وإخرابه، فأجابه من أجابه إلى ذلك ثم عرض له فقاتله فهُزِم ذو نفر فأتى به أسيرًا فلمّا أراد قتله قال له ذو نفر: أيها الملك لا تقتلنى فعَسَى أن يكون مقامى معك خيرًا لك من قَتْلى فتركه من القتل وحبسه عنده فى وثاق، وكان أبرهة رجلاً حليمًا ورعًا وذادين فى النصرانية.

ومضى أبرهة على وَجْهه ذلك يريد ما خرج إليه حتى إذا كان فى أرض خَثْعَم عرض له نُفَيْل بن حبيب الخثعمى فى قبائل خثعم: شهران وناهس، ومن اتبعه من قبائل العرب فقاتله فهزمه أبرهة، وأخذ له نفيل أسيرًا فأتى به

فقال له نفيل: أيها الملك لا تقتلنى فإنى دليلك بأرض العرب وهاتان يداى على قبائل خثعم: شهْرَانَ وناهس بالسمع والطاعة، فأعفاه وخلّى سبيله وخرج به معه يَدله.

حتى إذا مرَّ بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب فى رجال ثقيف فقالوا له: أيها الملك إنما نحن عبيدُك سامعون لك مطيعون وليس لك عندنا خلاف وليس بيْتُنا هذا بالبيت الذى تُريد يعنون اللات، إنما تريد البيت الذى بمكة ونحن نبعث معك من يَدلُّك عليه فتجاوز عنهم، وبعثوا معه أبا رِغَال يدلُّه على مكة.

فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزلهم بالمغمَّس فلمّا أنزله به مات أبو رغال هنالك فرجمت العربُ قبره، فهو قبره الذى يُرْجم بالمغمّس وهو الذى يقول فيه جرير ابن الخطفى:

إذا مات الفرزدق فارجموه كما ترمون قَبْرَ أبى رغـال

فلمّا نزل أبرهة المغمّس بعث رجلاً من الحبشة يقال له الأسود بن مقصود[1] على خيل له حتى انتهى إلى مكة فساق إليه أموال أهل تهامة من قريش وغيرهم فأصاب فيها مائتَىْ بعير لعبد المطلب بن هاشم وهو يومئذ كبير قريش وسيّدُها، فهَمَّتْ قريش وخزاعة وكنانة وهذيل ومن كان فى الحرم بقتاله ثم عرفوا أنه لا طاقةَ لهم به فتركوا ذلك.

وبعث أبرهةُ حُنَاطَةَ الحِمْيَرى إلى مكة فقال له: سَلْ عن سيّد أهل هذا البلد وشريفهم ثم قُلْ لهم: إن الملك يقول لكم: إنى لم آت لحربكم إنما جئتُ لُهدم هذا البيت، فإن لم تعرضوا لى بقتال فلا حاجة لى بدمائكم، فإن هو لم يُرِدْ حربى فَأْتِنِى به.

---

(١) كذا فى الأصل وسيرة ابن هشام ١/٤٨. وفى أ، ب: «مفصود» بالفاء.

فلمّا دخل حُناطة مكة سال عن سيّد قريش وشريفها فقيل له: عبد المطلب، فَأرْسل إلى عبد المطلب فقال بما قال أبرهة، فقال عبد المطلب: والله ما نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة هذا بيت الله الحرام وبيت إبراهيم خليله عليه السلام أو كما قال، فإن يمنَعْه فهو بيته وحرمه وإن يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع [عنه](١).

فقال له حناطة: فانطلقْ [معى](١) إليه فإنه قد أمرنى أن آتيه بك، فانطلق معه عبد المطلب ومعه بعض بنيه حتى أتى العسكر فسأل عن ذى نفر وكان له صديقًا حتى دخل عليه وهو فى مَحْبسه، فقال: يا ذا نفر، هل عندك من غناء فيما نزل بنا؟ قال ذو نفر: وما غناءُ رجل أسيرٍ فى يدى ملك ينتظر أن يقتله بكرةً أو عشيَّةً. ما عندى غناء فى شيء ممّا نزل بك إلا أن أُنَيْسًا سايسَ الفيل صديق لى فسأرْسل إليه فأوصّيه بك وأعظّم عليه حَقَّك وأساله أن يستأذن لك على الملك ويكلّمه فيما بدا لك، ويشفع لك عنده بخَيْر ان قدر على ذلك، قال: حسبى.

فبعث ذو نفر إلى أنيس فقال له: إن عبد المطلب سيّد قريش وصاحب عير مكة يطعم الناس بالسهل والجبل والوحوش فى رءوس الجبال، وقد أصاب الملك له مائتى بعير فاستأذن. له عليه وانفعه عنده بما استطعتّ، فقال: أفعل. فكلّم أنيسْ أبرهة فقال له: أيها الملك هذا سيّد قريش ببابك يستأذن عليك وهو صاحب عير مكة وهو يطعم الناس بالسهل والجبل والوحوش فى رءوس الجبال فأذَنْ له عليك فليكلّمك فى حاجته، فأذِنَ له أبرهة، وكان عبد المطلب أوسم الناس وأعظمهم وأجملهم(٢) فلّما رآه أبرهة أجلّه وأكرمه عن أن يجلسه تحته وكره أن تراه الحبشة معه على سريره، فنزل أبرهة عن سريره فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه إلى جنبه، ثم قال لترجمانهِ: قُل له: ما

(١) من الروض الأنف.

(٢) كذا فى ب، ومثله لدى ابن هشام فى السيرة ١/ ٤٩. وفى أ: «وأعظمه وأجمله».

حاجتك؟ قال له الترجمان: إن الملك يقول لك: ما حاجتك؟ قال: حاجتى أن يردَّ الملك علىَّ مائتى بعير أصابها لى فلمَّا قال له ذلك قال أبرهة لترجمانه: قال له: قد كنتَ أعجبْتَنى حين رأيتك ثم قد زهدتُ فيك حين كَلَّمْتَنى، تكلّمنى فى مائتى بعير أصبتُها لك وتترك بيتًا هو دينك ودين آباءك وقد جئتُ لهدمه لا تكلّمنى فيه! قال عبد المطلب: إنّى أنا ربُّ إبلى، وإنّ للبيت ربًّا سيَمْنعه، قال: ما كان ليمتنع منّى، قال: أنت وذاك.

قال ابن إسحاق: وقد كان فيما يزعم بعض أهل العلم قد ذهب مع عبد المطلب إلى أبرهة حين بعث إليه حناطة الحميرى، يَعْمَرُ بن نُفاثة بن عدى ابن الدُّئل[1] بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وهو يومئذ سيّد بنى بكر وخُوَيْلد ابن واثلة الهذلى وهو يومئذ سيّد هذيل، فعرضوا على أبرهة ثُلُثَ أموال تهامة على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت فَأَبَى عليهم. والله أعلم أكان ذلك أم لا، وقد كان أبرهة ردَّ على عبد المطلب الإبل التى كان أصاب.

فلمّا انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر وأمرهم بالخروج من مكة والتَّحَرُّز فى شَعَف الجبال خوفًا عليهم من معرة الجيش، ثم قام عبد المطلب، فأخذ بحَلْقَة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله عز وجل ويستنصرونه على أبرهة وجنده، فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة:

يا ربّ إن المرء يمـ ـنع رحله فامنع حِـلالكْ[2]

---

(١) كذا فى الطبرى، وهو بضم الدال وكسر الهمزة، وفى سائر الأصول: «الديل» وما أثبتناه هو الذى عليه جمهور العلماء. إلا أن جماعة من النحويين، ومنهم الكسائى، يقولون فيه «الديل» من غير همز، ويكسرون الدال والمعروف أن الدئل (بالهمز) هم الذين فى كنانة، وكذلك هم فى الهون بن خزيمة أيضًا. وأما الديل (من غير همز) فهم فى الأزد، وفى إياد، وفى عبد القيس، وفى تغلب، وهناك غير هذين «الدول» أيضًا (بضم الدال وإسكان الواو). وهؤلاء فى ربيعة من نزار، وفى عنزة، . وفى ثعلبة وفى الرباب (راجع لسان العرب مادة: دأل).

(٢) الحِلال ـ بالكسر ـ جمع حلة، وهى جماعة البيوت، ويريد هنا: القوم الحلول، والحلال أيضًا متاع البيت، وجائز أن يكون هذا المعنى الثانى مرادًا هنا.

لا يغلبـــنّ صـليبُهــم ومِحَالُهُمْ غَدْواً[١] محالكْ[٢]

إن كنت تاركهـم وقبْـ ـلتنا فأمْرٌ مـا بدا لكْ[٣]

ولإن فعلـــت فإنـــه أَمْرٌ يتمّ به فعـــالكْ

ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شعف الجبال فتحرزّوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها وقال عبد المطلب أيضًا:

قلت والأشْرَم تردى خيله إن ذا الأشرم غِرٌّ بالحَرَمْ

كـاده تُبَّع فيمـا جَنَّدَتْ حِمْيَـر والحيّ مـن آل قُـدم

فانْثنى عنه وفى أوْداجـه خارج[٤] أمسك منه بالكظم

نحن أهل الله فى بلدته لم يزل ذاك على عهد ابْرَهَمْ[٥]

نعبــد الله وفينـا شيمـة صلة[٦] القُرْبَى وايفاء الذّمَمْ

إنَّ للبيــت لـربًّا مـانعًا مـن يَرِدْهُ بأثام يصطلـم

يعنى إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام.

ولمّا أصبح أبرهة تهيّأ لدخول مكة وهيّأ فيله وعبّأ جَيْشَه وكان اسم الفيل محمودًا، وأبرهة مجمع لهدم الكعبة ثم الانصراف إلى اليمن، فلمّا وجّهوا الفيل إلى مكة أقبل نفيل بن حبيب الخثعمى حتى قام إلى جنب الفيل فالتقَمَ

(١) تحرف فى أ، ب إلى «عدوا» بالعين المهملة. وصوابه من الأصل وابن هشام. وغدوا: غدا، وهو اليوم الذى يأتى بعد يومك، فحذفت لامه، ولم يستعمل تاما إلا فى الشعر.

(٢) المحال: القوة والشدة.

(٣) فى الأصل، أ: «فلئن فعلت فربما أولا فأمر بذلك» وهو غير صحيح عروضيًا. والمثبت رواية ب، وابن هشام ١/ ٥١.

(٤) كذا فى الأصل، أ، ومنائح الكرام ١/ ٤٤٠: وفى ب: «حارج» بالحاء المهملة.

(٥) كذا فى الأصل، أ، ومنائح الكرام ١/ ٤٤٠. وفى ب: «إبراهيم».

(٦) كذا فى الأصل، ب. وفى أ «ضلة بالضاد.

أُذُنَه فقال: ابركْ محمود وارجعْ راشداً من حيث جئتَ فإنك فى بلد الله الحرام، ثم أرسل أذنه فبرك الفيل وخرج نفيل بن حبيب يشتد، حتى أصعد فى الجبل وضربوا الفيل ليقوم فَأَبَى، فضربوا رأسه بالطبرزين فأبى، فأدخلوا مَحاجِنَ لهم فى مَرَاقّه فبزغوه بها ليقوم فَأَبَى، فوجّهوه راجعًا إلى اليمن فقام يُهَرْوِل ووجّهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك، ووجّهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك، فوجّهوه إلى مكة فبرك.

وأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبَلسَان، مع كل طير منها ثلاثة أحجار يحملها حجر فى منقارة وحجران فى رجليه أمثال الحمَّص والعَدَس لا تصيب أحدًا منهم إلا هلك، وليس كلّهم أصابت وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق التى منها جاءوا ويسألون عن نفيل بن حبيب ليَدُلَّهم على الطريق إلى اليمن، فقال نفيل بن حبيب حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته:

أين المَفَرُّ والإلهُ الطـــالـبْ ... والأشرم المغلوب غَيْرُ الغَالِبْ![1]

وقال نفيل أيضًا حين ولّوا وعاينوا ما نزل بهم[2]:

أَلاَ حُيِّيـت عَنَّـا يا رُدَيْنـا ... نَعمناكم مـع الإصْبـاح عَيْنَا

رُدَيْنَةُ لو رأيتِ ولن تريه ... لدا جَنْب المحصَّب ما رَأَيْنَا

إذًا لعَذَرْتنى وحَمِـدْتِ أمرى ... ولم تَأسَىْ على ما فاتَ بَيْنَا

حمـدتُ الله إذ عاينتُ طيراً ... وخِفتُ حجـارةً تُلْقَى عَلَيْنَا

وكلُّ القـوم يسـأل عن نفيل ... كَـأنَّ علىَّ للحُبْشـان دَيْنَا

فخرجوا يتساقطون بكلّ طَريق ويهلكون [بكل مهلك] على كلّ مَنْهَل، وأُصيب أبرهة فى جسده وخرجوا به معهم تسقط [أنامله] أنملة أنملة، كُلَّما

---

(١) تاريخ الطبرى ٢/ ١٣٦.

(٢) ابن هشام ١/ ٥٣.

سقطت منه أنملة أتبعتها منه مِدَّة تَمُثُّ[١] قَيْحًا ودَمًا، حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر [فما مات] حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون[٢].

وأقام بمكة فِلال من الجيش وعُسَفاء وبعض من ضَمَّه العسكر فكانوا بمكة يعتملون ويرعون لأهل مكة.

قال ابن إسحاق: وحدثنى يعقوب بن عُتْبة بن المغيرة بن الأَخْنَس أنه حُدِّث أن أول ما رُئيت الحصبة والجُدَرِىُّ بأرض العرب ذلك العام، وأنه أول ما رُئِىَ بها من مرائر الشجر الحَرْمَل والحَنْظَل والعُشَر من ذلك العام[٣].

قال أبو الوليد: وقال بعض المكّيّين: إنه أول ما كانت بمكة حمام اليَمَام حمام مكة الحرمية ذلك الزمان، يقال: إنها من نسل الطير التى رَمَتْ أصحاب الفيل حين خرجت من البحر من جُدَّة.

ولمّا هلك أبرهة ملك الحبشة ابنه يَكْسُوم بن أبرهة وبه كان يكنى، ثم ملك بعد يكسوم أخوه مسروق بن أبرهة، وهو الذى قتلَتْه الفرسُ حين جاءهم سَيْفُ بن ذى يَزَن وكان آخر ملوك الحبشة، وكانوا أربعة فجميع ما ملكوا أرض اليمن من حين دخلوها إلى أن قُتلوا ثلاثين سنة.

ولمّا رَدَّ الله سبحانه عن مكة الحبشة وأصابهم ما أصابهم من النقمة، أعظمت العرب قريشًا وقالوا: أهل الله قاتَلَ عنهم وكفاهم مَئونَةَ عَدُوِّهم، فجعلوا يقولون فى ذلك الأشعار يذكرون فيها ما صنع الله بالحبشة وما دفع عن قريش من كَيْدهم[٤]. ويذكرون الأشرم والفيل ومساقه إلى الحرم وما أراد من هدم البيت واستحلال حرمته.

قال ابن إسحاق: حدّثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن

(١) فى الأصل، أ: «تمد» والمثبت رواية ب، وابن هشام. ومث يمث: رشح.
(٢) ابن هشام ١/ ٥٤ وما بين حاصرتين منه.
(٣) ابن هشام ١/ ٥٤.
(٤) ابن هشام ١/ ٥٧.

حزم، عن عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زُرارة، عن عائشة أُمّ المؤمنين قالت: رأيت قائد الفيل وسائسَهُ بمكة أعميَيْن مقعدَيْن يستطعمان [الناس][١].

قال ابن إسحاق: فلمّا قُتلت الحبش ورجع الملك إلى حمير سُرَّت بذلك جميع العرب لرجوع الملك فيها وهلاك الحبشة، فخرجت وفود العرب جميعها لتَهْنِئَة سيف بن ذى يزَنْ فخرج وفد قريش، ووفد ثقيف، وعجز هَوَازن، وهم: نصر وجشم وسعد بن بكر ومعهم وفد عَدْوان وفَهْم ابنَىْ عمرو بن قيس فيهم مسعود بن معتّب، ووفد غَطفان، ووفد تميم، وأسد ووفد قبائل قُضاعة والأزد فأجازهم وأكرمهم، وفضل قريشًا عليهم فى الجائزة لمكانهم فى الحرم وجوارهم بيت الله تعالى.

قال أبو الوليد: وحدثنى عبد الله بن شبيب الربعى، قال: حدثنا عمرو بن بكر بن بكّار، قال: حدثنى أحمد بن القاسم الربعى مولى قيس بن ثعلبة، عن الكلبى، عن أبى صالح، عن ابن عباس، قال: لما ظفر سيف بن ذى يَزَن بالحبشة وذلك بعد مولد النبى ﷺ بسنتين أتاه وفود العرب وأشرافها وشعراؤها لتهنئته وتمدحه وتذكر ما كان من بلائه وطلبه بثأر قومه، فَأتاه وفد قريش وفيهم عبد المطَّلب بن هاشم، وأمَيَّة بن عبد شمس، وخُوَيْلد بن أسد فى ناس من وجوه قريش من أهل مكة فَأتوه بصنْعاء وهو فى قصر له يقال له غمدان، وهو الذى يقول فيه الشاعر أبو الصَّلت الثقفى أبو أمية بن أبى الصلت[٢]:

لا تَطْلُب الثار إلا كابن ذى يَزن
خَيَّمَ فى البحر للأعـداء أحـوالا

(١) ابن هشام ١/٥٧ وما بين حاصرتين منه.
(٢) ابن هشام ١/ ٦٥ والطبرى ٢/ ١٤٧.

أتى هرقلاً وقــد شالتْ نعامتهم
فلم يجــدْ عنــده بعـض الذى سالاَ
ثم انتحى نحــو كسرى بعـد عاشرةٍ
مـن السنين يُهيـن النفـس والمـالا
حتى أتى ببنى الأحْرار يُقْــدمهم
تَخَالُهم فوق مَتْن الأرض أجبالا
بيــضٌ مــرازبةٌ غُلْــبٌ أســاورةٌ
أُسْــدٌ يُربِّيْن فى الغيضـات أشبالا
لله دَرُّهُــم مــــن فِتيَـــةٍ صُبَّــر
ما إن رأيتِ لهم فى الناس أمثالا
لا يَضْجَرون وإن جزّتْ[1] مغافرُهُم
ولا ترى منهُم فى الطعـن مَيَّالا
أرسَلْتَ أُسْدًا على سود الكلاب فقد
أَضْـحَى شريـدُهُمُ فى النـــاس فُلاَّلا
فاشـرَبْ هنيئًا عليـك التــاجُ مرتفـعًا
فى رأس غُمْــدَانَ داراً منـك مِحْلاَلاَ
تلك المكــارمُ لا قَعبَانِ من لَبَنٍ
شِيبَا بمــاء فعَــادَا بَعْــدُ أبْوَالاَ

---

(١) كذا فى الأصل، وفى أ: «حرَّتْ» وفى ب: «حزت» والمِغفَر: زَرد يُنسج من الدروع على قدر الرأس، يلبس تحت القلنسوة.

فالتطّ بالمسك إذْ شَالَتْ نَعَـامَتُهُمْ
وأَسْبِلِ اليـومَ فى بُرْدَيْـكَ إسْبَـالاَ

فاستأذنوا عليه فَأَذن لهم فإذا الملك متضمّخ بالعنبر يلصف[1] ووميض المسك من مَفْرقه إلى قدمه، وسَيْفُه بين يَدَيْه، وعن يمينه وعن يساره الملوك وأبناء الملوك. فدَنَا عبد المطلب فاستأذن فى الكلام فقال له سيف بن ذى يزن: إن كنتَ ممن يتكلّم بين يدى الملوك فقد أذنَّا لك، فقال له عبد المطلب: إن الله عز وجل قد أحلَّك أيها الملك مَحلاً رفيعًا، صعبًا، منيعًا، شامخًا، باذخًا، وأَنْبَتَك منبتًا طابت أُرُومَتُه، وعزَّتْ جُرْثومته، وثَبَتَ أصلُه، وبَسَقَ فَرْعُه، فى أكرم معدن، وأَطْيَب موطن، وأنت أَبَيْتَ اللعن رأس العرب وربيعُها الذى تخصب به، وأنت أيها الملك رأس العرب الذى له تنقاد، وعمودها الذى عليه العماد، ومعقلها الذى تَلْجَأ إليه العباد، سلفُك خيرُ سلف، وأنت لنا منهم خيرُ خَلَف[2]، فلَنْ يخمد ذكر من أنت سلفه، ولن يهلك من أنت خلفه.

أيها الملك نحن أهل حرم الله وسدنة بيته، أشخصنا إليك الذى أبهجنا لكشفك الكرب الذى فَدَحَنا، فنحن وفد التهنئة لا وفد المرزئة.

قال: وأيُّهم أنت أيها المتكلّم؟ قال: أنا عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، قال: ابن أُخْتنا! قال: نعم.

قال: ادن، فأدناه ثم أقبل عليه وعلى القوم فقال: مرحبًا وأهلاً، وناقة ورحلاً، ومستناخًا سهلاً، ومَلَكًا رِبَحْلاً[3]، يعطى عطاء جزلاً، قد سمع الملك مقالتكم، وعرف قرابتكم، وقبل وسيلتكم، فأنتم أهل الليل والنهار، ولكم الكرامة ما أقمتم، والحباء إذا ظعنتم، قال: ثم قال: انهضوا إلى دار

(١) كذا فى الأصل، ب: وفى أ: «بلصف» ولصف: برق وتلألأ.
(٢) كذا فى الأصل، ب. وفى أ: «حلف».
(٣) الرِّبَحْل كقِمَطْر: العظيم الشأن من الناس.

الضيافة والوفود، فأقاموا شهرًا لا يَصِلون إليه ولا يأذن لهم فى الانصراف.

قال: وأجرى عليهم الأنزال ثم انتبه لهم انتباهة فأرسل إلى عبد المطلب فأدناه وأخلا مجلسه ثم قال: يا عبد المطلب، إنى مفوض إليك من سِرِّ عِلمى أمرًا لو غيرك يكون لم أبُحْ به له، ولكنى وجدتُك معدنه فأطلعتك طَلعه، وليكُنْ عندك مطويًا حتى يأذن الله فيه، فإن الله بالغ فيه أمره، إنى أَجِدُ فى الكتاب المكنون والعلم المخزون الذى اخترناه لأنفسنا واحتجناه دون غيرنا، خبرًا جسيمًا، وخطرًا عظيمًا فيه شرف للحياة، وفضيلة للناس عامَّةً ولرهطك كافَّة، ولك خاصَّة.

قال: أيها الملك مثلك سَرَّ وبَرَّ فما هو فداك أهل الوبر والمدر زُمَرًا بعد زمر، قال: فإذا وُلد بتهامة غلام به علامة، كانت له الإمامة، ولكم به الزعامة، إلى يوم القيامة.

فقال له عبد المطلب: أَبَيْتَ اللعن، لقد أتيت بخبر ما آب بمثله وافد قوم، ولولا هَيْبَةُ الملك وإعظامه إجلاله لسألتُهُ من سارّة آبائى ما أزداد به سرورًا، فإن رأى الملك أن يخبرنى بإفصاح فقد أوضح لى بعض الإيضاح.

قال: هذا حينُهُ الذى يولد فيه أو قد ولد اسمه محمد، بين كتفَيْه شامة، يموت أبوه وأُمّه ويكفله جدُّه وعمُّه وقد ولدناه مرارًا، والله باعثه جهارًا، وجاعل له منّا أنصارًا، يعزُّ بهم أولياءه، ويذلُّ بهم أعداءه، ويضرب بهم الناس عن عرض، ويستبيح بهم كرائم الأرض، يَعبد الرحمن، ويُدْخر الشيطان، ويكسر الأوثان، ويخمد النيران، قوله فضل[1]، وحكمه عدل، يأمر بالمعروف ويفعله، وينهى عن المنكر ويبطله.

قال: فخَرَّ عبد المطلب ساجدًا، فقال له: ارفع رأسك ثلج صدرك، وعلا كعك، فهل أحسست مِنْ أمره شيئًا؟ قال: نعم أيها الملك، كان لى ابن

---

(١) ب: «فصل».

وكنت به معجبًا وعليه رفيقًا فزوّجته كريمة من كرائم قومه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زُهْرة فجاءت بغلام سميّته محمّدًا، مات أبوه وأُمُّه وكفلته أنا وعمُّه، بين كتفَيْه شامة وفيه كل ما ذكرتَ من علامة.

قال له: والبَيْت ذى الحُجُب، والعلامات على النُّصُب، إنك يا عبد المطّلب، لجَدُّه غير الكذب، وإن الذى قلتُ لكَمَا قلتُ فاحتفظْ بابنك واحذر عليه اليهود فإنهم له أعداء، ولن يجعل الله تعالى لهم عليه سبيلاً فاطْوِ ما ذكرت لك، دون هؤلاء الرهط الذين معك، فإنّى لست آمن أن تدخلهم النفاسة، من أن تكون لك الرياسة، فيبتغون لك الغوائل، وينصبون لك الحبائل، وهم فاعلون أو أبناؤهم، ولولا أن الموت مجتاحى، قبل مبعثه لسِرْتُ بخَيْلى ورجلى، حتى أصير بيثرب دار مملكته، فإنى أَجِدُ فى الكتاب الناطق، والعلم السابق، أن بيثرب استحكام أمره، وأهل نصره، وموضع قبره، ولولا أنى أَقِيه الآفات، وأحذر عليه العاهات، لأَوْطَأتُ أَسْنَانَ العرب كعبَهُ، ولأَعْلَيْتُ على حداثة سِنّه ذِكْرَهُ، ولكنى صارف ذلك إليك، عن غير تقصير بمن معك.

ثم أمر لكل رجل منهم بمائة من الإبل، وعشرة أعبد، وعشر إماء، وعشرة أرطال ذهب، وعشرة أرطال فضّة وكرشٍ مملوة عنبرًا، وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك، ثم قال له: إيتنى بخبره، وما يكون من أمره عند رأس الحول، فمات سيف بن ذى يزن من قبل أن يحول الحول.

وكان عبد المطّلب يقول: أيها الناس لا يغبطنى رجل منكم بجزيل عطاء الملك فإنه إلى نفاد، ولكن ليغبطنى بما يبقى لى ولعقبى شرفه وذكره وفخره فإذا قيل له: وما ذاك؟

يقول: ستعلمن ولو بعد حين، وفى ذلك يقول أمية بن عبد شمس:

جلَبْنا النصح نحقبها المطايا إلى أكـوار أجمـالٍ ونـوقِ

مغلغلة مراتعها تعالى	إلى صنعاء من فجّ عميق
تَؤُمُّ بنا ابن ذى يَزَنَ وتفرى	ذوات بطونها أمّ الطريق
ونرعى من مخايلها بروقًا	مواقفة الوميض إلى بروق
ولمّا واقفت صنعاءَ صارت	بدار الملك والحسب العريق

قال أبو الوليد: وقد ذكر الله تعالى الفيل وما صنع بأصحابه فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ...﴾ إلى آخرها، ولو لم ينطق القرآن به لكان فى الأخبار المتواطئَة والأشعار المتظاهرة فى الجاهلية والإسلام حُجَّة وبيان لشهرته، وما كانت العرب تؤرّخ به فكانوا يؤرّخون فى كُتُبهم ودیونهم من سنة الفيل. وفيها وُلد رسول الله ﷺ، فلم تزل قريش والعرب بمكّة جميعًا تؤرّخ بعام الفيل، ثم أرَّخَتْ بعام الفجار، ثم أرخت ببنيان الكعبة فلم تزل تؤرّخ به حتى جاء الله بالإسلام فأرَّخ المسلمون من عام الهجرة، ولقد بلغ من شهرة أمر الفيل وصنع الله بأصحابه واستفاضة ذلك فيهم حتى قالت عائشة رضى الله عنها على حداثة سنّها: لقد رأيت قائد الفيل وسائسه أعميَيْن ببطن مكة يستطعمان، وقد ذكر غير واحد من أحداث قريش أنه رآهما أعميَيْن.

* * *

ما جاء فى شواهد الشعر فى ذلك

قال أبو الطفيل الغنوى وهو جاهلى:

ترعى مذانب وسمى أطاع لها
بالجزع حيث عَصَى أصحابَهُ الفيلُ

وقال صيفىٌّ بن عامر ـ وهو أبو قيس بن الأَسْلَت الخزرجى وهو جاهلىّ ـ

يعني قريشًا[١]:

فقوموا فصلُّوا ربَّكم وتمسحوا ... بأركان هذا البيت بين الأخاشب

فعندكُمُ منه بلاء ومُصَدّق ... غداةَ أبي يكْسُومَ هادي الكتائبِ

فلمّا أجازوا بطن نعمان ردَّهم ... جنودُ المليك بين ساف وحاصب

فَوَلَّوْا سراعًا نادمين ولم يَؤُبْ ... إلى أهله مِلْحبش[٢] غيرُ عصائب

وقال أبو قيس بن الأسْلَت[٣]:

ومن صُنْعِه يوم فيل الحبُو ... ش إذْ كُلَّما بعثوه رَزَمْ

محاجنهم تحت أقرابه ... وقد شَرَّموا أنفه فانخَرَمْ[٤]

وقد جعلوا سَوْطَه مِغْوَلاً ... إذا يَمَّمُوه قَفَاه كُلِمْ

فأرسل من فوقهم حاصبًا ... يَلُفُّهمُ مثْلَ لَفِّ القُزُمْ

يَحُثُّ على الطير أجنادهُم ... وقد ثَأجُوا كثُوَّاج الغَنَم

وقال أبو الصَّلْت الثقفي وهو جاهلي[٥]:

إنَّ آيات ربّنا بيّنات ... ما يُمَارى فيهنّ إلاّ كَفورُ

حبس الفيل بالمغمّس حتى ... ظلّ يَحْبُو كأنَّه معقورُ

واضعًا خَلْفَهَ الجِرَانِ كما قُطِّـ ... ـرَ صَخْر من كَبْكَبٍ محدورُ

وقال المغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم:

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٥٩.

(٢) كذا في الأصل وسيرة ابن هشام، يريد من الحبش. وفي أ: «ملجيش» وفي ب: «بالجيش».

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٥٨.

(٤) كذا في سيرة ابن هشام وفي الأصول: «وقد كلموا أنفه بالخزم».

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٦٠.

أنت حبست الفيلَ بالمغمَّس — حبستَــه كَــأنَّــه مُكَــرْدَسُ

من بعــد مـا هم بشرّ مجلس — بمحبس ترهق فيـه الأنفسُ

وقت بثاث ربّنا لم تدنّس — يا واهب الحىّ الجميع الأحمس

ومـا لهم من طــارق ومنفس — وجاره مثل الجــوارى الكُنَّس

أنت لنا فى كـلّ أمر مضـرس — وفى هنـات أخــذت بالأنفس

وقال ابن الذئبة[1] الثقفى[2]:

لَعَمْـرُكَ مــا للفتى مـن مَفر — مـع المـوت يَلْحَقُهُ والكِبَرْ

لعمرك مـا للفتى صُحرة[3] — لعمـرك مــا إن له مِـنْ وَزَرْ

أَبَعْــدَ قبــائل مـن حمير — أتوا ذات صبـح بذات العَبَـرْ

بألْـف ألــوفٍ وحُــرَّابَة — كمثــل السماء قُبَيْلَ المَطَر

يُصِـمُّ صُـرَاخُهُـم المُقْرَبَات — يَنفُــونَ مَـنْ قاتلوا بالذَّفَر

سَعَالى مِثْلَ عــديد التُّرا — ب تَيْبَس منها رِطَابُ الشَّجَرْ

* * *

ما جاء فى ذكر بناء قريش الكعبة فى الجاهلية

حدثنى أبو الوليد، قال: حدثنى جدّى، عن داود بن عبد الرحمن العَطَّار، قال: حدثنا عبد الله بن عثمان بن خيثم القارى، عن أبى الطفيل، قال: قلتُ: يا خال حدّثنى عن بنيان الكعبة قبل أن بَنَتْها قريش. قال: كانت

---

(١) كذا فى السيرة لابن هشام. ولديه موضحًا: الذئبة: أمه. واسمه ربيعة بن عبد ياليل بن سالم ابن مالك بن حُطَيْط بن جُشَم بن قَسِىّ. وفى الأصول: «أذينة».

(٢) سيرة ابن هشام ٣٩/١.

(٣) كذا فى سيرة ابن هشام. والصحرة: المتسع، أخذ من لفظ الصحراء. وفى الأصول: «عصرة».

برَضْم يابس ليس بمَدَر تَنْزوه العَنَاقُ وتوضع الكسوة على الجدر ثم تدلّى.

ثم إن سفينة للروم أقبلت حتى إذا كانت بالشُّعَيْبة وهى يومئذ ساحل مكة قبل جُدَّةَ فانكسرت فسمعَتْ بها قريش فركبوا إليها وأخذوا خشبها وروميًا كان فيها يقال له باقوم نَجَّاراً بنَّاء، فلمّا قدموا به مكة قالوا: لو بَنَيْنا بَيْتَ ربّنا، فاجتمعوا لذلك ونقلوا الحجارة من الضواحى، فبينا رسول الله ﷺ ينقلها معهم إذ انكشفَتْ نَمِرَتُهُ فنُودى يا محمد، عورتك، فذلك أول ما نودى والله أعلم، فما رُئِيَتْ له عورة بعدها.

فلما جمعوا الحجارة وهَمُّوا بنَقْضها خرجت لهم حيّة سوداء الظهر، بيضاء البطن، لها رأس مثل رأس الجدى تَمْنعهم كُلَّما أرادوا هدمها، فلمّا رأوا ذلك اعتزلوا عند المقام وهو يومئذ فى مكانه اليوم، ثم قالوا: ربّنا أردنا عمارة بيتك فَرَأَوْا طائراً أسود ظهره، أبيض بطنه، أصفر الرجلَيْن أخذها فجَرَّها حتى أدخلها أَجْيَادَ ثم هدموها وبنوها عشرين ذراعًا طولها.

قال أبو الطفيل: فاستقصرت قريش لقصر الخشب فتركوا منها فى الحجر ستة أذرع وشبراً.

قال: حدثنى جدّى، قال: حدثنا سفيان بن عُيَيْنة، عن عبيد الله بن أبى يزيد، عن أبيه قال: جلس عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى الحجر وأرسل إلى رجل من بنى زُهْرة قديم فسأله عن بنيان الكعبة فقال: إن قريشًا تقوّت فى بنائها فعجزوا واستقصروا فبنوا وتركوا بعضها فى الحجر، فقال عمر: صدقت.

قال: حدثنى مهدى بن أبى المهدى، قال: حدثنا عبد الله بن معاذ الصنعانى، عن معمر، عن الزهرى قال: لما بلغ رسول الله ﷺ الحلم أجمرت امرأة من قريش الكعبة فطارت شررة من مجمرتها فى ثياب الكعبة فأحرقت، فَوَهَى البيت للحريق الذى أصابه، فتشاغلت قريش فى هدم الكعبة فهابوا هدمها. فقال لهم الوليد بن المغيرة: أتريدون بهدمها الإصلاح أم

الإساءة؟ قالوا: بل نريد الإصلاح قال: فإن الله لا يهلك المصلحين، قالوا: من الذى يعلوها فيهدمها؟ قال الوليد بن المغيرة: أنا أعلوها فأهدمها، فارتقى الوليد على جدر البيت ومعه الفَأس فقال: اللهم إنا لا نريد إلا الإصلاح، ثم هدم فلمّا رأت قريش ما هدم منها ولم يأتهم ما يخافون من العذاب هدموا معه، حتى إذا بنوا فبلغوا موضع الركن اختصمت قريش فى الركن أىُّ القبائل تلى رفعه حتى كاد يشتجر بينهم، فقالوا: تعالوا نُحكّم أول من يطلع علينا من هذه السكّة فاصطلحوا على ذلك، فطلع رسول الله ﷺ وهو غلام عليه وِشَاحًا نَمِرَة فحكموه، فأمر بالركن فوُضع فى ثوب ثم أمر سيّدَ كلّ قبيلة فأعطاه ناحية الثوب ثم ارتقى وأمرهم أن يرفعوه إليه فرفعوه إليه، وكان هو الذى وضعه.

حدثنى جدى، قال: حدثنا مسلم بن خالد الزنجى، عن ابن أبى نجيح، عن أبيه قال: جلس رجال من قريش فى المسجد الحرام فيهم حُوَيطب بن عبد العُزَّى، ومَخْرَمة بن نوفل فتذاكروا بنيان قريش الكعبة وما هاجهم على ذلك وذكروا كيف كان بناؤها قبل ذلك، قالوا: كانت الكعبة مبنية برَضْم يابس ليس بمدر، وكان بابها بالأرض ولم يكن لها سقف وإنما تدلّى الكسوة على الجدر من خارج وتربط من أعلى الجدر من بطنها.

وكان فى بطن الكعبة عن يمين من دخلها جُبّ يكون فيه ما يُهْدَى إلى الكعبة من مال وحلية كهيئة الخزانة، وكان يكون على ذلك الجُبّ حيّة تحرسه بعثها الله منذ زمن جُرْهُم، وذلك أنه عدا على ذلك الجبّ قوم من جرهم فسرقوا مالها وحليتها مرّة بعد مرّة، فبعث الله تلك الحيّة فحرست الكعبة وما فيها خمسمائة سنة، فلم تزل كذلك حتى بَنَتْ قريش الكعبة وكان قرنا الكبش الذى ذبحه إبراهيم خليل الرحمن معلَّقَيْن فى بطنها بالجدر تلقاء مَنْ دَخَلَهَا يُخَلَّقان ويُطَيَّبان إذا طُيِّب البيت، فكان فيها معاليق من حلية كانت تُهْدَى إلى الكعبة فكانت على ذلك من أمرها.

ثم إن امرأة ذهبت تُجَمِّر الكعبة فطارت من مِجْمَرَتِها شررة فأحرقت كسوتها وكانت الكسوة عليها ركامًا بعضها فوق بعض، فلما أحرقت الكعبة توهّنت جدرانها من كلّ جانب وتصدّعت، وكانت الخُرُفُ[١] والأَرْبعَةُ مُظِلَّةٌ والسيول متواترة ولمكّة سيول عَوارِم، فجاء سيل عظيم على تلك الحال فدخل الكعبة وصَدَّعَ جدراتها وأخافهم فَفَزِعت من ذلك قريش فزعًا شديداً وهابوا هدمها وخشوا إن مَسُّوها أن ينزل عليهم العذاب.

قال فبيناهم على ذلك ينتظرون ويتشاورون إذ أقبلت سفينة الروم حتى إذا كانت بالشعيبة - وهى يومئذ ساحل مكة قبل جُدَّةَ - انكسرت فسمعت بها قريش فركبوا إليها فاشتروا خشبها وأذنوا لأهلها أن يدخلوا مكة فيبيعون ما معهم من متاعهم على أن لا يُعَشِّرُوهم[٢]، قال: وكانوا يُعَشِّرُوَن من دخلها من تجار الروم كما كانت الروم تُعَشِّر من دخل منهم بلادها، فكان فى السفينة رومى نَجَّار بَنَّاء يسمىّ باقوم.

فلما قدموا بالخشب مكة قالوا لو بَنَيْنا بيت ربّنا، فأجمعوا لذلك، وتعاونوا عليه وترافدوا فى النفقة، وربّعوا قبائل قريش أرباعًا ثم اقترعوا عند هُبَلَ فى بطن الكعبة على جوانبها، فطار قدحُ بنى عبد مناف وبنى زهرة على الوجه الذى فيه الباب وهو الشرقىُّ، وقدح بنى عبد الدار وبنى أسد بن عبد العُزَّى وبنى عدى بن كعب على الشق الذى يلى الحجر وهو الشقُّ الشامى، وطار قدحُ بنى سَهْم وبنى جُمَحَ وبنى عامر بن لُؤىٍّ على ظهر الكعبة وهو الشقُّ الغربى، وطار قدح بنى تميم وبنى مخزوم وقبائل من قريش ضَمَّوا معهم على الشقّ اليمانى الذى يلى الصَّفَا وأَجْيَادَ، فنقلوا الحجارة ورسول الله يومئذ غلام لم ينزل عليه الوَحْىُ ينقل معهم الحجارة على رقبته، فبينا هو ينقلها إذ انكشفت نمرةٌ كانت عليه فنُودى يا محمد، عورتك. وذلك أول ما نودى

---

(١) الخرف: جمع خريف، والأربعة: جمع ربيع.

(٢) عشر المال: أخذ عُشْرة مكسًا.

والله أعلم فما رُئيت لرسول الله ﷺ عورة بعد ذلك، ولُبج[1] برسول الله من الفزع حين نودى، فأخذه العباس بن عبد المطلب فضمَّه إليه وقال: لو جعلت بعض نَمرَتك على عاتقك تَقِيك الحجارة، قال: ما أصابني هذا إلا من التَّعرّى، فشَدَّ رسول الله ﷺ إزاره وجعل ينقل معهم.

وكانوا ينقلون بأنفسهم تبرراً وتبرُّكًا بالكعبة، فلمّا اجتمع لهم ما يريدون من الحجارة والخشب وما يحتاجون إليه عَدَوْا على هدمها، فخرجت الحيّة التى كانت فى بطنها تحرسها سوداء الظهر بيضاء البطن رأسها مثل رأس الجدى تمنعهم كُلَّما أرادوا هدمها، فلمّا رأوا ذلك اعتزلوا عند مقام إبراهيم وهو يومئذ بمكانه الذى هو فيه اليوم. فقال لهم الوليد بن المغيرة: يا قوم ألَسْتُم تريدون بهدمها الإصلاح؟ قالوا: بلى. قال: فإن الله لا يهلك المصلحين ولكن لا تدخلوا فى عمارة بيت ربكم إلا من طيب أموالكم ولا تدخلوا فيه مالاً من ربا، ولا مالاً من ميسر، ولا مهر بغى، وجنبوه الخبيث من أموالكم فإن الله لا يقبل إلا طيبًا ففعلوا.

ثم وقفوا عند المقام فقاموا يدعون ربهم ويقولون: اللهم إن كان لك فى هدمها رضًا فأتمه واشغَل عنا هذا الثعبان فأقبل طائر من جو السماء كهيئة العقاب ظهره أسود، وبطنه أبيض، ورجلاه صفراوان والحية على جدر البيت فاغرة فاها فأخذ برأسها ثم طار بها حتى أدخلها أجياد الصغير فقالت قريش: إنا لنرجوا أن يكون الله سبحانه وتعالى قد رضى عملكم وقبل نفقتكم فاهدموه.

فهابت قريش هدمه وقالوا: من يبدأ فيهدمه؟ فقال الوليد بن المغيرة: أنا أبدؤكم فى هدمه، أنا شيخ كبير فإن أصابنى أمر كان قد دنا أجلى وإن كان غير ذلك لم يرزأنى. فعلا البيت وفى يده عتلة يهدم بها فتزعزع من تحت رجله حجر فقال: اللهم لم ترع؟ إنما أردنا الإصلاح وجعل يهدمه حجراً

(١) لبج به: صرع وسقط من قيام.

حجراً بالعتلة فهدم يومه ذلك فقالت قريش: إنا نخاف أن ينزل به العذاب إذا أمسى.

فلما أمسى، لم تر بأسًا فأصبح الوليد بن المغيرة غاديًا على عمله فهدمت قريش معه حتى بلغوا الأساس الأول الذى رفع عليه إبراهيم وإسماعيل القواعد من البيت، فأبصروا حجارة كأنها الإبل الخلف لا يطيق الحجر منها ثلاثون رجلاً، يحرك الحجر منها فترتج جوانبها، قد تشبك بعضها ببعض فأدخل الوليد بن المغيرة عتلته بين الحجرين فانفلقت منه فلقة عظيمة فأخذها أبو وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، فنزت من يده حتى عادت فى مكانها وطارت من تحتها برقة كادت أن تخطف أبصارهم ورجفت مكة بأسرها؛ فلما رأوا ذلك أمسكوا عن أن ينظروا ما تحت ذلك، فلما جمعوا ما أخرجوا من النفقة قلت النفقة عن أن تبلغ لهم عمارة البيت كله، فتشاوروا فى ذلك فأجمع رأيهم على أن يقصروا عن القواعد ويحجروا ما يقدرون عليه من بناء البيت ويتركوا بقيته فى الحجر عليه جدار مدار يطوف الناس من ورائه، ففعلوا ذلك وبنوا فى بطن الكعبة أساسًا يبنون عليه من شق الحجر وتركوا من ورائه من فناء البيت فى الحجر ستة أذرع وشبراً فبنوا على ذلك فلما وضعوا أيديهم فى بنائها قالوا: ارفعوا بابها من الأرض واكبسوها حتى لا تدخلها السيول ولا تُرْقى إلا بسلم ولا يدخلها إلا من أردتم إن كرهتم أحدًا دفعتموه[1].

ففعلوا ذلك وبنوها بساف[2] من حجارة، وساف من خشب بين الحجارة، حتى انتهوا إلى موضع الركن فاختلفوا فى وضعه، وكثر الكلام فيه وتنافسوا فى ذلك، فقالت بنو عبد مناف وزُهْرة: هو فى الشق الذى وقع لنا وقالت تيم ومخزوم: هو فى الشق الذى وقع لنا. وقالت سائر القبائل: لم يكن

(١) إتحاف الورى ١/١٥٦.

(٢) الساف: المدماك، أو السطر والصف.

الركن مما استهمنا عليه(١).

فقال أبو أمية بن المغيرة: يا قوم إنما أردنا البِرّ، ولم نرد الشر، فلا تحاسدوا ولا تنافسوا، فإنكم إذا اختلفتم تَشَتَّتَتْ أموركم، وطمع فيكم غيركم ولكن حكموا بينكم أول من يطلع عليكم من هذا الفجّ، قالوا: رضينا وسلمنا، فطلع رسول الله ﷺ فقالوا: هذا الأمين قد رضينا به، فحكموه، فبسط رداءه ثم وضع فيه الركن فدعا من كل رُبْع رجلا فأخذوا بأطراف الثوب فكان من بنى عبد مناف عتبة بن ربيعة، وكان فى الربع الثانى أبو زمعة ابن الأسود، وكان أسن القوم، وفى الربع الثالث العاصى بن وائل، وفى الربع الرابع أبو حذيفة بن المغيرة، فرفع القوم الركن وقام النبى ﷺ على الجُدُر ثم وضعه بيده فذهب رجل من أهل نجد ليناول النبى ﷺ حجراً ليشد به الركن فقال العباس بن عبد المطلب: لا. [ونَحّاه] وناول العباسُ النبى ﷺ حجراً فشد به الركن فغضب النجدى حيث نُحّىَ فقال النجدى: واعجباه لقوم أهل شرف وعقول وسن وأموال عمدوا إلى أصغرهم سنًا، وأقلهم مالاً فرأسوه عليهم فى مكْرُمَتِهم وحوزتهم كأنهم خدم له!! أما والله ليفوتنهم سَبْقًا، وليقسمن عليهم حظوظًا وجدوداً. ويقال: إنه إبليس(٢).

فبنوا حتى رفعوا أربعة أذرع وشبراً ثم كَبَسُوها ووضعوا بابها مرتفعًا على هذا الذرع ورفعوها بمدَمَاك خشب ومِدْمَاك حجارة حتى بلغوا السقف.

فقال لهم باقوم الرومى: أتحبون أن تجعلوا سقفها مكبسًا أو مسطحًا؟ فقالوا: بل ابن بيت ربنا مسطحًا. قال: فبنوه مسطحًا وجعلوا فيه ست دعائم فى صفين فى كل صف ثلاث دعائم من الشق الشامى الذى يلى الحِجْر إلى الشق اليمانى، وجعلوا ارتفاعها من خارجها من الأرض إلى أعلاها ثمانية عشر ذراعًا، وكانت قبل ذلك تسعة أذرع فزادت قريش فى ارتفاعها فى

---

(١) إتحاف الورى ١/١٥٧.

(٢) إتحاف الورى ١/١٥٧ ـ ١٥٨ وما بين حاصرتين منه.

السماء تسعة أذرع أخر، وبنوها من أعلاها إلى أسفلها بِمدمَاك من حجارة ومِدْمَاك من خشب وكان الخشب خمسة عشر مدماكًا، والحجارة ستة عشر مدماكًا[1].

وجعلوا مِيزابَها يَسْكُب فى الحِجْر، وجعلوا درجة من خشب فى بطنها فى الركن الشامى يُصْعَدُ منها إلى ظهرها. وَزَوَّقُوا سقفها وجدرانها من بطنها ودعائمها وجعلوا فى دعائمها صور الأنبياء، وصور الشجر، وصور الملائكة.

فكان فيها صورة إبراهيم خليل الرحمن شيخ يستقسم بالأزلام، وصورة عيسى بن مريم وأمه، وصورة الملائكة عليهم السلام أجمعين.

فلما كان يوم فتح مكة دخل رسول الله فأرسل الفضل بن العباس بن عبد المطلب فجاء بماء زمزم ثم أمر بثوب وأمر بطمس تلك الصور، فطمست.

قال: ووضع كفيه على صورة عيسى بن مريم وأمه عليهما السلام وقال: امحوا جميع الصور إلا ما تحت يدى، فرفع يديه عن عيسى بن مريم وأمه ونظر إلى صورة إبراهيم فقال: قاتلهم الله جعلوه يستقسم بالأزلام ما لإبراهيم وللأزلام.

وجعلوا لها بابًا واحدًا فكان يُغْلق ويُفْتح، وكانوا قد أخرجوا ما كان فى البيت من حلية ومال وقرنى الكبش، وجعلوه عند أبى طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى، وأخرجوا هبل وكان على الجب الذى فيه نصبه عمرو بن لحى هنالك ونصب عند المقام حتى فرغوا من بناء البيت، فردوا ذلك المال فى الجب وعلقوا فيه الحلية وقرنى الكبش، وردوا الجب فى مكانه فيما يلى الشق الشامى ونصبوا هبل على الجب كما كان قبل ذلك وجعلوا له سلمًا يصعد عليه إلى بطنها وكسوها حين فرغوا من بنائها

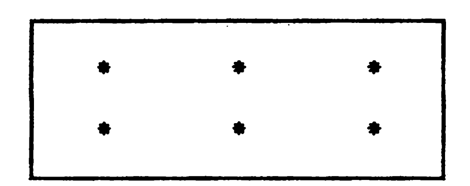
---

(١) إتحاف الورى ١/ ١٥٩.

حبرات يمانية(١).

حدّثني جدي قال: حدثنا داود بن عبد الرحمن عن ابن أبي نجيح عن أبيه، عن حويطب بن عبد العزى، قال: كانت في الكعبة حلق أمثال لجم البهم يدخل الخائف فيها يده فلا يريبه أحد فجاء خائف ليدخل يده فاجتبذه رجل فشلت يده، فلقد رأيته في الإسلام وإنه لأشل.

وحدّثني جدي قال: حدثنا داود بن عبد الرحمن عن ابن جريج قال: سأل سليمان بن موسى الشامي عطاء بن أبي رباح وأنا أسمع: أدركت في البيت تمثال مريم وعيسى؟ قال: نعم، أدركت فيها تمثال مريم مزوقًا في حجرها عيسى ابنها قاعدًا مزوقًا. قال: وكانت في البيت أعمدة ست سوارى وصفها كما نقطت في هذا التربيع:



قال: وكان تمثال عيسى بن مريم ومريم عليهما السلام في العمود الذي يلي الباب. قال ابن جريج: فقلت لعطاء: متى هلك؟ قال: في الحريق في عصر ابن الزبير وقلت: أعَلَى عهد النبي ﷺ كان؟ قال: لا أدري وإني لأظنه قد كان على عهد النبي ﷺ، قال له سليمان: أفرأيت تماثيل صور كانت في البيت، من طمسها؟ قال: لا أدري، غير أني أدركت من تلك الصور اثنتين درسهما وأراهما والطمس عليهما. قال ابن جريج: ثم عاودت عطاء بعد حين فخط لي ست سوارى كما خططت ثم قال: تمثال عيسى وأمه عليهما السلام في الوسطى من اللاتي تلين الباب الذي يلينا إذا دخلنا.

قال ابن جريج: الذي خط هذا التربيع ونقط هذا النقط.

(١) إتحاف الورى ١/١٥٩ - ١٦٠.

حدّثنى جدى قال: حدثنا داود بن عبد الرحمن، عن عمرو بن دينار قال: أدركت فى بطن الكعبة قبل أن تهدم تمثال عيسى بن مريم وأمه.

وحدّثنى جدى قال: حدثنا داود بن عبد الرحمن قال: أخبرنى بعض الحجبة، عن مسافع بن شيبة بن عثمان أن النبى ﷺ قال: يا شيبة امح كل صورة فيه إلا ما تحت يدى قال: فرفع يده عن عيسى بن مريم وأمه.

حدّثنى جدى قال: حدثنا داود بن عبد الرحمن، عن ابن جريج، عن عمرو بن دينار أنه سمع أبا الشعثاء يقول: إنما يكره ما فيه الروح، قال عمرو: أن يصنع التمثال على ما فيه الروح، فأما الشجر وما ليس فيه روح فلا.

حدّثنى جدى قال: حدثنا داود بن عبد الرحمن، عن ابن جريج، عن سليمان بن موسى، عن جابر بن عبد الله قال: زجر النبى ﷺ عن الصور وأمر عمر بن الخطاب زمن الفتح أن يدخل البيت فيمحو ما فيه من صورة ولم يدخله حتى محى.

حدّثنى جدى قال: حدثنا ابن عيينة، عن عمرو بن عبيد عن الحسن أن النبى ﷺ لم يدخل الكعبة حتى أمر عمر بن الخطاب أن يطمس على كل صورة فيها.

حدّثنى جدى، عن سعيد بن سالم، قال: حدثنا يزيد بن عياض بن جعدبة، عن ابن شهاب أن النبى ﷺ دخل الكعبة يوم الفتح وفيها صور الملائكة وغيرها فرأى صورة إبراهيم فقال: قاتلهم الله جعلوه شيخًا يستقسم بالأزلام، ثم رأى صورة مريم فوضع يده عليها وقال: امحوا ما فيها من الصور إلا صورة مريم.

أخبرنى محمد بن يحيى عن الثقة عنده، عن ابن إسحاق عن حكيم بن عباد بن حنيف وغيره من أهل العلم، أن قريشًا كانت قد جعلت فى الكعبة

صوراً فيها عيسى بن مريم ومريم عليهما السلام. قال ابن شهاب قالت أسماء بنت شقر: إن امرأة من غسان حجت فى حاج العرب فلما رأت صورة مريم فى الكعبة قالت: بأبى وأمى إنك لعربية، فأمر رسول الله ﷺ أن يمحوا تلك الصور إلا ما كان من صورة عيسى ومريم.

.حدثنى محمد بن يحيى عن الثقة عنده، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير، عن عبيد الله بن عبد الله بن أبى ثور، عن صفية بنت شيبة أن رسول الله ﷺ لما دخل مكة يوم الفتح أقبل حتى أتى البيت فطاف به سبعًا على راحلته يستلم الركن بمحجن فى يده، فلما قضى طوافه دعا عثمان ابن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان فطرحها.

حدثنى محمد بن يحيى بن أبى عمر قال: حدثنا عبد الوهاب الثقفى، عن أيوب، عن عكرمة قال: لما كان يوم الفتح دخل رسول الله ﷺ البيت فإذا فيه صورة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام. وأحسبه قال: والكبش أو رأس الكبش، فأمرهم أن يمحوها قال: فما دخل حتى محيت قال: فلما دخل رأى الأزلام قد صورت فى يد إبراهيم فقال: قاتلهم الله لقد أبى أنهما لم يستقسما بالأزلام.

حدثنى جدى وإبراهيم بن محمد الشافعى قالا: حدثنا مسلم بن خالد، عن ابن خيثم قال: كان رسول الله ﷺ غلامًا حيث هدمت الكعبة فكان ينقل الحجارة، فوضع على ظهره إزاره يتقى به فلبج به فأخذه العباس فضمه إليه، قال رسول الله ﷺ: إنى نهيت أن أتعرى.

حدثنى جدى قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار أنه سمع عبيد بن عمير يقول: اسم الذى بنى الكعبة باقوم وكان روميًا، كان فى سفينة أصابتها ريح فحجبتها ـ يقول حبستها ـ فخرجت إليها قريش بجدة فأخذوا السفينة وخشبها وقالوا: ابنه لنا بنيان الشام.

حدّثنى جدى محمد بن يحيى عن سفيان، عن عمرو بن دينار قال: لما أرادوا أن يبنوا الكعبة خرجت حية فحالت بينهم وبين بنائهم وكانت تشرف على الجدار قال: فقالوا: إن أراد الله أن نتممه فسيكفيكموها ثم قال عمرو: فسمعت ابن عمير يقول: فجاء طير أبيض فأخذ بأنيابها فذهب بها نحو الحجون.

وحدّثنى محمد بن يحيى قال: حدثنى هشام بن سليمان المخزومى، عن ابن جريج، عن عبد الله بن عبيد بن عمير، عن الوليد،عن عطاء بن حباب أن الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة وفد على عبد الملك بن مروان فى خلافته فقال له عبد الملك بن مروان: ما أظن أبا خبيب - يعنى - ابن الزبير - سمع من عائشة ما كان يزعم أنه سمع منها، قال الحارث: أنا سمعته منها، قال: سمعتها تقول ماذا؟ قال: قالت: قال رسول الله ﷺ إن قومك استقصروا فى بناء البيت ولولا حداثة عهد قومك بالكفر أعدت فيه ما تركوه منه، فإن بدا لقومك أن يبنوه فهلم لأريك ما تركوا منه، فأراها قريبًا من سبعة أذرع. وزاد الوليد فى الحديث وجعلت لها بابين موضوعين بالأرض بابًا شرقيًا، وبابًا غربيًا وهل تدرين لم كان قومك رفعوا بابها؟ قالت: قلت: لا. قال: تعززًا لئلا يدخلها أحد إلا من أرادوا، فكانوا إذا كرهوا أن يدخلها الرجل. يدعونه يرتقى حتى إذا كاد أن يدخل يدفعونه فيسقط. قال عبد الملك: أنت سمعتها تقول هذا؟ قال: نعم. قال: فنكت بعصاه ساعة ثم قال: إنى وددت أنى تركته وما يحمل.

حدّثنى جدى قال: حدثنى مالك بن أنس، عن ابن شهاب، عن سالم ابن عبد الله بن عمر أن عبد الله بن محمد بن أبى بكر الصديق أخبر عبد الله ابن عمر عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: ألم ترى أن قومك حين بنوا البيت استقصروا عن قواعد إبراهيم؟ قالت: فقلت: يا رسول الله ألا تردها على قواعده؟ قال: لولا حدثان قومك بالكفر لفعلت، قال عبد الله بن

عمر: لئن كانت عائشة سمعت هذا من رسول الله ﷺ ما أراه ترك استلام الركنين اللذين يليان الحجر إلا أن البيت لم يتمم على قواعد إبراهيم.

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدثنا سليم بن مسلم عن المثنى بن الصباح قال: سمعت عمرو بن شعيب يقول: كان طول الكعبة في السماء تسعة أذرع، فاستقصروا طولها وكرهوا أن يكون بغير سقف، وأرادوا الزيادة فيها فبنوها وزادوا في طولها تسعة أذرع، وتركوا في الحجر من عرضها ستة أذرع وعظم ذراع قصرت بهم النفقة.

أخبرني محمد بن يحيى، عن الواقدي، حدثني ابن أبي سبرة، عن يحيى ابن شبل، عن أبي جعفر قال: كان باب الكعبة على عهد إبراهيم وجرهم بالأرض حتى بنتها قريش، قال أبو حذيفة بن المغيرة: يا معشر قريش، ارفعوا باب الكعبة حتى لا يدخل عليكم إلا بسلم، فإنه لا يدخل عليكم إلا من أردتم، فإن جاء أحد ممن تكرهون رميتم به فيسقط فكان نكالاً لمن رآه ففعلت قريش ذلك وردموا الردم الأعلى وصرفوا السيل عن الكعبة وكسوها الوصائل.

وحدّثني محمد بن يحيى، عن الواقدي، عن محمد بن أبي حميد، عن مودود مولى عمر بن علي عن عمر بن علي قال: قال رسول الله ﷺ: أنا وضعت الركن بيدي يوم اختلفت قريش في وضعه.

حدّثني محمد بن يحيى عن الواقدي قال: حدثني خالد بن القاسم، عن ابن أبي تجراة عن أمه قالت: أنا انظر إلى رسول الله ﷺ يضع الركن بيده فقلت: لمن الثوب الذي وضع فيه الحجر؟ قالت: للوليد بن المغيرة ويقال: حمل الحجر في كساء طاروني كان للنبي ﷺ.

وحدّثني محمد بن يحيى عن الواقدي، عن ابن أبي سبرة، عن عبد الله ابن عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث، عن هشام عن سعيد بن المسيب قال: الذي أخذ الحجر الذي انفلق من غمز العتلة من أساس الكعبة فنزا من

يده فرجع مكانه أبو وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم.

حدّثنى محمد بن يحيى، عن الواقدى، عن هشام بن عمارة، عن سعيد ابن محمد بن جبير بن مطعم قال: الذى أخذ الحجر فنزا من يده عامر بن نوفل بن عبد مناف، قال الواقدى: وقد ثبت أنه أبو وهب بن عمرو بن عائذ.

حدثنى محمد بن يحيى عن الواقدى، عن الوليد بن كثير، عن يعقوب ابن عتبة قال: اجتمع عند معاوية بن أبى سفيان وهو خليفة، نفر من قريش منهم جعدة بن هبير، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، والحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة، وعبد الله بن زمعة بن الأسود، فتذاكروا أحاديث العرب، فقال معاوية: مَن الرجل الذى نزا الحجر من يده حين حفر أساس البيت حتى عاد مكانه؟ قالوا: من أعلم من أمير المؤمنين بهذا، قال: على ذلك، ليس كل العلم وعيناه ولاحفظناه، لقد علمنا أموراً فنسيناها، قالوا جميعًا: و أبو وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، قال معاوية: كذلك كنت أسمع من أبى وكان حاضراً فى ذلك اليوم، قال: فمن قال حين اختلفت قريش فى بنيان مقدم البيت يا معشر قريش لا تنافسوا ولا تباغضوا فيطمع فيكم غيركم ولكن جَزِّئُوا البيت أربعة أجزاء ثم ربعوا القبائل فلتكن أرباعًا؟ قالوا: إنه أبو أمية بن المغيرة قال: هكذا كنت أسمع أبى يقول. قال: فمن القائل حين اختلفت قريش فى وضع الركن حكموا بينكم أول من يطلع من هذا الباب؟ قال: أبو حذيفة بن المغيرة قال: نعم، قال: فمن النفر الذين رفعوا الثوب حين وضعه رسول الله ﷺ قال: جدك عتبة بن ربيعة أحدهم، قال: كذلك كنت أسمع أبى يقول. قال: فمن كان من الربع الثانى؟ قالوا: أبو زمعة بن الأسود بن المطلب قال: كذلك كنت أسمع أبى يقول، قال: فمن كان فى الربع الثالث؟ قالوا: أبو حذيفة بن المغيرة قال: كذلك كنت أسمع أبى يقول قال: فمن كان فى الربع الرابع؟ قالوا: أبو قيس بن عدى

السهمى، قال: هذه واحدة قد أخذتها عليكم، العاصى بن وائل، قال: فمن قال يا معشر قريش لا تدخلوا فى عمارة بيت ربكم إلا طيبًا من كسبكم؟ قالوا: أبو حذيفة بن المغيرة قال: هذه أخرى قد أخذتها عليكم. القائل هذا والمتكلم به أبو أحيحة سعيد بن العاصى قال: فأسكت القوم.

حدّثنى سعيد بن محمد رجل من قريش قال: حدثنى عيسى بن عبد الله ابن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب رضى الله عنه، عن أبيه، عن جده، عن عمر بن على بن أبى طالب، عن على بن أبى طالب قال: لما احترقت الكعبة فى الجاهلية هدمتها قريش لتبنيها، فكشف عن ركن من أركانها من الأساس فإذا حجر فيه مكتوب: أنا يعفر بن عبد قرا، أقرأ على ربى السلام من رأس ثلاثة آلاف سنة[1].

* * *

باب ما جاء فى فتح الكعبة، ومتى كانوا يفتحونها؟ ودخولهم إياها، وأول من خلع النعل والخف عند دخولها

حدّثنا أبو الوليد قال: أخبرنى محمد بن يحيى، عن الواقدى عن عبد الله ابن يزيد، عن سعيد بن عمرو الهذلى عن أبيه قال: رأيت قريشًا يفتحون البيت فى الجاهلية يوم الاثنين والخميس، وكان حجابه يجلسون عند بابه فيرتقى الرجل إذا كانوا لا يريدون دخوله فيدفع ويطرح وربما عطب، وكانوا لا يدخلون الكعبة بحذاء يعظمون ذلك ويضعون نعالهم تحت الدرجة.

أخبرنى محمد بن يحيى، عن الواقدى، عن أشياخه قالوا: لما فرغت قريش من بناء الكعبة كان أول من خلع الخف والنعل فلم يدخلها بهما الوليد ابن المغيرة إعظامًا لها فجرى ذلك سنة.

(١) إتحاف الورى ١/ ١٥٤.

حدّثنى محمد بن يحيى، حدثنا عبد العزيز بن عمران، عن عبد الله بن أبى سليمان، عن أبيه أن فاختة ابنة زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى ـ وهى أم حكيم بن حزام ـ دخلت الكعبة وهى حامل فأدركها المخاض فيها، فولدت حكيمًا فى الكعبة فحملت فى نطع وأخذ ما تحت مثبرها(١) فغسل عند حوض زمزم، وأخذت ثيابها التى ولدت فيها فجعلت لقى ـ واللَّقَى(٢) أنه لم يكن يطوف أحد بالبيت إلا عريانًا ـ إلا الحُمْس فإنهم كانوا يطوفون بالبيت وعليهم الثياب، وكان من طاف من غير الحمس فى ثيابه فإذا طاف الرجل أو المرأة وفرغ من طوافه جاء بثيابه التى طاف فيها فطرحها حول البيت، فلا يمسها أحد ولا يحركها حتى تبلى من وطء الأقدام، ومن الشمس والرياح والمطر، وقال ورقة بن نوفل يذكر اللقا:

كفى حزنًا كَرِّى عليها كأنها ... لَقًى بين أيدى الطائفين حريمُ(٣)

يقول لا يمس.

حدّثنى جدى قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن ابن إسحاق الهمدانى، عن زيد بن يثيع قال: سألنا عليًا عليه السلام بأى شىء بعثك رسول الله ﷺ إلى بكر الصديق رضى الله عنه فى حجته سنة تسع؟ قال: بأربع: لا يطوف بالبيت عريان، ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يجتمع مسلم ومشرك فى الحرم بعد عامهم هذا، ومن كان له عند النبى ﷺ عهد فأربعة اشهر.

قال أبو محمد: ووجدت فى كتاب قديم فيما سمع من أبى الوليد ومن كان له عند النبى ﷺ عهد فعهده إلى مدته ومن لم يكن له عند النبى ﷺ عهد فعهده أربعة أشهر.

حدّثنا جدى قال: حدثنا عبد الله بن معاذ الصنعانى، عن معمر، عن

---

(١) المثبر بفتح الميم: مسقط الولد.

(٢) اللقى: الشىء الملقى المطرح ويقال: المنسى.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٢٠٣.

الزهرى أن العرب كانت تطوف بالبيت عراة إلا الحمس: قريش وأحلافها ـ والأحمسى المشدد فى دينه فى بعض كلام العرب ـ فمن جاء من غيرهم وضع ثيابه وطاف فى ثوب أحمسى قال: فإن لم يجد من يعيره من الحمس ثوبًا فإنه يلقى ثيابه ويطوف عريانًا وإن طاف فى ثيابه ألقاها إذا قضى طوافه يحرمها فيجعلها عندها فلذلك قال تبارك وتعالى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١].

حدثنى جدى قال: حدثنا عبد الله بن معاذ الصنعانى، عن معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه قال: السملة[١] من الزينة.

حدثنى جدى، عن عبد المجيد ابن عبد العزيز بن أبى داود عن ابن جريج قال: أخبرنى عبد الله بن كثير أنه سمع طاوسًا يقول: يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة فتبلوا حتى يأتى، ﴿يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ يقول: لم يأمرهم بالحرير ولا بالديباج، ولكنه كان أهل الجاهلية يطوف أحدهم بالبيت عريانًا ويدع ثيابه وراء المسجد فيجدها، ثم إن طاف وهى عليه ضرب وانتزعت منه فى ذلك نزلت ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

حدثنا سعيد بن منصور قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد فى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الأعراف: ٢٨] قال: كانوا يطوفون بالبيت عراة. قال ابن جريج: لما أن أهلك الله تعالى من أهلك من أبرهة الحبشى صاحب الفيل وسلط عليه الطير الأبابيل عظمت جميع العرب قريشًا وأهل مكة وقالوا: أهل الله قاتل عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم فازدادوا فى تعظيم الحرم والمشاعر الحرام والشهر الحرام ووقروها ورأوا أن دينهم خير الأديان وأحبها إلى الله تعالى، وقالت قريش وأهل مكة:

---

(١) كذا فى أ، ب. وفى الأصل: «الشيملة». والسَّمَل: الخَلَق من الثياب، والشملة: الكساء والمِئزَر يتَّشح به.

نحن أهل الله وبنو إبراهيم خليل الله وولاة البيت الحرام وسكان حرمه وقطانه، فليس لأحد من العرب مثل حقنا ولا مثل منزلتنا ولا تعرف العرب لأحد مثل ما تعرف لنا فابتدعوا عند ذلك أحداثا فى دينهم أداروها بينهم فقالوا: لا تعظمون شيئًا من الحل كما تعظمون الحرم فإنكم إن فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمكم وقالوا: قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم فتركوا الوقوف على عرفة، والإفاضة منها وهم يعرفون ويقرون أنها من المشاعر والحج ودين إبراهيم، ويقرون لسائر العرب أن يقفوا عليها، وأن يفيضوا منها إلا أنهم قالوا: نحن الحمس أهل الحرم فليس ينبغى لنا أن نخرج من الحرم ولا نعظم غيره.

ثم جعلوا لمن ولدوا من سائر العرب من سكان الحل والحرم مثل الذى لهم بولادتهم إياهم يحل لهم ما يحل لهم، ويحرم عليهم ما يحرم عليهم، وكانت خزاعة وكنانة قد دخلوا معهم فى ذلك.

ثم ابتدعوا فى ذلك أمورًا لم تكن، حتى قالوا: لا ينبغى للحمس أن يأتَقِطوا[1] الأقِط ولا يسلئوا السمن وهم حُرُم، ولا يدخلوا بيتًا من شَعَر، ولا يستظلوا إن استظلوا إلا فى بيوت الأدَم ما كانوا حُرُمًا، ثم رفعوا فى ذلك فقالوا: لا ينبغى لأهل الحل أن يأكلوا من طعام جاءوا به معهم من الحل فى الحرم، إذا كانوا حجاجًا أو عمارًا، ولا يأكلون فى الحرم إلا من طعام أهل الحرم إما قِرًى وإما شراء، وكانوا مما سنوا به أنه إذا حج الصرورة من غير الحمس[2].

والحمس: أهل مكة قريش وكنانة وخزاعة ومن دان دينهم ممن ولدوا من حلفائهم وإن كان من ساكنى الحل، والأحمسى: المشدد فى دينه، فإذا حج

(١) كذا فى سيرة ابن هشام. وفى الأصول: «يأقطوا» والأقط: شىء يتخذ من المخيض الغنمى.
(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٢٠٢، إتحاف الورى ١/ ٦٤.

الصرورة[١] من غير الحمس - رجلاً كان أو امرأة لا يطوف بالبيت إلا عريانًا الصرورة أول ما يطوف إلا أن يطوف فى ثوب أحمسى إما إعارة وإما إجارة، يقف أحدهم بباب المسجد فيقول: من يعير مصونا[٢]؟ من يعير ثوبًا؟ فإن أعاره أحمسى ثوبًا أو أكراه طاف به. وإن لم يُعِرْه ألقى ثيابه. بباب المسجد من خارج ثم دخل الطواف وهو عُرْيَان، يبدأ بإساف فيستلمه، ثم يَسْتَلِم الركن الأسود، ثم يأخذ عن يمينه ويطوف، ويجعل الكعبة عن يمينه، فإذا ختم طوافه سبعًا استلم الركن، ثم استلم نائلة فيختم بها طوافه، ثم يخرج فيجد ثيابه كما تركها لم تمس فيأخذها فيلبسها، ولا يعود إلى الطواف بعد ذلك عريانًا[٣].

ولم يكن يطوف بالبيت عريان إلا الصرورة من غير الحمس، فأما الحمس فكانت تطوف فى ثيابها فإن تكرم مُتَكَرِّمٌ من رجل أو امرأة من غير الحمس ولم يجد ثياب حمسى يطوف فيها ومعه فضل ثياب يلبسها غير ثيابه التى عليه، طاف فى ثيابه التى جاء بها من الحل، فإذا فرغ من طوافه نزع ثيابه ثم جعلها لَقًى يطرحها بين أساف ونائلة، فلا يمسها أحد ولا ينتفع بها حتى تبلى من وَطء الأقدام ومن الشمس والرياح والمطر، وقال الشاعر يذكر ذلك اَللقَى:

كفى حزنًا كَرِّى عليه كأنه   لَقًى بين أيدى الطائفين حريم[٤]

يقول لا يمس: فصار هذا كله سنة فيهم، وذلك من صنع إبليس وتزيينه لهم ما يلبس عليهم من تغيير الحنيفية دين إبراهيم، فجاءت امرأة يومًا وكان لها جمال وهيئة، فطلبت ثيابًا عارية فلم تجد من يعيرها، فلم تجد بدًا من أن

---

(١) الصرورة: من لم يسبق له الحج.

(٢) فى الأصل: «مضمونًا» والمثبت من بقية الأصول، ومثله فى إتحاف الورى.

(٣) إتحاف الورى ١/٦٦.

(٤) إتحاف الورى ١/٦٧.

تطوف عريانة فنزعت ثيابها بباب المسجد ثم دخلت المسجد عريانة فوضعت يديها على فرجها وجعلت تقول:

اليوم يَبْدُو بَعْضُه أو كُلُّهُ وَمَا بَدَا منه فلا أُحِلُّه

قال: فجعل فتيان مكة ينظرون إليها وكان لها حديث طويل، وقد تزوجت في قريش[١].

قال: وجاءت امرأة أيضًا تطوف عريانة وكان لها جمال، فرآها رجل فأعجبته، فذخل الطواف وطاف في جنبها لأن يمسها، فأدنى عضده من عضدها، فالتزقت عضده بعضدها، فخرجا من المسجد من ناحية بني سهم هاربين على وجوههما، فزعين لما أصابهما من العقوبة، فلقيهما شيخ من قريش - خارجًا من المسجد - فسألهما عن شأنهما، فأخبراه بقضيتهما، فأفتاهما أن يعودا، فرجعا إلى المكان الذي أصابهما فيه ما أصابهما، فيدعوان ويُخْلصان أن لا يعودا، فرجعا إلى مكانهما فدعوا الله سبحانه وأخلصا إليه أن لا يعودا فافترقت أعضادهما فذهب كل واحد منهما في ناحية[٢].

* * *

حج أهل الجاهلية وإنساء الشهور ومواسمهم وما جاء في ذلك

حدّثنا أبو الوليد قال: حدثني جدي قال: حدثنا سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، عن محمد بن إسحاق، عن الكلبي، عن أبي صالح مولى أم هاني عن ابن عباس قال: كانت العرب على دينين، حلة وحمس، فالحمس: قريش وكل من ولدت من العرب وكنانة وخزاعة والأوس والخزرج

(١) سيرة ابن هشام ١/٢٠٢، إتحاف الورى ١/٦٨.

(٢) إتحاف الورى ١/٦٩.

وجشم وبنو ربيعة بن عامر بن صعصعة، وأزد شنوءة، وجذم، وزبيد، وبنو ذكوان من بنى سليم، وعمرو اللات، وثقيف، وغطفان والغوث، وعدوان، وعلاف، وقضاعة، وكانت قريش إذا أنكحوا عربيًا امرأة منهم اشترطوا عليه أن كل من ولدت له فهو أحمسى على دينهم، وزوج الأدرم تَيْم بن غالب ابن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ابنته مجدًا ابنه تيم بن ربيعة بن عامر[1] ابن صعصعة على أن ولده منها أحمسي على سنة قريش، وفيها يقول لبيد بن ربيعة بن جعفر الكلابى:

سَقَى قَوْمى بنى مَجْد وأَسقى ... نميرًا والقبائل من هلال[2]

وذكروا أن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان تزوج سلمى بنت ضبيعة بن على بن يعصر بن سعد بن قيس بن عيلان، فولدت له هوازن، فمرض مرضًا شديدًا، فنذرت سلمى لئن برأ لتحمسنه، فلما برأ حمسته، فلم تكن نساؤهم ينسجن ولا يغزلن الشعر ولا يَسْلأْنَ السمن إذا أحرموا.

قال: وكانت الحمس إذا أحرموا ألا يأتقطوا الإقط، ولا يأكلوا السمن ولا يسلئونه، ولا يمخضون اللبن، ولا يأكلون الزبد، ولا يلبسون الوبر، ولا الشعر، ولا يستظلون به ما داموا حرمًا، ولا يغزلون الوبر، ولا الشعر ولا ينسجونه، وإنما يستظلون بالأدم ولا يأكلون شيئًا من نبات الحرم.

وكانوا يعظمون الأشهر الحرم ولا يخفرون فيها الذمة ولا يظلمون فيها، ويطوفون بالبيت وعليهم ثيابهم، وكانوا إذا أحرم الرجل منهم فى الجاهلية

---

(١) كذا فى الأصل. وفى أ: «ابنته مجدًا ابنة تَيْم ربيعة بن عامر» وفى ب: «ابنه مجدًا ابنة تيم بن ربيعة». وفى المُحَبَّر ص١٧٨: «مجد بنت تيم بن غالب بن فهر» ومثله فى كتاب النسب لأبى عُبيد القاسم بن سلام ص٢٥٩. وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ص٤٨٦، والعمدة لابن رشيق ٢/ ٩١١.

(٢) المحبر ص ١٧٨، اللسان (مجد).

وأول الاسلام، فإن كان من أهل المدر - يعنى أهل البيوت والقرى - نقب نقبًا فى ظهر بيته، فمنه يدخل ومنه يخرج، ولا يدخل من بابه، وكانت الحمس تقول: لا تعظموا شيئًا من الحل ولا تجاوزوا الحرم فى الحج فلا يهاب الناس حرمكم ويرون ما تعظمون من الحل كالحرم فقصروا عن مناسك الحج والموقف من عرفة وهو من الحل، فلم يكونوا يقفون به ولا يفيضون منه، وجعلوا موقفهم فى طرف الحرم من نمرة بمفضى المأزمين يقفون به عشية عرفة ويظلون به يوم عرفة فى الأراك من نمرة ويفيضون منه إلى المزدلفة، فإذا عممت الشمس رءوس الجبال، دفعوا وكانوا يقولون: نحن أهل الحرم لا نخرج من الحرم ونحن، الحمس، فتحمست قريش ومن ولدت فتحمست معهم هذه القبائل، فسميت الحمس.

وإنما سميت الحمس حمسًا للتشديد فى دينهم، فالأحمسى فى لغتهم المشدد فى دينه، وكانت الحمس من دينهم إذا احرموا أن لا يدخلوا بيتًا من البيوت ولا يستظلوا تحت سقف بيت، ينقب أحدهم نقبًا فى ظهر بيته، فمنه يدخل إلى حجرته ومنه يخرج ولا يدخل من بابه، ولا يجوز تحت أُسْكُفَّة[1] بابه ولا عارضته، فإذا أرادوا بعض أطعمتهم ومتاعهم، تسوروا من ظهر بيوتهم وأدبارها حتى يظهروا على السطوح ثم ينزلون فى حجرتهم ويحرمون أن يمروا تحت عتبة الباب.

وكانوا كذلك حتى بعث الله نبيه محمداً ﷺ، فأحرم عام الحديبية، فدخل بيته وكان معه رجل من الأنصار فوقف الأنصارى بالباب فقال له: ألا تدخل؟ فقال الأنصارى: إنى أحمسى يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: وأنا أحمسى دينى ودينك سواء، فدخل الأنصارى مع رسول الله ﷺ كما رآه دخل من بابه، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة:١٨٩].

(١) الأُسْكُفَّة: عتبة الباب.

وكانت الحلة تطوف بالبيت أول ما يطوف الرجل والمرأة فى أول حجة يحجها عراة، وكانت بنو عامر بن صعصعة وعك، ممن يفعل ذلك، فكانوا إذا طافت المرأة منهم عريانة، تضع إحدى يديها على قبلها والأخرى على دبرها ثم تقول:

اليَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أو كُلُّهُ وَمَا بـدا منـهُ فلا أُحِـلُّه[1]

قال ابن عباس: فكانت قبائل من العرب من بنى عامر وغيرهم يطوفون بالبيت عراة الرجال بالنهار والنساء بالليل، فإذا بلغ أحدهم إلى باب المسجد قال للحمس: من يعير مصونا؟ من يعير معوزًا؟ فإن أعاره أحمسى ثوبه طاف به وإلا ألقى ثيابه بباب المسجد ثم دخل للطواف، فطاف بالبيت سبعًا عريانًا، وكانوا يقولون لا نطوف فى الثياب التى قارفنا فيها الذنوب، ثم يرجع إلى ثيابه فيجدها لم تحرك، وكان بعض نسائهم تتخذ سيوراً فتعلقها فى حقوتها وتستتر بها، وهو يوم تقول فيه قول العامرية:

اليَوْمَ يبدو بعضُه أو كلّه فما بدا منه فلا أُحِلّهُ

إلا أن يتكرم منهم متكرم فيطوف فى ثيابه، فإن طاف فيها لم يحل له أن يلبسها أبدًا ولا ينتفع بها ويطرحها لَقًى ـ واللَّقَى هذه الثياب التى يطوفون فيها يرمون بها باب المسجد فلا يمسها أحد من خلق الله حتى تبليها الشمس والأمطار والرياح ووطء الأقدام ـ وفيه يقول ورقة بن نوفل الأسدى:

كـفى حـزنًا كَـرِّى عليـه كـأنه لَقًى بين أيدى الطائفين حريم

قال الكلبى: فكان أول من انسأ الشهور من مضر، مالك بن كنانة، وذلك أن مالك بن كنانة نكح إلى معاوية بن ثور الكندى وهو يومئذ فى كندة، وكانت النساءة قبل ذلك فى كندة، لأنهم كانوا قبل ذلك ملوك العرب من ربيعة ومضر، وكانت كندة من أرداف المقاول فنسأ ثعلبة بن مالك ثم نسأ

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٢٠٢.

بعده الحارث بن مالك بن كنانة وهو القلمس، ثم نسأ بعده سرير بن القلمس، ثم كانت النساءة فى بنى ثعلبة حتى جاء الإسلام.

وكان آخر من نسأ منهم أبو ثمامة جنادة بن عوف بن أمية بن عبد بن فقيم، وهو الذى جاء فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى الركن الأسود، فلما رأى الناس يزدحمون عليه قال: أيها الناس، إنا له جار فأخروا عنه فخفقه عمر بالدرة ثم قال: أيها الجلف الجافى قد أذهب الله عزك بالإسلام.

فكل هؤلاء فد نسأ فى الجاهلية والذى ينسأ لهم إذا أرادوا أن لا يحلو المحرم قام بفناء الكعبة يوم الصدر فقال: أيها الناس، لا تحلوا حرماتكم، وعظموا شعائركم فإنى أجاب ولا أعاب، ولا يعاب لقول قلته فهنالك يحرمون المحرم ذلك العام.

وكان أهل الجاهلية يسمون المحرم صفر الأول، وصفر، صفر الآخر، فيقولون: صفران وشهرا ربيع وجماديان ورجب وشعبان وشهر رمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة، فكان ينسأ الأنساء سنة ويترك سنة ليحلوا الشهور المحرمة ويحرموا الشهور التى ليست بمحرمة.

وكان ذلك من فعل إبليس ألقاه على ألسنتهم فرأوه حسنًا، فإذا كانت السنة التى ينسأ فيها، يقوم فيخطب بفناء الكعبة ويجتمع الناس إليه يوم الصدر فيقول: يا أيها الناس إنى قد أنسأت العام صفر الأول - يعنى المحرم - فيطرحونه من الشهور ولا يعتدون به، ويبتدئون العدة فيقولون: لصفر وشهر ربيع الأول صفرين ويقولون لشهر ربيع الآخر ولجمادى الأولى، شهرى ربيع، ويقولون لجمادى الآخرة ولرجب جماديين، ويقولون لشعبان، رجب، ولشهر رمضان شعبان، ويقولون لشوال شهر رمضان، ولذى القعدة شوال، ولذى الحجة ذا القعدة، ولصفر الأول وهو المحرم، الشهر الذى أنسأه ذا الحجة، فيحجون تلك السنة فى المحرم، ويبطل من هذه السنة شهراً ينسئه.

ثم يخطبهم فى السنة الثانية فى وجه الكعبة أيضًا فيقول: أيها الناس لا تحلوا حرماتكم، وعظموا شعائركم، فإنى أجاب ولا أعاب، ولا يعاب لقول قلته، اللهم إنى قد أحللت دماء المحلين طىء وخثعم فى الأشهر الحرم، وإنما أحل دماءهم، لأنهم كانوا يعدون على الناس فى الأشهر الحرم من بين العرب فيعرونهم يطلبون بثأرهم ولا يقفون عن حرمات الأشهر الحرم كما يفعل غيرهم من العرب.

فكان سائر العرب من الحلة والحمس، لا يعدون فى الأشهر الحرم على أحد، ولو لقى أحدهم قاتل أبيه أو أخيه، ولا يستاقون مالا، إعظامًا للشهور الحرم، إلا خثعم وطىء فإنهم كانوا يعدون فى الأشهر الحرم، فهنالك يحرمون من تلك السنة المحرم وهو صفر الأول ثم يعدون الشهور على عدتهم التى عدوها فى العام الأول فيحجون فى كل شهر حجتين، ثم ينسأ فى السنة الثانية، فينسأ صفر الأول فى عدتهم هذه وهو صفر الآخر فى العدة الثانية حتى تكون حجتهم فى صفر أيضًا حجتين، وكذلك الشهور كلها حتى يستدير الحج فى كل أربع وعشرين سنة إلى المحرم الذى ابتدءوا منه الإنساء، يحجون فى الشهور كلها فى كل شهر حجتين.

فلما جاء الله بالإسلام، أنزل فى كتابه: ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ﴾ [التوبة:٣٧] فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ [التوبة:٣٦].

فلما كان عام فتح مكة سنة ثمان استعمل النبى ﷺ عتاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس على مكة ومضى إلى حنين فغزا هوازن، فلما فرغ منها مضى إلى الطائف ثم رجع عن الطائف إلى الجعرانة فقسم بها غنائم حنين فى ذى القعدة، ثم دخل مكة ليلاً معتمرًا، فطاف البيت وبين الصفا والمروة من ليلته ومضى إلى الجعرانة فأصبح بها كبائت، فأنشأ الخروج

منها راجعًا إلى المدينة. فهبط من الجعرانة فى بطن سرف حتّى لقى طريق المدينة من سرف.

ولم يؤذن للنبى ﷺ فى الحج تلك السنة، وذلك أن الحج وقع تلك السنة فى ذى القعدة، ولم يبلغنا أنه استعمل عتابًا على الحج تلك السنة، سنة ثمان، ولا أمره فيه بشىء، فلما جاء الحج، حج المسلمون والمشركون فدفعوا معًا فكان المسلمون فى ناحية يدفع بهم عتاب بن أسيد ويقف بهم المواقف، لأنه أمير البلد، وكان المشركون ممن كان له عهد ومن لم يكن له عهد فى ناحية يدفع بهم أبو سيارة العدوانى على أتان عوراء رسنُها ليف.

قال: فلما كان سنة تسع، وقع الحج فى ذى الحجة، فأرسل النبى ﷺ أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه إلى مكة واستعمله على الحج وعلمه المناسك وأمره بالوقوف على عرفة وعلى جمع، ثم نزلت سورة براءة خلاف أبى بكر فبعث بها النبى ﷺ مع على عليه السلام وأمره إذا خطب أبو بكر، وفرغ من خطبته قام على، فقرأ على الناس سورة براءة ونبذ إلى المشركين عهدهم، وقال: لا يجتمعن مسلم ومشرك على هذا الموقف بعد عامهم هذا: وكان أبو بكر رضى الله تعالى عنه الذى يخطب على الناس ويصلى بهم ويدفع بهم فى الموقف.

فلما كان سنة عشر، أذن الله عز وجل لنبيه ﷺ فى الحج، فحج رسول الله حجة الوداع ـ وهى حجة التمام ـ فوقف بعرفة فقال: يا أيها الناس، إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض فلا شهر ينسأ ولا عدة تخطا، وإن الحج فى ذى الحجة إلى يوم القيامة، قال: وكانت الإفاضة فى الجاهلية إلى صوفة ـ وصوفة رجل يقال له أخزم بن العاص بن عمرو بن مازن بن الأسد، وكان أخزم قد تصدق بابن له على الكعبة يخدمها، فجعل إليه حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر الخزاعى الإفاضة بالناس على الموقف وحبشية يومئذ يلى حجابة الكعبة

وأمر مكة يصطف الناس على الموقف فيقول حبشية: أجيزى صوفة فيقول الصوفى: أجيزوا أيها الناس فيجوزون.

يقال: إن امرأة من جُرْهم تزوجها أخزم بن العاص بن عمرو بن مازن بن الأسد وكانت عاقرًا، فنذرت إن ولدت غلامًا أن تصدق به على الكعبة عبدًا لها يخدمها ويقوم عليها، فولدت من أخزم الغوث، فتصدقت به عليها، فكان يخدمها فى الدهر الأول مع أخواله من جرهم فولى الإجازة بالناس لمكانه من الكعبة وقالت أمه حين أتمت نذرها وخدم الغوث بن أخزم الكعبة:

إنى جعلت رب من بَنِيَّه[1] ربيطة بمكة العليَّهْ

فباركن لى بها أليّه واجعله لى من صالح البريه[2]

فولى الغوث بن أخزم الإجازة من عرفة وولده من بعده فى زمن جرهم وخزاعة حتى انقرضوا، ثم صارت الإفاضة فى عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر فى زمن قريش فى عهد قصى، وكانت من بنى عدوان فى آل زيد بن عدوان يتوارثونه، حتى كان الذى قام عليه الإسلام سيارة العدوانى وهو عمير الأعزل بن خالد بن سعيد بن الحارث بن زيد بن عدوان، وكان أيضًا من عدوان حاكم العرب عامر بن الظرب.

فإذا كان الحج فى الشهر الذى يسمونه ذا الحجة، خرج الناس إلى مواسمهم فيصبحون بعكاظ يوم هلال ذى القعدة فيقيمون به عشرين ليلة تقوم فيها أسواقهم بعكاظ والناس على مداعيهم وراياتهم منحازين فى المنازل تضبط كل قبيلة أشرافها وقادتها ويدخل بعضهم فى بعض للبيع والشراء ويجتمعون فى بطن السوق، فإذا مضت العشرون انصرفوا إلى مجنة فأقاموا بها عشرًا، أسواقهم قائمة، فإذا رأوا هلال ذى الحجة انصرفوا إلى ذى المجاز

---

(١) فى سيرة ابن هشام: «من بَنِيَّه».

(٢) سيرة ابن هشام ١١٩/١.

فأقاموا به ثمان ليال أسواقهم قائمة، ثم يخرجون يوم التروية من ذى المجاز إلى عرفة فيتروون ذلك اليوم من الماء بذى المجاز.

وإنما سمى يوم التروية، لترويهم من الماء بذى المجاز، ينادى بعضهم بعضًا ترووا من الماء لأنه لا ماء بعرفة ولا بالمزدلفة يومئذ، وكان يوم التروية آخر أسواقهم، وإنما كان يحضر هذه المواسم بعكاظ، ومجنة، وذى المجاز التجار ومن[1] كان يريد التجارة، ومن لم يكن له تجارة ولا بيع فإنه يخرج من أهله متى أراد، ومن كان من أهل مكة ممن لا يريد التجارة، خرج من مكة يوم التروية، فيترووا من الماء فتنزل الحمس أطراف الحرم من نمرة يوم عرفة وتنزل الحلة عرفة.

وكان النبى ﷺ فى سنته التى دعا فيها بمكة قبل الهجرة لا يقف مع قريش والحمس فى طرف الحرم، وكان يقف مع الناس بعرفة. قال جبير بن مطعم ابن عدى بن نوفل بن عبد مناف: أضللت بعيراً يوم عرفة فخرجت أقصه وأتبعه بعرفة إذ أبصرت محمداً بعرفة فقلت: هذا من الحمس ما يوقفه ها هنا فعجبت له، قال: وكانوا لا يتبايعون فى يوم عرفة ولا أيام منى، فلما أن جاء الله بالإسلام أحل الله ذلك لهم فأنزل الله تعالى فى كتابه: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة:١٩٨] وفى قراءة أبى بن كعب فى مواسم الحج - يعنى منى وعرفة وعكاظ ومجنة، وذا المجاز - فهذه مواسم الحج، فإذا جاءوا عرفة أقاموا بها يومُ عرفة فتقف الحلة على الموقف من عرفة عشية عرفة، وتقف الحمس على أنصاب الحرم من نمرة، فإذا دفع الناس من عرفة وأفاضوا أفاضت الحمس من أنصاب الحرم وأفاضت الحلة من عرفة حتى يلتقوا بمزدلفة جميعًا.

وكانوا يدفعون من عرفة إذا طفلت الشمس للغروب، وكانت على رءوس الجبال كأنها عمائم الرجال فى وجوههم، فإذا كان هذا الوقت دفعت الحلة

---

(١) كذا فى الأصل، أ. وفى ب: «من».

من عرفة ودفعت معها الحمس من أنصاب الحرم حتى يأتوا جميعًا مزدلفة فيبيتون بها حتى إذا كان فى الغلس، وقفت الحلة والحمس على قزح، فلا يزالون عليه، حتى إذا طلعت الشمس وصارت على رءوس الجبال كأنها عمائم الرجال فى وجوههم دفعوا من مزدلفة وكانوا يقولون: أشرق ثبير كيما نغير - أى أشرق بالشمس حتى ندفع من المزدلفة - فأنزل الله فى الحمس ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ [البقرة:١٩٩] - يعنى من عرفة - والناس الذين كانوا يدفعون منها أهل اليمن وربيعة وتميم.

فلما حج النبى ﷺ خطب الناس بعرفة فقال: إن أهل الشرك والأوثان كانوا يدفعون من عرفة إذا صارت الشمس على رءوس الجبال كأنها عمائم الرجال فى وجوههم، ويدفعون من مزدلفة إذا طلعت الشمس على رءوس الجبال كأنها عمائم الرجال فى وجوههم، وإنا لا ندفع من عرفة حتى تغرب الشمس، ونحل فطر الصائم، وندفع من مزدلفة غداً إن شاء الله قبل طلوع الشمس، هدينا مخالف لهدى أهل الشرك والأوثان.

قال: الكلبى: وكانت هذه الأسواق بعكاظ، ومجنة، وذى المجاز قائمة فى الإسلام، حتى كان حديثًا من الدهر: فأما عكاظ فإنما تركت عام خرجت الحَرُورِيَّة[1] بمكة مع أبى حمزة المختار بن عوف الأزدى الإِبَاضِى[2] فى سنة تسع وعشرين ومائة، خاف الناس أن ينهبوا وخافوا الفتنة فتركت حتى الآن.

ثم تركت مجنة وذو المجاز بعد ذلك، واستغنوا بالأسواق بمكة وبمنى وبعرفة.

قال أبو الوليد: وعكاظ وراء قرن المنازل بمرحلة على طريق صنعاء فى

---

(١) الحرورية: طائفة من الخوارج تنسب إلى حروراء بقرب الكوفة؛ لأنه كان بها أول اجتماعهم وتحكيمهم من خالفوا عليًا.

(٢) الإباضيّة: فرقة من الخوارج شاع أمرها فى أواخر الدولة الأموية، تنسب إلى عبد الله بن إياض التميمى.

عمل الطائف على بريد منها، وهى سوق لقيس بن عيلان وثقيف، وأرضها لنصر. ومجنة سوق بأسفل مكة على بريد منها، وهى سوق لكنانة، وأرضها من أرض كنانة، وهى التى يقول فيها بلال:

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة ... بفخ وحولى إذخر وجليلُ

وهل أَرِدَنْ يومًا مياة مجنة ... وهل يَبْدُون لى شامة وطفيل(١)

وشامة وطفيل جبلان مشرفان على مجنة، وذو المجاز سوق لهذيل عن يمين الموقف من عرفة قريب من كبكب على فرسخ من عرفة وحباشة سوق الأزد وهى فى ديار الأوصام من بارق من صدر قَنَوْنى وحَلْى من ناحية اليمن، وهى من مكة على ست ليال وهى آخر سوق خربت من أسواق الجاهلية.

وكان والى مكة يستعمل عليها رجلا يخرج معه بجند فيقيمون بها ثلاثة أيام من أول رجب متوالية، حتى قتلت الأزد واليًا كان عليها من غنى بعثه داود بن عيسى بن موسى فى سنة سبع وتسعين ومائة، فأشار فقهاء أهل مكة على داود بن عيسى بتخريبها فخربها وتركت إلى اليوم.

وإنما ترك ذكر حباشة مع هذه الأسواق لأنها لم تكن فى مواسم الحج ولا في أشهره، وإنما كانت في رجب. قال: وكانوا يرون أن أفجر الفجور العمرة فى أشهر الحج، تقول قريش وغيرها من العرب: لا تحضروا سوق عكاظ ومجنة وذى المجاز إلا محرمين بالحج، وكانوا يعظمون أن يأتوا شيئًا من المحارم أو يعدوا بعضهم على بعض فى الأشهر الحرم وفى الحرم.

وإنما سمى الفجار لما صنع فيه من الفجور، وسفك فيه من الدماء، فكانوا يأمنون فى الأشهر الحرم وفى الحرم وكانوا يقولون: إذا برأ الدبر، وعفى الوبر، ودخل صفر حلت العمرة لمن اعتمر - يعنون إذا برأ دبر الإبل التى

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٨٩.

كانوا شهدوا الموسم وحجوا عليها وعفا وبرها ـ فقال رسول الله فى الإسلام دخلت العمرة فى الحج إلى يوم القيامة، فاعتمر رسول الله ﷺ عمره كلها فى ذى القعدة عمرة الحديبية، وعمرة القضاء من قابل، وعمرته من الجعرانة كلها فى ذى القعدة، وأرسل عائشة رضى الله عنها مع أخيها عبد الرحمن ابن أبى بكر ليلة الحصبة فاعتمرت من التنعيم.

قال: وكان من سنتهم أن الرجل يحدث الحدث بقتل الرجل، أو يلطمه، أو يضربه فيربط لحا من لحا الحرم قلادة فى رقبته ويقول: أنا صرورة[1] فيقال: دعوا الصّرورة بجهله وإن رمى بجعره فى رجله فلا يعرض له أحد، فقال النبى ﷺ: لا صرورة[2] فى الإسلام وإن من أحدث حدثًا أُخِذَ بحدثه.

قال: فكان عمرو بن لحى وهو ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر الخزاعى وهو الذى غير دين الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام كان فيهم شريفًا، سيدًا، مطاعًا يطعم الطعام، ويحمل المغرم، وكان ما قال لهم: فهو دين متبع لا يعصى.

وكان إبليس يلقى على لسانه الشىء الذى يغير به الإسلام فيستحسنه فيعمل به فيعمله أهل الجاهلية، وهو الذى جاء بهبل من أرض الجزيرة فجعله فى الكعبة وجعل عنده سبعة قداح يستقسمون بها فى كل قدح منها كتاب يعملون بما يخرج فيه، فإذا أراد الرجل أمرًا أو سفرًا أخرج منها قدحين فى أحدهما مكتوب أمرنى ربى، وفى الآخر نهانى ثم يضرب بهما ومعهما قدح غفل، فإن خرج الناهى جلس، وإن خرج الآمر مضى، وإن خرج الغفل أعاد الضرب حتى يخرج، أما الناهى وأما الآمر والباقى من القداح سبعة

---

(١) تحرف فى الأصول إلى: «ضرورة» بالضاد المعجمة. والصرورة بالصاد المهملة: من لم يتزوج ومن لم يحج.

(٢) تحرف فى الأصول أيضًا إلى الضرورة ـ بالضاد المعجمة ـ وصوابه لدى صاحب الكنز برقم ٤٤٤٣٠.

مكتوب عليها، منها قدح مكتوب عليه العقل، وقدح فيه نعم، وقدح فيه لا، وقدح فيه منكم، وقدح فيه من غيركم، وقدح فيه ملصق، وقدح فيه المائة، فإذا أرادوا أن يختتنوا غلامًا، أو ينكحوا أيما، أو يدفنوا ميتًا ذهبوا إلى هبل بمائة درهم وجزور ثم قالوا لغاضرة بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعى: وكانت القداح إليه فقالوا: هذه مائة درهم وجزور لقد أردنا كذا وكذا فاضرب لنا على فلان بن فلان، فإن كان كما قال أهله خرج العقل أو نعم أو «منكم» فما خرج من ذلك انتهوا إليه فى أنفسهم، وإن خرج «لا» ضرب على المائة، فإن خرج «منكم» كان منهم وسيطًا، وإن خرج «من غيركم» كان حليفًا، وإن خرج «ملصق» كان دعيًا نفيًا، فمكثوا زمانًا وهم يخلطون، وكان عمرو بن لحى غير تلبية إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام بينما هو يسير على راحلته فى بعض مواسم الحج وهو يلبى إذ مثل له إبليس فى صورة شيخ نجدى على بعير أصهب فسايره ساعة ثم لبى إبليس فقال: لبيك اللهم لبيك، فقال عمرو بن لحى مثل ذلك، فقال إبليس: لبيك لا شريك لك، فقال عمرو مثل ذلك. فقال إبليس: إلا شريك هو لك فقال عمرو: وما هذا؟ قال إبليس لعنه الله: إن بعد هذا ما يصلحه إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك؛ فقال عمرو بن لحى: ما أرى بهذا بأسًا، فلباها فلبى الناس على ذلك وكانوا يقولون: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك، فلم تزل تلك تلبيتهم حتى جاء الله بالإسلام ولبى رسول الله ﷺ تلبية إبراهيم الصحيحة لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك. فلباها المسلمون.

* * *

إكرام أهل الجاهلية الحاج

حدّثنا أبو الوليد قال: أخبرنى جدى، عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال: أخبرنى محمد بن إسحاق أن هاشم بن عبد مناف كان يقول لقريش إذا حضر الحج: يا معشر قريش إنكم جيران الله وأهل بيته خصكم الله بذلك وأكرمكم به، ثم حفظ منكم أفضل ما حفظ جار من جاره، فأكرموا ضيافه وزوار بيته يأتونكم شعثًا غبرًا من كل بلد، فكانت قريش ترافد على ذلك حتى أن كان أهل البيت ليرسلون بالشىء اليسير رغبة فى ذلك فيقبل منهم لما يرجى لهم من منفعته.

* * *

إطعام أهل الجاهلية حاج البيت

حدثنا أبو الوليد قال: أخبرنى جدى، عن سعيد بن سالم، عن عثمان ابن ساج قال: أخبرنى محمد بن إسحاق، أن قصى بن كلاب بن مرة قال لقريش: يا معشر قريش، إنكم جيران الله وأهل الحرم، وإن الحاج ضيفان الله وزوار بيته، وهم أحق الضيف بالكرامة، فاجعلوا لهم طعامًا وشرابًا أيام هذا الحج، حتى يصدروا عنكم. ففعلوا فكانوا يخرجون لذلك كل عام من أموالهم خرجًا تخرجه قريش فى كل موسم من أموالهم، فيدفعونه إلى قصى، فيصنعه طعامًا للحاج أيام الموسم بمكة ومنى، فجرى ذلك من أمره فى الجاهلية على قومه وهى الرفادة حتى قام الإسلام وهو فى الإسلام إلى يومك هذا، وهو الطعام الذى يصنعه السلطان بمكةومنى للناس حتّى ينقضى الحاج.

ما جاء فى حريق الكعبة
وما أصابها من الرمى من أبى قبيس بالمنجنيق

حدثنا أبو الوليد قال: حدثنى جدى أحمد بن محمد وإبراهيم بن محمد الشافعى، عن مسلم بن خالد، عن ابن خيثم، عن عبيد الله بن سعد، أنه دخل مع عبد الله بن عمرو بن العاص المسجد الحرام، والكعبة محرقة، حين أدبر جيش الحصين بن نمير، والكعبة تتناثر حجارتها، فوقف ومعه ناس غير قليل فبكى، حتى أنى لأنظر إلى دموعه تحدر كحلاً فى عينيه من إثمد، كأنه رءوس الذباب على وجنتيه، فقال: يا أيها الناس، والله لو أن أبا هريرة أخبركم، أنكم قاتلو ابن نبيكم، بعد نبيكم، ومحرقو بيت ربكم، لقلتم، ما من أحد أكذب من أبى هريرة، أنحن نقتل ابن نبينا ونحرق بيت ربنا؟ فقد والله فعلتم، لقد قتلتم ابن نبيكم، وحرقتم بيت الله، فانتظروا النقمة، فوالذى نفس عبد الله بن عمرو بيده، ليلبسنكم الله شيعًا وليذيقن بعضكم بأس بعض، يقولها ثلاثًا، ثم رفع صوته فى المسجد، فما فى المسجد أحد إلا وهو يفهم ما يقول، فإن لم يكن يفهم فإنه يسمع رجع صوته، فقال: أين الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر؟ فوالذى نفس عبدالله بن عمرو بيده، لو قد ألبسكم الله شيعًا وأذاق بعضكم بأس بعض، لبطن الأرض خير لمن عليها، لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر.

حدثنى جدى قال: حدثنا ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن حسن بن محمد بن على بن الحنفية، قال: أول ما تكلم فى القدر، حين احترقت الكعبة، فقال رجل: طارت شررة فاحترقت ثياب الكعبة، وكان ذلك من قدر الله، وقال الآخر: ما قدر الله هذا.

حدثنا مهدى بن أبى المهدى عن عبد الملك الذمارى، قال: أخبرنا سفيان

الثورى، عن سلمة بن كهيل، عن عليم الكندى، قال: قال سلمان الفارسى: لتحرقن هذه الكعبة على يدى رجل من أهل الزبير.

أخبرنى محمد بن يحيى، عن الواقدى، عن عبد الله بن جعفر الزهرى قال: سألت أبا عون، متى كان احتراق الكعبة؟ قال: يوم السبت لليال خلون من شهر ربيع الأول، قبل أن يأتينا نعى يزيد بن معاوية بتسعة وعشرين يومًا، وجاء نعيه فى هلال شهر ربيع الآخر ليلة الثلاثاء سنة أربع وستين، قلت: وما كان سب احتراقها؟ قال: جاءنا موت يزيد، توفى لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين، وكانت خلافته ثلاث سنين وتسعة أشهر، والحصين بن نمير يومئذ عندنا، وكان احتراقها بعد الصاعقة التى أصابت أهل الشام بعشرين ليلة، قال أبوعون: ما كان احتراقها إلا منا. وذلك أن رجلاً منا ـ وهو مسلم بن أبى خليفة المذحجى ـ كان هو وأصحابه يوقدون فى خصاص لهم حول البيت، فأخذ ناراً فى زج رمحه فى النفط، وكان يوم ريح، فطارت منها شررة فاحترقت الكعبة حتى صارت إلى الخشب، فقلنا لهم: هذا عملكم رميتم بيت الله عز وجل بالنفط والنار، فأنكروا ذلك.

قال: حدثنى محمد بن يحيى، قال: قال الواقدى: حدثنى رباح بن مسلم، عن أبيه قال: كانوا يوقدون فى الخصاص، فأقبلت شررة هبت بها الريح، فاحترقت ثياب الكعبة واحترق الخشب.

حدثنى محمد بن يحيى قال: قال الواقدى: وحدثنى عبد الله بن يزيد، عن عروة بن أذينة قال: قدمت مكة مع أبى. يوم احترقت الكعبة، رأيت الخشب قد خلصت إليه النار، ورأيتها مجردة من الحريق ورأيت الركن قد اسود فقلت: ما أصاب الكعبة؟ فأشاروا إلى رجل من أصحاب ابن الزبير، فقالوا: هذا احترقت الكعبة فى سببه، أخذ ناراً فى رأس رمح له، فطارت به الريح فضربت أستار الكعبة، فيما بين الركن اليمانى إلى الركن الأسود.

حدثنى محمد بن يحيى، عن الواقدى، عن سعيد بن عبد العزيز، عن رجل من قومه قال: نصبنا المنجنيق على أبى قبيس فاعتقبه[١] الرجال، وقد ألجأنا القوم إلى المسجد، فبنوا خصاصًا حول البيت فى المسجد ورفافًا من خشب تكنّهم من حجارة المنجنيق، فكنت أراهم إذا أمطرنا عليهم الحجارة يكتنُّون[٢] تحت تلك الرفاف، قال: فوهن الرمى بحجارة المنجنيق الكعبة فهى تنقض.

حدثنا محمد بن يحيى، عن الواقدى، عن رباح بن مسلم، عن أبيه قال: رأيت الحجارة تصك وجه الكعبة من أبى قبيس حتى تخرقها، فلقد رأيتها كأنها جيوب النساء، وترتج من أعلاها إلى أسفلها، ولقد رأيت الحجر يمر، فيهوى الآخر على إثره، فيسلك طريقه، حتى بعث الله عليهم صاعقة بعد العصر، فاحترق المنجنيق واحترق تحته ثمانية عشر رجلاً من أهل الشام، فجعلنا نقول: قد أظلهم العذاب، فكنا أيامًا فى راحة حتى عملوا منجنيقًا آخر فنصبوه على أبى قبيس[٣].

حدثنى محمد بن إسماعيل بن أبى عصيدة.. قال: حدثنى أبو النضر هاشم بن القاسم الليثى، عن مولى لابن المرتفع، عن ابن المرتفع، قال: كنا مع ابن الزبير فى الحجر، فأول حجر من المنجنيق وقع فى الكعبة، فسمعنا لها أنينًا كأنين المريض آه آه[٤].

حدثنى جدى، حدثنا سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، قال: أخبرتنى عجوز من أهل مكة كانت مع عبد الله بن الزبير بمكة، فقلت لها: أخبرينى عن احتراق الكعبة كيف كان؟ قالت: كان المسجد فيه خيام كثيرة،

---

(١) كذا فى الأصل، أ. وفى ب: «واعتنقه».

(٢) كذا فى الأصل، أ. ومثله فى إتحاف الورى ٢/ ٦١. وفى ب: «يكنون».

(٣) إتحاف الورى ٢/ ٦١.

(٤) إتحاف الورى ٢/ ٦١.

فطارت النار من خيمة منها فاحترقت الخيام، والتهب المسجد حتى تعلقت النار بالبيت فاحترق، قال عثمان: وبلغنى أنه لما قدم جيش الحصين بن نمير، أحرق بعض أهل الشام على باب بنى جمح والمسجد يومئذ خيام وفساطيط، فمشى الحريق حتى أخذ فى البيت، فظن الفريقان كلاهما أنهم هالكون، فضعف بناء الكعبة، حتى أنّ الطير ليقع عليه فتتناثر حجارته.

* * *

باب ما جاء فى بناء ابن الزبير الكعبة، وما زاد فيها من الأذرع التى كانت فى الحجر من الكعبة وما نقص منها الحجاج

حدثنا أبو الوليد قال: حدثنى جدى أحمد بن محمد، عن سعيد بن سالم، عن ابن جريج، قال: سمعت غير واحد من أهل العلم ممن حضر ابن الزبير حين هدم الكعبة وبناها، قالوا: لما أبطأ عبد الله بن الزبير عن بيعة يزيد بن معاوية، وتخلف وخشى منهم؛ لحق بمكة ليمتنع بالحرم، وجمع مواليه، وجعل يظهر عيب يزيد بن معاوية ويشتمه ويذكر شربه الخمر وغير ذلك ويثبط الناس عنه، ويجتمع الناس إليه فيقوم فيهم بين الأيام فيذكر مساوئ بنى أمية فيطنب فى ذلك، فبلغ ذلك يزيد بن معاوية، فأقسم أن لا يؤتى به إلا مغلولا، فأرسل إليه رجلاً من أهل الشام، فى خيل من خيل الشام، فعظم على ابن الزبير الفتنة وقال: لأن يستحل الحرم بسببك، فإنه غير تاركك ولا تقوى عليه، وقد لج فى أمرك وأقسم أن لا يؤتى بك إلا مغلولا، وقد عملت لك غلا من فضة، وتلبس فوقه الثياب، وتبر قسم أمير المؤمنين، فالصلح خير عاقبة وأجمل بك وبه، فقال: دعونى أيامًا حتى أنظر فى أمرى. فشاور أمه أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنه، فأبت عليه أن يذهب مغلولا وقالت: يا بنى عش كريمًا ومت كريمًا، ولا تمكن بنى

أمية من نفسك فتلعب بك، فالموت أحسن من هذا، فأبى عليه أن يذهب إليه فى غل، وامتنع فى مواليه ومن تألف إليه من أهل مكة وغيرهم، وكان يقال لهم: الزبيرية.

فبينما يزيد على بعثة الجيوش إليه، إذ أتى يزيد خبر أهل المدينة وما فعلوا بعامله ومن كان معه بالمدينة من بنى أمية وإخراجهم إياهم منها إلا من كان من ولد عثمان بن عفان.

فجهز إليهم مسلم بن عقبة المرى، فى أهل الشام وأمره بقتال أهل المدينة، فإذا فرغ من ذلك سار إلى ابن الزبير بمكة، وكان مسلم مريضًا، فى بطنه الماء الأصفر، فقال له يزيد: إن حدث بك الموت، فول الحصين بن نمير الكندى على جيشك. فسار حتى قدم المدينة فقاتلوه أهل المدينة فظفر بهم ودخلها. وقتل من قتل منهم، وأسرف فى القتل، فسمى بذلك مسرفًا، وأَنْهَبَ[١] المدينةَ ثلاثًا.

ثم سار إلى مكة، فلما كان ببعض الطريق حضرته الوفاة. فدعا الحصين ابن نمير فقال له يا برذعة الحمار، لولا أنى أكره أن أتزود عند الموت معصية أمير المؤمنين ما وليتك، انظر إذا قدمت مكة فاحذر أن تمكن قريشًا من أذنك فتبول فيها، لا تكن إلا الوقاف، ثم الثقاف[٢]، ثم الانصراف.

فتوفى مسلم المسرف، ومضى الحصين بن نمير إلى مكة، فقاتل ابن الزبير بها أيامًا، وجمع ابن الزبير أصحابه، فتحصن بهم فى المسجد الحرام وحول الكعبة، وضرب أصحاب ابن الزبير فى المسجد خيامًا ورفافًا يكتنون فيها من حجارة المنجنيق ويستظلون فيها[٣] من الشمس.

---

(١) أَنْهَبَ الشيءَ: جعله نهبا يُغَار عليه.

(٢) أى المجالد بالسلاح.

(٣) كذا فى الأصل، ب. وفى أ: «بها».

وكان الحصين بن نمير، قد نصب المنجنيق على أبى قبيس وعلى الأحمر ـ وهما أخشبا مكة ـ فكان يرميهم بها فتصيب الحجارة الكعبة، حتى تخرقت كسوتها عليها، فصارت كأنها جيوب النساء، فوهن الرمى بالمنجنيق الكعبة، فذهب رجل من أصحاب ابن الزبير يوقد نارًا فى بعض تلك الخيام، مما يلى الصفا بين الركن الاسود والركن اليمانى، والمسجد يومئذ ضيق صغير، فطارت شررة فى الخيمة فاحترقت، وكانت فى ذلك اليوم رياح شديدة، والكعبة يومئذ مبنية بناء قريش مدماك من ساج، ومدماك من حجارة من أسفلها إلى أعلاها، وعليها الكسوة، فطارت الرياح بلهب تلك النار فاحترقت كسوة الكعبة واحترق الساج الذى بين البناء؛ وكان احتراقها يوم السبت لثلاث ليال خلون من شهر ربيع الأول قبل أن يأتى نعى يزيد بن معاوية بسبعة وعشرين يومًا، وجاء نعيه فى هلال شهر ربيع الآخر ليلة الثلاثاء سنة أربع وستين، وكان توفى لأربع عشرة خلت من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين، وكانت خلافته ثلاث سنين وسبعة أشهر.

فلما احترقت الكعبة؛ واحترق الركن الأسود فتصدع، كان ابن الزبير بعد ربطه بالفضة، فضعفت جدرات[1] الكعبة، حتى أنّها لتنقض من أعلاها إلى أسفلها، وتقع الحمام عليها، فتتناثر حجارتها وهى مجردة متوهنة من كل جانب، ففزع لذلك أهل مكة وأهل الشام جميعًا، والحصين بن نمير مقيم، محاصر ابن الزبير.

فأرسل ابن الزبير رجالاً من أهل مكة من قريش وغيرهم، فيهم عبد الله ابن خالد بن أسيد، ورجال من بنى أمية، إلى الحصين، فكلموه وعظموا عليه ما أصاب الكعبة، وقالوا: إن ذلك كان منكم رميتموها بالنفط. فأنكروا ذلك وقالوا: قد توفى أمير المؤمنين فعلى ماذا تقاتل؟ ارجع إلى الشام حتى تنظر ماذا يجتمع عليه رأى صاحبك ـ يعنون معاوية بن يزيد ـ وهل يجمع

(١) كذا فى الأصل، أ. وفى ب: «جدارات».

الناس عليه؟ فلم يزالوا حتى لان لهم، وقال له عبد الله بن خالد بن أسيد: أراك تتهمنى فى يزيد. ولم يزالوا به حتى رجع إلى الشام.

فلما أدبر جيش الحصين بن نمير، وكان خروجه من مكة لخمس ليال خلون من ربيع الآخر سنة أربع وستين، دعا ابن الزبير وجوه الناس وأشرافهم وشاورهم فى هدم الكعبة، فأشار عليه ناس غير كثير، بهدمها، وأبى أكثر الناس هدمها، وكان أشدهم عليه إباء عبد الله بن عباس، وقال له: دعها على ما أقرها عليه رسول الله ﷺ، فإنى أخشى أن يأتى بعدك من يهدمها، فلا تزال تهدم وتبنى فيتهاون الناس فى حرمتها، ولكن ارقعها، فقال ابن الزبير: والله ما يرضى أحدكم أن يرقع بيت أبيه وأمه، فكيف أرقع بيت الله سبحانه، وأنا انظر إليه ينقض من أعلاه إلى أسفله، حتى أنّ الحمام ليقع عليه فتتناثر حجارته؛ وكان ممن أشار عليه بهدمها جابر بن عبد الله - وكان جاء معتمراً - وعبيد بن عمير، وعبد الله بن صفوان بن أمية.

فأقام أيامًا يشاور وينظر ثم أجمع على هدمها، وكان يحب أن يكون هو الذى يردها على ما قال رسول الله ﷺ على قواعد إبراهيم، وعلى ما وصفه رسول الله ﷺ لعائشة رضى الله عنها، فأراد أن يبنيها بالورس ويرسل إلى اليمن فى ورس يشترى له، فقيل له: إن الورس يَرْفَتُ[1] ويذهب، ولكن ابنها بالقَصّة[2]، فسأل عن القصة فأخبر أن قصة صنعاء هى أجود القصة، فأرسل إلى صنعاء بأربعمائة دينار يشترى له بها قصة ويكترى عليها، وأمر بتنجيح ذلك.

ثم سأل رجالاً من أهل العلم من أهل مكة، من أين أخذت قريش حجارتها؟ فأخبروه بمقلعها، فنقل له من الحجارة قدر ما يحتاج إليه.

(١) يرفت: أى ينكسر ويتحطم ويصير رفاتا. والرفات: الحطام والفتات من كل ما تكسر واندق.
(٢) القَصَّة - بالفتح - الجِصّ، لغة حجازية.

فلما اجتمعت الحجارة وأراد هدمها خرج أهل مكة منها إلى منى، فأقاموا بها ثلاثا فرقًا من أن ينزل عليهم عذاب لهدمها، فأمر ابن الزبير بهدمها، فما اجترأ أحد على ذلك، فلما رأى ذلك، علاها هو بنفسه فأخذ المعول وجعل يهدمها ويرمى بحجارتها، فلما رأوا أنه لم يصبه شيء، اجترءوا فصعدوا يهدمونها، وأرقى ابن الزبير فوقها عبيدًا من الحبش يهدمونها، رجاء أن يكون فيهم صفة الحبشى، الذى قال رسول الله ﷺ: يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة، قال وقال مجاهد: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: كأنى به أصيلع، أفيدع قائم عليها يهدمها بمسحاته.

قال مجاهد: فلما هدم ابن الزبير الكعبة، جئت أنظر، هل أرى الصفة التى قال عبد الله بن عمرو؟ فلم أرها فهدموها وأعانهم الناس، فما تَرَجَّلَت الشمس حتى ألصقها كلها بالأرض من جوانبها جميعًا[1].

وكان هدمها يوم السبت النصف من جمادى الآخرة سنة أربع وستين، ولم يقرب ابن عباس مكة حين هدمت الكعبة. حتى فرغ منها، وأرسل إلى ابن الزبير لا تدع الناس بغير قبلة، انصب لهم حول الكعبة الخشب، واجعل عليها الستور حتى يطوف الناس من ورائها ويصلون إليها، ففعل ذلك ابن الزبير، وقال ابن الزبير: أشهد لسمعت عائشة رضى الله عنها تقول: قال رسول الله ﷺ: إن قومك استقصروا فى بناء البيت، وعجزت بهم النفقة، فتركوا فى الحجر منها أذرعًا، ولولا حداثة قومك بالكفر، لهدمت الكعبة وأعدت ما تركوا منها، ولجعلت لها بابين موضوعين بالأرض، بابًا شرقيًا يدخل منه الناس، وبابًا غربيًا يخرج منه الناس، وهل تدرين لم كان قومك رفعوا بابها؟ قالت: قلت: لا، قال: تعززًا أن لا يدخلها إلا من أرادوا، فكان الرجل إذا كرهوا أن يدخلها، يدعونه أن يرتقى حتى إذا كاد أن يدخل، دفعوه فسقط، فإن بدا لقومك هدمها، فهلمى لأريك ما تركوا فى الحجر

---

(١) إتحاف الورى ٢/ ٧٠.

منها، فأراها قريبًا من سبعة أذرع[1].

فلما هدم ابن الزبير الكعبة وسواها بالأرض، كشف عن أساس إبراهيم فوجدوه داخلاً فى الحجر نحواً من ستة أذرع وشبر، كأنها أعناق الإبل أخذ بعضها بعضًا، كتشبيك الأصابع بعضها ببعض، يحرك الحجر من القواعد فتحرك الأركان كلها، فدعا ابن الزبير خمسين رجلاً من وجوه الناس وأشرافهم وأشهدهم على ذلك الأساس، قال: فأدخل رجل من القوم - كان أيّداً - يقال له: عبد الله بن مطيع العدوى، عَتَلَةً كانت فى يده فى ركن من أركان البيت، فتزعزعت الأركان جميعًا، ويقال: إن مكة كلها رجفت رجفة شديدة حين زعزع الأساس، وخاف الناس خوفًا شديداً، حتى ندم كل من كان أشار على ابن الزبير بهدمها، وأعظموا ذلك إعظامًا شديداً وأسقط فى أيديهم، فقال لهم ابن الزبير: اشهدوا، ثم وضع البناء على ذلك الأساس، ووضع حدات الباب، باب الكعبة على مدماك على الشاذروان اللاصق بالأرض، وجعل الباب الآخر بإزائه فى ظهر الكعبة مقابله، وجعل عتبته على الحجر الأخضر الطويل الذى فى الشاذروان الذى فى ظهر الكعبة قريبًا من الركن اليمانى[2].

وكان البُنَاةُ يبنون من وراء الستر، والناس يطوفون من خارج، فلما ارتفع البنيان إلى موضع الركن، وكان ابن الزبير حين هدم البيت، جعل الركن فى ديباجة وأدخله فى تابوت وأقفل عليه ووضعه عنده فى دار الندوة، وعمد إلى ما كان فى الكعبة من حلية فوضعها فى خزانة الكعبة، فى دار شيبة بن عثمان، فلما بلغ البناء موضع الركن أمر ابن الزبير بموضعه، فنقر فى حجرين: حجر من المدماك الذى تحته، وحجر من المدماك الذى فوقه، بقدر الركن وطوبق بينهما، فلما فرغوا منه، أمر ابن الزبير، ابنه عباد بن عبد الله

---

(١) إتحاف الورى ٢/ ٧٠ - ٧١.

(٢) إتحاف الورى ٢/ ٧١ - ٧٢.

ابن الزبير، وجبير بن شيبة بن عثمان، أن يجعلوا الركن فى ثوب، وقال لهم ابن الزبير: إذا دخلت فى الصلاة، صلاة الظهر، فاحملوه واجعلوه فى موضعه، فأنا أطوّل الصلاة، فإذا فرغتم فكبروا حتى أخفف صلاتى ـ وكان ذلك فى حر شديد ـ فلما أقيمت الصلاة، كبر ابن الزبير وصلى بهم ركعة، خرج عباد بالركن من دار الندوة وهو يحمله ومعه جبير بن شيبة بن عثمان ـ ودار الندوة يومئذ قريبة من الكعبة ـ فخرقا به الصفوف حتى أدخلاه فى الستر الذى دون البناء، فكان الذى وضعه فى موضعه هذا عباد بن عبد الله بن الزبير، وأعانه عليه جبير بن شيبة، فلما أقروه فى موضعه وطوق عليه الحجران كبروا، فخفف ابن الزبير صلاته[١].

وتسامع الناس بذلك، وغضبت فيه رجال من قريش، حين لم يحضرهم ابن الزبير، وقالوا: والله لقد رفع فى الجاهلية حين بنته قريش، فحكموا فيه أول من يدخل عليهم من باب المسجد، فطلع رسول الله ﷺ فجعله فى ردائه، ودعا رسول الله ﷺ من كل قبيلة من قريش رجلاً فأخذوا بأركان الثوب ثم وضعه رسول الله ﷺ فى موضعه[٢].

وكان الركن قد تصدع من الحريق بثلاث فرق، فانشظت منه شظية، كانت عند بعض آل شيبة بعد ذلك بدهر طويل، فشده ابن الزبير بالفضة، إلا تلك الشظية من أعلاه ـ موضعها بين فى أعلى الركن ـ وطول الركن ذراعان، قد أخذ عرض جدار الكعبة، ومؤخر الركن داخله فى الجدر، مُضَرَّس على ثلاثة رءوس.

قال ابن جريج: فسمعت من يصف لون مؤخره الذى فى الجدر، قال بعضهم: هو مورد، وقال بعضهم: هو أبيض[٣].

(١) إتحاف الورى ٢/ ٧٢ ـ ٧٣.

(٢) إتحاف الورى ٢/ ٧٤.

(٣) إتحاف الورى ٢/ ٧٤.

قالوا: وكانت الكعبة يوم هدمها ابن الزبير ثمانية عشر ذراعًا فى السماء، فلما أن بلغ ابن الزبير بالبناء ثمانية عشر ذراعًا، قصرت بحال الزيادة، التى زاد من الحجر فيها، واستسمج ذلك إذ صارت عريضة لا طول لها، فقال: قد كانت قبل قريش تسعة أذرع حتى زادت قريش فيها تسعة أذرع طولاً فى السماء، فأنا أزيد تسعة أذرع أخرى، فبناها سبعة وعشرين ذراعًا فى السماء، وهى سبعة وعشرون مِدْمَاكًا، وعرض جدارها ذراعان، وجعل فيها ثلاث دعائم، وكانت قريش فى الجاهلية، جعلت فيها ست دعائم، وأرسل ابن الزبير إلى صنعاء فأتى من رخام بها يقال له البلق، فجعله فى الروازن التى فى سقفها للضوء، وكان باب الكعبة قبل بناء ابن الزبير مصراعًا واحدًا، فجعل لها[١] ابن الزبير مصراعين طولهما أحد عشر ذراعًا من الأرض إلى منتهى أعلاهما اليوم، وجعل الباب الآخر الذى فى ظهرها بإزائه على الشاذروان الذى على الأساس مثله، وجعل ميزابها يسكب فى الحجر، وجعل لها درجة فى بطنها فى الركن الشامى من خشب معرجة يصعد فيها إلى ظهرها.

فلما فرغ ابن الزبير من بناء الكعبة، خَلَّقَها من داخلها وخارجها من أعلاها إلى أسفلها، وكساها القُبَاطى، وقال: من كانت لى عليه طاعة فليخرج فليعتمر من التنعيم، فمن قدر أن ينحر بدنة فليفعل، ومن لم يقدر على بدنة فليذبح شاة، ومن لم يقدر فليتصدق بقدر طوله[٢].

وخرج ماشيًا وخرج الناس معه مشاة حتى اعتمروا من التنعيم، شكرًا لله سبحانه، ولم ير يومًا كان أكثر عتيقًا ولا أكثر بدنة منحورة ولا شاة مذبوحة ولا صدقة من ذلك اليوم، ونحر ابن الزبير مائة بدنة، فلما طاف بالكعبة استلم الأركان الأربعة جميعًا، وقال: إنما كان ترك استلام هذين الركنين

---

(١) ب: «له».

(٢) إتحاف الورى ٢/ ٧٥.

الشامى والغربى، لأن البيت لم يكن تامًا، فلم يزل البيت على بناء ابن الزبير إذا طاف به الطائف استلم الأركان جميعًا، ويدخل البيت من هذا الباب ويخرج من الباب الغربى، وأبوابه لاصقة بالأرض، حتى قتل ابن الزبير رحمه الله(١).

ودخل الحجاج مكة، فكتب إلى عبد الملك بن مروان، أن ابن الزبير زاد فى البيت ما ليس منه، وأحدث فيه بابًا آخر، فكتب إليه يستأذنه فى رد البيت على ما كان عليه فى الجاهلية، فكتب إليه عبد الملك بن مروان أن سد بابها الغربى الذى كان فتح ابن الزبير، واهدم ما كان زاد فيها من الحجر، واكبسها به على ما كانت عليه، فهدم الحجاج منها ستة أذرع وشبرًا، مما يلى الحجر، وبناها على أساس قريش الذى كانت استقصرت عليه، وكبسها بما هدم منها، وسد الباب الذى فى ظهرها، وترك سائرها لم يحرك منها شيئًا(٢).

فكل شىء فيها اليوم بناء ابن الزبير، إلا الجدر الذى فى الحجر، فإنه بناء الحجاج وسد الباب الذى فى ظهرها، وما تحت عتبة الباب الشرقى الذى يدخل منه اليوم إلى الأرض أربعة أذرع وشبر، كل هذا بناء الحجاج، والدرجة التى فى بطنها اليوم والبابان اللذان عليها اليوم هما أيضًا من عمل الحجاج.

فلما فرغ الحجاج من هذا كله، وفد بعد ذلك الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى على عبد الملك بن مروان، فقال له عبد الملك: ما أظن أبا خبيب - يعنى ابن الزبير - سمع من عائشة ما كان يزعم أنه سمع منها فى أمر الكعبة. فقال الحارث: أنا سمعته من عائشة، قال: سمعتها تقول ماذا؟ قال: سمعتها تقول: قال لى رسول الله ﷺ: إن قومك استقصروا فى بناء

---

(١) الجامع اللطيف ص٨٧.

(٢) الجامع اللطيف ص٨٧ - ٨٨، إخبار الكرام ١٤٦.

البيت، ولولا حداثة عهد قومك بالكفر، أعدت فيه ما تركوا منه، فإن بدا لقومك أن يبنوه فهلمى لأريك ما تركوا منه، فأراها قريبًا من سبعة أذرع، وقال رسول الله ﷺ: وجعلت لها بابين موضوعين على الأرض بابًا شرقيًا يدخل الناس منه وبابًا غربيًا يخرج الناس منه. قال عبد الملك بن مروان: أنت سمعتها تقول هذا؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين أنا سمعت هذا منها، قال فجعل ينكت منكسا بقضيب فى يده ساعة طويلة، ثم قال وددت والله أنى تركت ابن الزبير وما تحمل من ذلك.

قال ابن جريج: وكان باب الكعبة، الذى عمله ابن الزبير، طوله فى السماء أحد عشر ذراعًا، فلما كان الحجاج نقض من الباب أربعة أذرع وشبرًا، عمل لها هذين البابين وطولهما ستة أذرع وشبرًا، فلما كان فى خلافة الوليد بن عبد الملك، بعث إلى واليه على مكة خالد بن عبد الله القسرى بستة وثلاثين ألف دينار، فضرب منها على بابى الكعبة صفائح الذهب، وعلى ميزاب الكعبة وعلى الأساطين التى فى بطنها وعلى الأركان فى جوفها.

قال أبو الوليد قال جدى: فكلٌ ما كان على الميزاب وعلى الأركان فى جوفها من الذهب، فهو من عمل الوليد بن عبد الملك، وهو أول من ذهب البيت فى الإسلام، فأما ما كان على الباب من عمل الوليد بن عبد الملك من الذهب، فإنه رق وتفرق.

فرفع ذلك إلى أمير المؤمنين محمد بن الرشيد فى خلافته، فأرسل إلى سالم بن الجراح، عامل كان له على صوافى مكة، بثمانية عشر ألف دينار ليضرب بها صفائح الذهب على بابى الكعبة، فقلع ما كان على الباب من الصفائح وزاد عليها من الثمانية عشر ألف دينار، فضرب عليه الصفائح التى هى عليه اليوم والمسامير وحلقتا باب الكعبة، وعلى الفياريز والعتب وذلك كله من عمل أمير المؤمنين محمد بن هارون الرشيد، ولم يقلع فى ذلك بابى

الكعبة، ولكن ضربت عليهما الصفائح والمسامير وهما على حالهما.

قال أبو الوليد: أخبرنى المثنى بن جبير الصواف أنهم حين فرقوا ذهب باب الكعبة، وجدوا فيه ثمانية وعشرين ألف مثقال، فزادوا عليها خمسة عشر ألف دينار، وأن الذى على الباب من الذهب ثلاثة وثلاثون ألف دينار، وقالوا أيضًا: إنه لما قلع الذهب عن الباب ألبس الباب ثوبًا أصفر.

قال ابن جريج: وعمل الوليد بن عبد الملك الرخام الأحمر والأخضر والأبيض الذى فى بطنها مؤزرًا به جدراتها، وفرشها بالرخام وأرسل به من الشام، وجعل الجزعة التى تلقى من دخل الكعبة، من بين يدى من قام يتوخى مصلى رسول الله ﷺ فى موضعها، وجعل عليها طوقًا من ذهب. فجميع ما فى الكعبة من الرخام فهو من عمل الوليد بن عبد الملك، وهو أول من فرشها بالرخام وأزر به جدراتها، وهو أول من زخرف المساجد.

وحدثنى جدى قال: لما جرد حسين بن حسن الطالبى الكعبة فى سنة مائتين، فى الفتنة، لم يبق عليها شيئًا مما كان عليها من الكسوة، فجئت فاستدرت بجوانبها وعددت مداميكها فوجدتها سبعة وعشرين مدماكًا، ورأيت موضع الصلة التى بنى الحجاج، مما يلى الحجر، أثر لحم البناء فيها، بين بناء ابن الزبير القديم وبين بناء الحجاج بن يوسف، شبه الصدع، وهو منه كالمتبرى بأقل من الأصبع من أعلاها بين، ذلك لمن رآه، ورأيت موضع الباب الذى سده الحجاج فى ظهر الكعبة على الحجر الأخضر الذى فى الشاذروان، تبين حداته من أعلاه إلى أسفله، ورأيت السد الذى فى الباب الشرقى الذى يدخل منه اليوم من العتبة إلى الأرض، وحجارة سد الباب الذى فى ظهرها وما بنى من هذا الباب الشرقى، ألطف من حجارة مداميك جدران الكعبة بكثير، وكل ذلك بالمنقوش.

حدثنى جدى قال: حدثنا إبراهيم بن محمد بن أبى يحيى، قال: حدثنا عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن عَمْرة بنت

عبد الرحمن بن سَعْد[1] بن زُرَارة عن عائشة أم المؤمنين عن النبى ﷺ أنه قال لها: يا عائشة لولا حداثة قومك بالكفر لرددت فى الكعبة ما نقصوا منها، ولجعلت لها بابًا آخر.

حدثنى جدى قال: حدثنا إبراهيم بن محمد، قال: حدثنا حسين بن عبد الله أن عبيد الله بن عباس، عن عكرمة، عن ابن عباس، أن النبى ﷺ قال لعائشة: إذا فتح الله لى إن شاء الله، رددت الكعبة على ما كانت عليه على عهد إبراهيم، فأدخلت من الحجر فيها، وجعلت لها بابًا بالأرض، وجعلت لها بابًا آخر، فإن قريشًا إنما جعلوا الدرجة، لأن لا يدخل الناس إلا بإذن.

حدثنى جدى، قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن داود بن سابور، عن مجاهد، قال: لما عزم ابن الزبير على هدم الكعبة، خرجنا إلى منى ننتظر العذاب ثلاثًا، وأمر ابن الزبير الناس أن يهدموا، فلم يجترئ أحد على هدمها، فلما رآهم لا يقدمون عليها، أخذ هو بنفسه المعول ثم ارتقى فوقها فهدم، فلما رأى الناس أنه لم يصبه شيء اجترءوا على هدمها، قال: فهدموا وأدخل عامة الحجر فيها، فلما ظهر الحجاج، رد الذى كان ابن الزبير أدخل من الحجر، فقال عبد الملك بن مروان، وددنا أنا تركنا أبا خبيب وما تولى من ذلك ـ يعنى ابن الزبير ـ.

وحدثنى جدى قال: حدثنا ابن عيينة، عن عبيد الله بن أبى يزيد قال: رأيت ابن الزبير هدم الكعبة وأراهم أساسًا داخلاً فى الحجر أخذ بعضه بعضًا، كلما حرك منه شيء تحرك كله، فبنى عليه الكعبة.

حدثنى مهدى بن أبى المهدى، عن عيسى بن يونس، عن عبد الله بن مسلم بن هرمز، قال: حدثنى يزيد مولى ابن الزبير قال: شهدت ابن الزبير

---

(١) تحرف فى الأصول إلى: «أسعد» وصوابه من تقريب التهذيب ص٦٦٧.

احتفر فى الحجر، فأصاب أساس البيت حجارة حمر كأنها الخلايق، تحرك الحجر فيهتز له البيت، فأصاب فى الحجر من البيت ستة أذرع وشبراً، وأصاب فيه موضع قبر، فقال ابن الزبير: هذ قبر إسماعيل. فجمع قريشًا ثم قال لهم اشهدوا ثم بنى.

حدثنى محمد بن واضح، عن سليم بن مسلم، عن عمر بن قيس، عن سعيد بن مينا ـ وكان على سوق مكة لابن الزبير ـ قال: لما أراد ابن الزبير بناء الكعبة عالج الأساس، فإذا وضع البانى العتلة فى حجر ارتجت جوانب البيت، فأمسك عنه.

حدثنى إبراهيم بن محمد الشافعى، عن سفيان بن عيينة، عن عبيد الله ابن أبى يزيد قال: رأيت ابن الزبير، حين هدم الكعبة: فأراهم أساسًا آخذاً بعضه ببعض. كلما حرك منه شىء تحرك كله، قال: فرأيت فضل البيت فى الحجر، قال سفيان: فذكر نحواً من ستة أذرع.

حدثنى جدى قال: حدثنا مسلم بن خالد، عن ابن أبى نجيح، عن سليمان بن مينا، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: إذا رأيت قريشًا هدموا البيت ثم بنوه فزوقوه، فإن استطعت أن تموت فمت.

حدثنى جدى، عن مسلم بن خالد الزنجى، عن يسار بن عبد الرحمن، قال: شهدت ابن الزبير حين فرغ من بناء البيت، كساه القباطى، وقال: من كانت لى عليه طاعة فليخرج ليعتمر من التنعيم، قال: فما رأيت يومًا كان أكثر عتيقًا ولا أكثر بدنة مذبوحة من يومئذ.

أخبرنى محمد بن يحيى، عن الواقدى، عن موسى بن يعقوب، عن عمه، قال: هدم ابن الزبير البيت حتى وضعه بالأرض، وبناها من أسها وأدخل الحجر عنده، وكان قد احترق، واحترق الخشب والحجارة، وانصدع الركن بثلاث فرق، فرأيته منكسراً، حتى شده ابن الزبير بالفضة، ثم أدخل الحجر فى البيت، ونصب الخشب حول البيت، ثم سترها، وبنوا من وراء

الستر، حتى بلغ الركن الأسود فوضعه وشده بالفضة، ثم رد البيت على بنائه، وزاد فى طولها فجعلها سبعة وعشرين ذراعًا، وخلق جوفها، ولطخ جدرها بالمسك حين فرغ منها، وجعل لها بابين موضوعين بالأرض، بابًا فى وجهها، وبابًا بإزائه من خلفها، يدخل من هذا الذى فى وجهها ويخرج من الآخر واعتمر حين فرغ من الكعبة، ماشيًا مع رجال من قريش وغيرهم، منهم عبد الله بن صفوان وعبيد بن عمير.

حدثنى محمد بن يحيى، عن الواقدى، عن موسى بن يعقوب عن عمه عن الحارث بن عبد الله بن وهب بن زمعة، قال: ارتحل الحصين بن نمير من مكة، لخمس ليال خلون من شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين، وأمر ابن الزبير بالخصاص التى كانت حول الكعبة فهدمت، وبالمسجد فكنس مما فيه من الحجارة والدماء، فإذا الكعبة متوهنة ترتج من أعلاها إلى أسفلها، فيها أمثال جيوب النساء من حجارة المنجنيق، وإذا الركن قد اسود واحترق وتفلق من الحريق، فرأيته ثلاث فرق، فشاور ابن الزبير الناس فى هدمها، فأشار عليه جابر بن عبد الله، وعبيد بن عمير بهدمها، وأبى ذلك عليه ابن عباس، وقال: أنا أخشى أن يأتى بعدك من يهدمها، فلا تزال تهدم وتبنى، فيتهاون الناس بحرمتها، فلا أحب ذلك.

أخبرنى محمد بن يحيى، عن الواقدى، عن شرحبيل، عن أبى عون، عن أبيه قال: رأيت الحجر قد انفلق واسود من الحريق، فأنظر إلى جوفه أبيض كأنه الفضة، وقد كان شاور المسور بن مخرمة بن نوفل قبل أن يموت، بهدمها وبنائها، فأشار عليه بذلك.

حدثنا محمد بن يحيى، عن الواقدى، عن عبد الله بن محمد، عن أبيه، عن جده، أنه سمع عبد الله بن عمر، يسأل نائل بن قيس الجذامى عن الأساس، فقال نايل اتبعنا الأساس فى الحجر فوجدنا أساس البيت واصلاً بالحجر، كأنه أصابعى هذه، وشبك بين أصابعه، فسمعت ابن عمر يكبر

ويحمد الله عز وجل على ذلك.

أخبرنى محمد بن يحيى، عن الواقدى، عن محمد بن عمرو، عن أبى الزبير، قال: سمعت عبد الرحمن بن سابط يقول: دعانا ابن الزبير، خمسين رجلاً من قريش، فنظرنا إلى الأساس، فإذا هو واصل بالحجر، مشبك كأصابع يدى هاتين، وشبك بين أصابعه، فقال ابن الزبير: اشهدوا ثم بنى. قال عبد الرحمن بن سابط: فجلست مع ابن عباس فأخبرته، فقال ابن عباس: ما زلنا نعلم أن من البيت فى الحجر.

حدثنا محمد بن يحيى، عن الواقدى، عن إبراهيم بن موسى، عن عكرمة بن خالد المخزومى، قال: هدم ابن الزبير البيت حتى سواه بالأرض، وحفر أساسه وأدخل الحجر فيه، وكان الناس يطوفون من وراء الستر ويصلون إلى موضعه، وجعل الركن فى تابوت، فى سرقة من حرير، فأما ما كان من حلى البيت وما وجد فيه من ثياب أو طيب، فإنه جعله عند الحجبة فى خزانة الكعبة، حتى أعاد بناءها، قال عكرمة: فرأيت الحجر الأسود، فإذا هو ذراع أو يزيد.

وأخبرنى محمد بن يحيى، عن الواقدى، عن شرحبيل بن أبى عون، عن أبيه، قال: لما هدم عبد الله بن الزبير البيت، ندم كل من كان أشار عليه وأعظموا ذلك.

حدثنى محمد بن يحيى، عن الواقدى، عن سليمان بن داود بن الحصين، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس، أنه أبى على ابن الزبير هدمها، وقال: أخاف أن يأتى بعدك من يهدمها، ثم يأتى بعد ذلك آخر، فإذا هى تهدم أبداً وتبنى، فسكت عبد الله بن الزبير، ولم يقرب ابن عباس مكة حتى فرغ منها.

وأخبرنى محمد بن يحيى، عن الواقدى، عن إبراهيم بن موسى، عن عكرمة بن خالد، قال: لما بنى ابن الزبير الكعبة انتهى به إلى الأساس

الأول، وأدخل الحجر فيها، فلما انتهى إلى موضع الركن الأسود، جاء به ابن الزبير وولده حتى رفعوه ووضعوه بأيديهم فى ساعة خالية، تحروا بها غفلة الناس نصف النهار فى يوم صائف.

وأخبرنى محمد بن يحيى، عن الواقدى، عن عبد العزيز بن المطلب، عن إسحاق بن عبد الله بن أبى فروة، عن أبى جعفر، قال: ابن الزبير وضعه وولده نصف النهار فى حر شديد، فرأيت قريشًا غضبوا فى ذلك.

وأخبرنى محمد بن يحيى، عن الواقدى، عن ابن جريج عن خلاد بن عطاء عن أبيه، وكان يعمل فى البيت محتسبًا قال: وكان الركن فى تابوت مقفل عليه، فلما كان وقت وضعه وقد نقر له حجران طوبق بينهما، ثم أدخل فيه، فلما فرغ من ذلك خرج ابن الزبير فى يوم صائف نصف النهار، فأشار إلى جبير بن شيبة الحجبى، فأدخلاه فى موضعه، وبنى عليه، قال عطاء أبو خلاد وأنا حاضر ذلك.

وأخبرنى محمد بن يحيى، عن الواقدى، عن ابن جريج، عن منصور بن عبد الرحمن الحجبى، عن مسافع الحجبى، قال: لما بنى ابن الزبير البيت حتى بلغ موضع الركن، تواعد الحجبة، قال مسافع: وأنا فيهم، فلما دخل ابن الزبير فى الصلاة، حسبت الظهر، خرج الحجبة بالركن من الصفوف وأنا فيهم، فرفعناه فجاء حمزة بن عبد الله بن الزبير وأخذ بطرف الثوب فرفع معنا، وأخبرنى مسافع، أن الركن أخذ عرض الضفير، ضفير البيت.

حدثنى محمد بن يحيى، عن الواقدى، عن ابن جريج. وعبد الله بن عمر بن حفص، عن منصور بن عبد الرحمن الحجبى عن أمه، قالت: كان الحجر الأسود قبل الحريق مثل لون المقام، فلما احترق اسود، قال: فلما احترقت الكعبة، تصدع بثلاث فرق، فشده ابن الزبير بالفضة.

وأخبرنى محمد بن يحيى، عن الواقدى، عن على بن زيد عن أبيه، عن جده، قال: رأيت ابن الزبير هدمها كلها، فلما بنى وفرغ، خلق جوفها

بالعنبر والمسك ولطخ جدرها من خارج بالمسك وسترها بالديباج. وأدخل الحجر فيها ورد الركن الأسود فى موضعه، وكان قد انكسر بثلاث فرق من الحريق الذى أصاب الكعبة. وكان الركن عند ابن الزبير فى بيته فى صندوق عليه قفل، فلما بلغ البناء موضع الركن، جاء ابن الزبير حتى وضعه هو بنفسه وشده بالفضة، فهو مشدود بالفضة واعتمر من خيمة جمانة ماشيًا، فرأى الناس أن قد أحسن ابن الزبير ولبى، حتى نظر إلى البيت.

وأخبرنى محمد بن يحيى، عن الواقدى، عن ابن جريج،عن عبد الله بن عبيد بن عمير، قال: وفد الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة، على عبد الملك ابن مروان، فقال له عبد الملك: ما أظن أن أبا خبيب ـ يعنى ابن الزبير ـ سمع من عائشة رضى الله عنها ما كان يزعم أنه سمعه منها، قال الحارث: أنا سمعته منها، قال: سمعتها تقول ماذا؟ قال سمعتها تقول: قال رسول الله ﷺ إن قومك استقصروا فى بنيان الكعبة، ولولا حداثة قومك بالشرك، أعدت فيها ما تركوا منها، فإن بدا لقومك أن يبنوها، فهلمى لأريك ما تركوا من البيت، فأراها قريبًا من سبعة أذرع.

حدثنى محمد بن يحيى، عن الواقدى، عن عطاف بن خالد المخزومى، عن أبيه، عن قبيصة بن ذؤيب، قال: سمعته يقول: لقد كان عبد الملك بن مروان، ندم حين هدم البيت ورده على بنيانه الأول، قال: ليتنى كنت حملت ابن الزبير وما تحمل.

حدثنا محمد بن يحيى، عن الواقدى، عن إبراهيم بن شعيب، مولى لقريش، عن المسور بن رفاعة عن محمد بن كعب القرظى، قال: لما حج سليمان بن عبد الملك وهو خليفة، طاف بالبيت وأنا إلى جنبه، قال: كيف كان بناء الكعبة حين بناها ابن الزبير؟ فأشار له عمر بن عبد العزيز وهو إلى جنبه، من الشق الآخر إلى ما كان ابن الزبير فعل، وأنه جعل لها بابين، وأدخل الحجر فى البيت فقال سليمان: ليت أن أمير المؤمنين ـ يعنى عبد الملك

ـ كان ولى ابن الزبير ما تولى من ذلك، فقال له عمر بن عبد العزيز: أما إنى قد سمعته يقول: ليت أنى تركت ابن الزبير وما تحمل، قال سليمان: أنت سمعته يقول: ذلك؟ قال: نعم ثم التفت إلى محمد بن كعب فقال: كم طولها؟ قال: سبعة وعشرون ذراعًا، قال: وعلى ذلك كانت؟ قال: لا، قال: فكم كانت؟ قال: كانت على عهد النبى ﷺ ثمانية عشر ذراعًا، قال: فمن زاد فيها؟ قال: ابن الزبير، قال سليمان لولا أنه أمر، كان أمير المؤمنين فعله، لأحببت أن أردها على ما بناها ابن الزبير، ثم قال: على بحجاب البيت، فدخل هو وعمر بن عبد العزيز ومحمد بن كعب القرظى، فجعل سليمان ينظر إلى ما فيها من الحلى، فقال لابن كعب: ما هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين أقره رسول الله ﷺ يوم فتح مكة، ثم أقره الولاة بعده، أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلى، ومعاوية رضى الله تعالى عنهم، قال: صدقت.

* * *

ما جاء فى مقلع الكعبة من أين قلع

حدثنا أبو الوليد قال: حدثنا مسلم بن خالد، عن ابن جريج، قال: لما أراد ابن الزبير هدم الكعبة. سأل رجالاً من أهل العلم من أهل مكة، من أين كانت قريش، أخذت حجارة الكعبة حين بنتها؟ فأخبر أنهم بنوها من حراء ومن ثبير ومن المقطع. وهو الجبل المشرف على مسجد القاسم بن عبيد ابن خلف بن الأسود الخزاعى. على يمين من أراد المشاش من مكة مشرفًا على الطريق. وإنما سمى المقطع، لأنه جبل صلب الحجارة، فكان يوقد بالنار ثم يقطع، ويقال: إنما سمى المُقَطَّع، لأن أهل الجاهلية من أهل مكة كانوا إذا خرجوا من مكة قلدوا أنفسهم ورواحلهم من عِضَاهِ الحرم، فإذا لقيهم أحد قالوا: هذا من أهل الله، فلا يعرض له، حتى إذا دخلوا الحرم

أمنوا فصاروا عند المقطع، فقطعوا قلائدهم وقلائد رواحلهم التى من عِضَاه الحرم هنالك، فسمى بذلك المقطع، ومن قافية الخندمة، والخندمة: جبل فى ظهر أبى قبيس من ظهرها المشرف على دار أبى صيفى المخزومى فى شعب آل سفيان دون شعب الخوز وذلك الموضع عن يمين من انحدر من الثنية التى يسلك فيها من شعب ابن عامر إلى شعب آل سفيان، ثم إلى منى، وهذا الموضع مرتفع فى الجبل، موضع مقلعه بين هذه الثنية وبين الثنية التى تشرف على شعب الخوز، يسلك منها من منى إلى مكة، من سلك شعب الخوز، ومن جبل عند الثنية البيضاء التى فى طريق جدة، وهو الجبل المشرف على ذى طوى، ويقال له: حلحلة، قال: جدى ومنه بنيت دار العباس بن محمد، التى على الصيارفة بمكة، ومن جبل بأسفل مكة عن يسار من انحدر من ثنية بنى عضل. ويقال لهذا الجبل مقلع الكعبة، ومن مزدلفة من حجر بها يقال له: المفجرى فهذه الجبال السبعة التى يعرفها أهل العلم من أهل مكة، أنها مقلع الكعبة، قال مسلم بن خالد: ولم يثبت عندنا أنها بنيت من غير هذه الأجبل[1].

* * *

فى معاليق الكعبة وقرنى الكبش ومن علق تلك المعاليق

حدثنا أبو الوليد قال: حدثنى جدى، قال: حدثنا ابن عيينة، عن منصور ابن عبد الرحمن الحجبى، عن خاله مسافع بن شيبة، عن صفية بنت شيبة، أن امرأة من بنى سليم ولدت عامتهم، قالت لعثمان بن طلحة: لم دعاك[2] النبى ﷺ بعد خروجه من البيت؟ قال: قال لى: إنى رأيت قرنى الكبش فى

(١) أخبار مكة للفاكهى ٢/ ١٨٠.

(٢) تحرف فى ب إلى: «دعك».

البيت، فنسيت أن آمرك أن تخمرهما، فإنه لا ينبغى أن يكون فى البيت شىء يشغل مصليًا، قال عثمان: وهو الكبش الذى فدى به إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

حدثنى محمد بن يحيى، عن سليم بن مسلم، عن عمرو بن قيس، أنه كان يقول: كان قرنا الكبش فى الكعبة، فلما هدمها ابن الزبير وكشفها، وجدوهما فى جدار الكعبة مطليين بمشق، قال: فتناولهما فلما مسهما، همدا من الأيدى.

قال محمد بن يحيى، عن هشام بن سليمان، عن ابن جريج عن عبد الله ابن شيبة بن عثمان، قال: سألته هل كان فى الكعبة قرنا كبش؟ قال: نعم كان فيها، قلت: رأيتهما، قال: حسبت أنه قال: أبى أخبرنى أنه رآهما، وعن ابن جريج عن عجوز، قالت: رأيتهما وبهما مغرة.

حدثنى محمد بن يحيى، عن الواقدى، عن أشياخه قال: لما فتح عمر بن الخطاب رضى الله عنه مدائن كسرى. كان مما بعث به إليه هلالان. فبعث بهما فعلقهما فى الكعبة، وبعث عبد الملك بن مروان بالشمستين وقدحين من قوارير وضرب على الأسطوانة الوسطى الذهب من أسفلها إلى أعلاها صفائح، وبعث الوليد بن عبد الملك بقدحين، وبعث الوليد بن يزيد بالسرير الزينبى[1] وبهلالين، وكتب عليهما اسمه، بسم الله الرحمن الرحيم، أمر عبد الله الخليفة الوليد بن يزيد أمير المؤمنين فى سنة إحدى ومائة؛ قال أبو الوليد: أخبرنيه إسحاق بن سلمة الصائغ. أنه قرأ حين خلق الكعبة. وأخبرنيه غير واحد من الحجبة سنة اثنتين وأربعين ومائتين.

وبعث أبو العباس بالصحفة الخضراء، وبعث أبو جعفر بالقارورة الفرعونية. كل هذا معلق فى البيت، وكان هارون الرشيد قد وضع فى

(١) إخبار الكرام ص١٦٧.

الكعبة قصبتين علقهما مع المعاليق فى سنة ست وثمانين ومائة. وفيهما بيعة محمد وعبد الله ابنيه وما عقد لهما وما أخذ عليهما من العهود. وبعث المأمون بالياقوتة التى تعلق فى كل سنة فى وجه الكعبة فى الموسم: بسلسلة من ذهب. وبعث أمير المؤمنين جعفر المتوكل بشمسة عملها من ذهب مكللة بالدر الفاخر والياقوت الرفيع والزبرجد بسلسلة من ذهب تعلق فى وجه الكعبة فى كل موسم[١].

حدثنى سعيد بن يحيى البلخى، قال: أسلم ملك من ملوك التُّبَّت[٢] وكان له صنم من ذهب يعبده فى صورة إنسان، وكان على رأس الصنم تاج من الذهب مكلل بخرز الجوهر والياقوت الأحمر والأخضر والزبرجد. وكان على سرير مربع مرتفع من الأرض على قوائم، والسرير من فضة. وكان على السرير فرشة الديباج، وعلى أطراف الفرش أزرار من ذهب وفضة مرخاة والأزرار على قدر الكِدْن[٣] فى وجه السرير فلما أسلم ذلك الملك، أهدى السرير والصنم إلى الكعبة، فبعث به إلى أمير المؤمنين عبد الله المأمون هدية للكعبة. والمأمون يومئذ بمرو من خراسان، فبعث به المأمون إلى الحسن بن سهل بواسط. وأمره أن يبعث به إلى الكعبة، فبعث به مع نصير بن إبراهيم الأعجمى، رجل من أهل بلخ من القُوَّاد، فقدم به مكة فى سنة إحدى ومائتين، وحج بالناس تلك السنة إسحاق بن موسى بن عيسى بن موسى، فلما صدر الناس من منى، نصب نصير بن إبراهيم السرير وما عليه من الفرشة والصنم، فى وسط رحبة عمر بن الخطاب، بين الصفا والمروة، فمكث ثلاثة أيام منصوبًا ومعهم لوح من فضة مكتوب فيه: بسم الله الرحمن الرحيم

---

(١) إخبار الكرام ص١٦٨.

(٢) التبت: بلاد واسعة على جبال شامخة بين الصين والروس والهند.

(٣) فى الأصول: «الكرين» وفى إتحاف الورى: «الكرير» وفى شفاء الغرام: «الكرسى» ولعل الأولى ما أثبتناه. والكدن: بمعنى الثوب الذى يكون على الخِدر والرحل ومركب من مراكب النساء.

هذا سرير فلان بن فلان ملك التُّبت، أسلم وبعث بهذا السرير هدية إلى الكعبة، فاحمدوا الله الذى هداه للإسلام، وكان يقف على السرير محمد بن سعيد ابن أخت نصير الأعجمى، فيقرأه على الناس بكرة وعشية، ويحمد الله الذى هدى ملك التبت إلى الإسلام، ثم دفعه إلى الحجبة، وأشهد عليهم بقبضه، فجعلوه فى خزانة الكعبة، فى دار شيبة بن عثمان[١]، حتى استخلف حمدون بن على بن عيسى بن ماهان، يزيد بن محمد بن حنظلة المخزومى على مكة، وخرج إلى اليمن فخالفه إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد العلوى إلى مكة مقبلاً من اليمن، فسمع به يزيد بن محمد فخندق على مكة وسكها بالبنيان من أنقابها، وأرسل إلى الحجبة فأخذ السرير وما عليه منهم، فاستعان به على حربه، وقال: أمير المؤمنين يخلفه لها، وضربه دنانير ودراهم، وذلك فى سنة اثنتين ومائتين، فبقى التاج واللوح فى الكعبة إلى اليوم.

* * *

نسخة ما فى اللوح الذى فى جوف الكعبة الذى كان مع السرير

بسم الله الرحمن الرحيم، أمر عبد الله الإمام المأمون أمير المؤمنين أكرمه الله ذا الرياستين، الفضل بن سهل بالبعثة بهذا السرير من خراسان إلى بيت الله الحرام، فى سنة مائتين وهو سرير الأَصْبَهْبَذ[٢] كابلِ شاه بعد مهراب بنى دومى كابل شاه، المحمول تاجه إلى مكة المخزون سريره فى بيت مال المسلمين، بالمشرق فى سنة سبع وتسعين ومائة[٣].

---

(١) إتحاف الورى ٢/ ٢٧١، شفاء الغرام ١/ ١٩٠.

(٢) الأصبهبذ: نائب الولاية، أو أميرها، أو ملكها. وهو هنا ملك كابل.

(٣) إتحاف الورى ٢/ ٢٧٤.

ومن نبأ أمر الأصبهبذ، أنه أضعف عليه الخراج والفدية عن بلاد كابل والقُنْدُهار[١]، ونصبت المنابر وبنيت المساجد فيها، وخرج الأَصْبَهْبَذ كابل شاه، نازلاً عن سريره هذا خاضعًا لله مستسلمًا، حتى حاول حدود كابل وأرض الطخارستان[٢]. ووضع يده في يد صاحب جبل [خراسان][٣] ذى الرياستين على ما سامه ذو الرياستين، من خطة الذل للدين ولإمام المسلمين، ثم أقام البريد من القندهار إلى الباميان[٤]، وأضاف بلاد كابل والقندهار إلى بلاد خراسان، وأذعن للوالى مع الجنود مقيمًا حدود الله والإسلام، عاملاً بأحكامه فيه وفيمن اختار الإسلام معه، وأقام على العهد فى مملكته، وسير الإمام أكرمه الله الرايات الخضر[٥] على يدى ذى الرياستين إلى القشمير[٦]، وفى ناحية التبت ما سيرها. فأظهره الله سبحانه على بوخان[٧] وراوِر[٨] بلاد بلور صاحب جبل خاقان وجبل التبت، وبعث به إلى العراق مع فرسان التبت، ومن ناحية السرير ما طلب على باراب وشاوغر وزاول، وبلاد أطرار، وقتل قائد الثغر وسبى أولاد جبغويه الخرلخى مع خاتوناته، بعد إحجاره إياه ببلاد كيماك وبعد غلبه ما غلب على مدينة كاسان وبعث بمفاتيح قلاع فرغانة إلى العرب، فمن قرأ هذه السطور فليعن على تعزيز الإسلام وتذليل الشرك بقول أو فعل؛ فإن ذلك واجب على الناس

---

(١) القندهار: هى اليوم من ديار الأفغان، وكانت عاصمتها فى القديم (هامش ب ١/ ص٢٢٨).

(٢) الطخارستان: هى ولاية واسعة تشمل عدة بلاد من نواحى خراسان.

(٣) من ب.

(٤) بلدة وولاية فى الجبال بين بلخ وهراة وغزنة.

(٥) الرايات الخضر: كانت رايات العباسيين سوداء. وفى بعض عهد المأمون جعلها خضراء لغرض سياسى، ثم عاد إلى السواد بعد مدة (هامش إتحاف الورى ٢/ ٢٧٦).

(٦) القشمير والكشمير: ولاية بين الهند وباكستان وفيها ـ حاليا ـ حكومة مستقلة داخليًا. وتتبع الحكومة المركزية بالهند (هامش إتحاف الورى ٢/ ٢٧٦).

(٧) بوخان: يرجح محقق (ب) أنها بوغوخان ومعناها أمير الجبل للمقاطعة المعروفة.

(٨) راور: يقول محقق «ب»: إنها مخففة عن راهور فارسية بمعنى أمير الطريق وقد لقب بها أمير بلاد البلور.

تعزيز الدين إذا قامت به الأئمة، ومن أراد الزهد والجهاد وأبواب البر والمعاونة على ما يكسب الإسلام كهذا العز وهذه المفاخر، وقد نسخنا ما كان حفر على صفيحة تاج مهرب بنى دومى كابل شاه، فى سنة سبع وتسعين ومائة على هذا اللوح ومن نصر دين الله نصره الله، لقوله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠](١).

وكتب الحسن بن سهل صنو ذى الرياستين فى سنة مائتين:

وشخص أمير المؤمنين هارون الرشيد، من الرقة يريد الحج يوم الاثنين لسبع ليال بقين من شهر رمضان سنة ست وثمانين ومائة، فلم يدخل مدينة السلام، ونزل منزلاً منها على سبعة فراسخ على شاطئ الفرات، يقال له: الدارب وقد بنى له بها منزل، ثم شخص خارجًا ومعه الأمين ولى العهد محمد بن أمير المؤمنين والمأمون ولى العهد من بعده عبد الله بن أمير المؤمنين، ومعه جميع وزرائه وقرابته، فعدل إلى المدينة من الربذة وقدمها، فأقام بها يومين، لم يصنع فى الأول منهما شيئًا إلا الصلاة فى المسجد والتسليم على النبى ﷺ، وجلس فى اليوم الثانى فى المقصورة حيال المنبر، فأمر بالمقصورة فغلقت كلها، ودعا بدفاتر العطاء، فأخرج يومه ذلك لأهل العطاء ثلاثة أعطية، وبدأ بالعطاء بنفسه فبودئ باسمه ووزن له عطاؤه فجعله فى كمه، ثم فعل ذلك بالأمين والمأمون، ثم ببنى هاشم المبدئين فى الدعوة على غيرهم، فأعطوا كذلك عشيتهم.

ثم قام إلى منزله فأصبح غاديًا من المدينة الشريفة إلى مكة المعظمة، فلما قدمها عزل العثمانى صهره محمد بن عبد الله عن صلاة مكة، وولى مكانه سليمان بن جعفر بن سليمان، فلما كان قبل التروية بيوم بعد الصبح، صعد المنبر فخطب خطبة الحج، ثم فتح له باب البيت فدخله وحده ليس معه غيره، وقام مسرور على باب البيت وأجيف أحد المصراعين، فمكث فيه

(١) الخبر بطوله لدى ابن فهد فى إتحاف الورى ٢/ ٢٧٥ ـ ٢٧٧.

طويلاً فى جوف الكعبة، ثم دعا بالأمين محمد ولى العهد، فكلمه طويلاً فى جوف الكعبة، ثم دعا بالمأمون عبد الله ففعل به مثل ذلك، ثم دعا بسليمان بن أبى جعفر، ثم دعا الفضل بن الربيع، ثم بعيسى بن جعفر وجعفر بن جعفر وجعفر بن موسى أمير المؤمنين، فدخلوا عليه جميعًا، ثم دخل بعدهم الحارث وأبان ومحمد بن خالد وعبيد بن يقطين ونظراؤهم، ودعا بيحيى بن خالد، ولم يكن حاضراً، فأتى به معجلاً حتى دخل، ودعا بجعفر بن يحيى، ثم كتب وليا العهد، كل واحد منهما على نفسه، كتابًا لأمير المؤمنين فيما أخذ على كل واحد منهما لصاحبه، وتَوَكَّد فيه عليهما بخط يده[1].

وحضرت الصلاة صلاة الظهر من قبل فراغهم، فنزل أمير المؤمنين، فصلى بهم الظهر ثم عاد إلى الكعبة فكان فيها إلى أن فرغوا من الكتابين، وأحضروا الناس سوى من سمينا قاضى مكة محمد بن عبد الرحمن المخزومى، وأسد بن عمرو قاضى مدينة الشرقية، وبعض من حجبة البيت، ثم حضرت صلاة العصر عند فراغهم فنزل أمير المؤمنين، فصلى بهم ثم طافوا سبعًا ثم دخل منزله من دار العجلة وأمر بحشر من حضر من الهاشميين وغيرهم ليشهدوا على الكتابين، وأرسل إلى سليمان بن أبى جعفر وعيسى بن جعفر وجعفر بن موسى وقد كانوا انصرفوا، فردوا من منازلهم فجاءوا متضجرين، وأخرج إليهم الكتابين وقد وضع عليهما الطين، وليس من الخواتيم إلا خاتما وليِّى العهد، فقرئا على جميع من حضر ليشهدوا عليهما[2]، ولم يثبت فى الكتابين إلا أسماء من كان فى الكعبة، حيث كتب الكتابان ولم يختم غيرهم، ولم يكن الكتابان طِّيْنًا ولا طُوِيَا ولا خُتِمَا فى جوف الكعبة.

(١) إتحاف الورى ٢/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥.

(٢) فى الأصول عليه. والمثبت من إتحاف الورى ٢/ ٢٣٥.

ثم أمر أمير المؤمنين بعد أن شهدوا على الكتابين أن يعلقا فى داخل الكعبة قبالة بابها مع المعاليق التى فيها حيث يراهما الناس، وضمنهما الحجبة واستحلفهم على حفظهما والقيام بهما وأن يصونوهما ويعلقوهما فى وقت الحج منشورين، وصنع لهما قصبتان من ذهب فكللوهما بفصوص الياقوت، والزبرجد، واللؤلؤ، ثم انصرف أمير المؤمنين بعد قضاء نسكه، فسار مقتصداً لم يعد المراحل حتى وافى الكوفة(١).

* * *

نسخة الكتابين(٢) اللذين كتبا فى بطن الكعبة اللذين شهد عليهما ونسخة الشرط الذى كتبه محمد بن أمير المؤمنين فى بطن الكعبة

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب لعبد الله هارون أمير المؤمنين، كتبه له محمد بن هارون أمير المؤمنين، فى صحة من بدنه وعقله وجواز من أمره طائعًا غير مكره: إن أمير المؤمنين هارون ولانى العهد من بعده، وجعل لى البيعة فى رقاب المسلمين جميعًا، وولى أخى عبد الله بن أمير المؤمنين هارون العهد والخلافة وجميع أمور المسلمين بعدى، برضاء منى وتسليم طائعًا غير مكره، وولاه خراسان بثغورها، وكورها [وحربها](٣) وجنودها، وخراجها، وطرزها وبريدها وبيوت أموالها، وصدقاتها، وعشرها وعشورها، وجميع أعمالها فى حياته وبعد وفاته، فشرطت لعبد الله هارون أمير المؤمنين [برضًى منى وطيب نفسى أن لأخى عبد الله بن هارون](٣) علىّ الوفاء. بما جَعَلَ له أمير المؤمنين هارون من البيعة والعهد، وولاية الخلافة، وأمور المسلمين بعدى، وتسليم ذلك له وما جعل له من ولاية خراسان وأعمالها، وما أقطعه

(١) إتحاف الورى ٢/ ٢٣٥ - ٢٣٦.

(٢) أوردهما ابن فهد بنصهما فى إتحاف الورى ٢/ ٢٣٦ وما بعدها.

(٣) إضافة عن تاريخ الطبرى ١٠/ ٧٤.

أمير المؤمنين هارون من قطيعة ، وجعل له من عقدة أو ضيعة من ضياعه وعقده، أو ابتاع له من الضياع والعقد، وما أعطاه فى حياته وصحته من مال أو حلى أو جواهر أو متاع، أو كسوة أو رقيق أو منزل أو دواب أو قليل أو كثير، فهو لعبد الله بن أمير المؤمنين موفراً عليه مسلمًا له، وقد عرفت ذلك كله شيئًا شيئًا باسمه وأصنافه ومواضعه، أنا وعبد الله بن هارون أمير المؤمنين، فإن اختلفنا فى شىء منه فالقول فيه قول عبد الله بن هارون أمير المؤمنين، لا أتبعه بشىء من ذلك ولا آخذه منه، ولا أنتقصه صغيراً ولا كبيراً، ولا من ولاية خراسان ولا غيرها مما وَلاَّه أميرُ المؤمنين من الأعمال، ولا أعزله عن شىء منها، ولا أخلعه ولا أستبدل به غيره، ولا أقدم [عليه][1] قبله فى العهد والخلافة أحدًا من الناس جميعًا، ولا أدخل عليه مكروهًا فى نفسه ودمه ولا شعره ولا بشره، ولا خاص ولا عام من أمور ولايته، ولا أمواله ولا قطائعه ولا عقده، ولا أغير عليه شيئًا بسبب من الأسباب، ولا آخذه ولا أحدًا من عُماله وكُتّابه وولاة أمره، ممن صحبه وأقام معه، لمحاسبة، ولا أتتبع شيئًا مما جرى على يديه وأيديهم فى ولايته خراسان وأعمالها وغيرها مما ولاه أمير المؤمنين فى حياته وصحته، من الجباية والأموال والطرز والبريد والصدقات والعشر والعشور وغير ذلك، ولا آمر بذلك أحدًا من الناس، ولا أرخص فيه لغيرى ولا أحدث فيه نفسى بشىء أمضيه عليه، ولا ألتمس فيه قطيعته، ولا أنقص شيئًا مما جعل له هارون أمير المؤمنين، وأعطاه فى حياته وخلافته وسلطانه من جميع ما سميت فى كتابى هذا، وآخذ له عَلَيَّ وَعَلَى جميعِ الناس البيعة، ولا أرخص لأحد من الناس كلهم فى جميع ما ولاه، ولا فى خلعه ولا فى مخالفته، ولا أسمع من أحد من البرية فى ذلك قولاً، ولا أرضى بذلك فى سر ولا علانية، ولا أغمض عليه ولا أتغافل عليه، ولا أقبل من بر من العباد ولا فاجر، ولا صادق ولا كاذب،

(١) إضافة من إتحاف الورى ٢/ ٢٣٧.

ولا ناصح ولا غاش، ولا قريب ولا بعيد، ولا أحد من ولد آدم عليه السلام من ذكر ولا أنثى، مشورة ولا مكيدة ولا حيلة فى شىء من الأمور سرها وعلانيتها، وحقها وباطلها، وباطنها وظهرها، ولا لسبب من الأسباب، أراد بذلك إفساد شىء، مما أعطيت عبد الله بن هارون أمير المؤمنين من نفسى، وأوجبت له على وشرطت وسميت فى كتابى هذا، وأراد به أحد من الناس أجمعين سوءًا أو مكروهًا أو أراد خلعه أو محاربته أو الوصول إلى نفسه ودمه أو حرمه، أو سلطانه أو ماله، أو ولايته جميعًا أو فرادى، مسرين أو مظهرين له، أن أنصره وأحوطه، وأدفع عنه كما أدفع عن نفسى ومهجتى ودمى وشعرى وبشرى وحرمى وسلطانى، وأجهز الجنود إليه وأعينه على كل من غشه وخالفه، ولا أسلمه ولا أتخلى منه، ويكون أمرى وأمره فى ذلك واحدًا أبدًا ما كنت حيًا.

وإن حدث بأمير المؤمنين حدث الموت، وأنا وعبد الله بن أمير المؤمنين بحضرة أمير المؤمنين أو أحدنا. أو كنا غائبين عنه جميعًا مجتمعين كنا أو متفرقين، وليس عبد الله بن هارون أمير المؤمنين فى ولايته بخراسان، فَعَلَّى لعبد الله بن هارون أمير المؤمنين أن أمضيه إلى خراسان، وأسلم له ولايتها وأعمالها كلها وجنودها ولا أعوقه عنها، ولا أحبسه قِبَلِى، ولا فى شىء من البلدان دون خراسان، وأعجل إِشْخَاصَه إلى خراسان واليًا عليها وعلى جميع أعمالها، منفردًا بها مفوضًا إليه جميع أعمالها كلها، وأُشْخِصُ معه جميع من ضم إليه أمير المؤمنين من قواده وجنوده، وأصحابه وكتّابه، وعماله، ومواليه، وخدمه، ومن تبعه من صنوف الناس بأهليهم وأموالهم، ولا أحبس عنه أحدًا منهم، ولا أشرك معه فى شىء منها أحدًا، ولا أرسل عليه أمينًا، ولا كاتبًا ولا بُنْدارًا[1]، ولا أضرب على يديه فى قليل ولا كثير.

(١) البندار: التاجر يحتكر البضائع ويتربص بها غلاء السعر. والبنادرة هم التجار يلزمون المعادن واحدها بندار.

وأعطيت هارون أمير المؤمنين وعبد الله بن هارون على ما شرطت لهما على نفسى من جميع ما سَمَّيت وكتبت فى كتابى هذا، عهد الله وميثاقه، وذمة أمير المؤمنين وذمتى، وذمم آبائى، وذمم المؤمنين، وأشدَّ ما أخذ الله عز وجل على النبيين والمرسلين وخلقه أجمعين من عهوده ومواثيقه، والأيمان المؤكدة التى أمر الله عز وجل بالوفاء بها، ونهى عن نقضها وتبديلها، فإن أنا نَقَضْتُ شيئًا مما شرطتُ لهارون أمير المؤمنين ولعبد الله بن هارون أمير المؤمنين، وسميت فى كتابى هذا، أو حدثت نفسى أن أنقض شيئًا مما أنا عليه، أو غيرت أو بدَّلت أو حدثت أو غدرت أو قبلت من أحد من الناس، صغيراً أو كبيراً، براً أو فاجراً، ذكراً أو أنثى، جماعة أو فرادى، فبرئت من الله سبحانه، ومن ولايته، ومن دينه، ومن محمد رسول الله ﷺ، ولقيت الله عز وجل يوم القيامة كافراً به مشركًا، وكل امرأة هى اليوم لى، أو أتزوجها إلى ثلاثين سنة، طالق ثلاثًا البتة طلاق الحرج، وَعَلَىَّ المشْىُ إلى بيت الله الحرام ثلاثين حجة، نذراً واجبًا لله تعالى فى عنقى، حافيًا راجلاً، لا يقبل الله منى إلا الوفاء بذلك، وكل مال هو لى اليوم أو أملكه إلى ثلاثين سنة هديًا بالغ الكعبة الحرام، وكل مملوك هو لى اليوم أو أملكه إلى ثلاثين سنة فهم أحرار لوجه الله تعالى، وكل ما جعلت لأمير المؤمنين ولعبد الله بن هارون أمير المؤمنين وكتبته وشرطته لهما، وحلفت عليه وسميت فى كتابى هذا لازمًا لى الوفاء به ولا أضمر غيره. ولا أنوى إلا إياه، فإن أضمرتُ أو نويتُ غيره فهذه العهود والمواثيق والأيمان كلها لازمة لى واجبة عَلَىَّ، وقُوَّاد أمير المؤمنين وجنوده وأهل الآفاق والأمصار وعوام المسلمين براء من بيعتى وخلافتى وعهدى وولايتى. وهم فى حل من خلعى وإخراجى. ومن ولايتى عليهم حتى أكون سوقة من السوق. وكرجل من عرض المسلمين. لا حق لى عليهم ولا ولاية ولا تبعة لى قبلهم، ولا بيعة لى فى أعناقهم، وهم فى حل من الأيمان التى أعطونى، بُرآء من تبعتها ووزرها فى الدنيا والآخرة.

شهد سليمان بن أمير المؤمنين المنصور، وعيسى بن جعفر، وجعفر بن جعفر، وعبد الله بن المهدى، وجعفر بن موسى أمير المؤمنين، وإسحاق بن موسى أمير المؤمنين، وإسحاق بن عيسى بن على، وأحمد بن إسماعيل بن على، وسليم بن جعفر بن سليمان، وعيسى بن صالح بن على، وداود بن عيسى بن موسى، ويحيى بن عيسى بن موسى، وداود بن سليمان بن جعفر، وخزيمة بن حازم، وهرثمة بن أعين، ويحيى بن خالد، والفضل بن يحيى، وجعفر بن يحيى، والفضل بن الربيع، مولى أمير المؤمنين، والعباس بن الفضل بن الربيع مولى أمير المؤمنين، وعبد الله بن الربيع مولى أمير المؤمنين، والقاسم بن الربيع مولى أمير المؤمنين، ودقاقة بن عبد العزيز العبسى، وسليمان بن عبد الله بن الأصم، والربيع بن عبد الله الحارثى، وعبد الرحمن بن أبى السمراء الغسانى، ومحمد بن عبد الرحمن قاضى مكة، وعبد الكريم بن شعيب الحجبى، وإبراهيم بن عبد الله الحجبى، وعبد الله بن شعيب الحجبى، ومحمد بن عبد الله بن عثمان الحجبى، وإبراهيم بن عبد الرحمن بن نبيه الحجبى، وعبد الواحد بن عبد الله الحجبى، وإسماعيل بن عبد الرحمن بن نبيه الحجبى، وأبان مولى أمير المؤمنين، ومحمد بن منصور، وإسماعيل بن ضبيح، والحارث مولى أمير المؤمنين، وخالد مولى أمير المؤمنين، وكتب فى ذى الحجة سنة ست وثمانين ومائة.

* * *

نسخة الشرط الذى كتبه عبد الله بن هارون أمير المؤمنين في بطن الكعبة(١)

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب لعبد الله هارون أمير المؤمنين، كتبه له عبد الله بن هارون أمير المؤمنين، فى صحة من عقله وجواز من أمره وصدق نيّة، فيما كتب فى كتابه ومعرفة ما فيه من الفضل والصلاح له ولأهل بيته ولجماعة المسلمين: إن أمير المؤمنين هارون، ولانى العهد والخلافة وجميع أمور المسلمين فى سلطانه، بعد أخى محمد بن هارون أمير المؤمنين، وولانى فى حياته وبعده ثغور خراسان وكورها وجميع أعمالها، من الصدقات والعشر والعشور والبريد والطرز وغير ذلك، واشترط لى على محمد بن أمير المؤمنين، الوفاء بما عقد لى به من الخلافة والولاية للعباد والبلاد بعده، وولانى خراسان وجميع أعمالها، ولا يعرض لى فى شىء مما أقطعنى أمير المؤمنين أو ابتاع لى من الضياع والعقد والدور والرباع، أو ابتعت منه من ذلك، وما أعطانى أمير المؤمنين هارون من الأموال والجوهر والكساء والمتاع والدواب [والرقيق وغير ذلك، ولا يعرض لى ولا لأحد من عمالى وكتابى](٢) فى سبب محاسبة، ولا يتبع لى فى ذلك ولا لأحد منهم أبدًا، ولا يدخل علىّ ولا على أحد ممن كان معى ومنى، ولا عمالى ولا كتابى، ومن استعنت به من جميع الناس، مكروهًا فى دم ولا نفس ولا شعر ولا بشر، ولا مال ولا صغير [من الأمور](٢) ولا كبير، فأجابه إلى ذلك وأقر به، وكتب له به كتابًا وكتبه على نفسه ورضى به أمير المؤمنين وهارون وقبله وعرف صدق نيته، فشرطت لعبد الله هارون أمير المؤمنين، وجعلت له على نفسى أن أسمع لمحمد بن أمير المؤمنين وأطيعه ولا أعصيه، وأنصحه ولا أغشه، وأوفى

---

(١) أورده ابن فهد فى إتحاف الورى ٢/ ٢٤١ وما بعدها.

(٢) إضافة عن تاريخ الطبرى.

بيعته وولايته، ولا أغدر، ولا أنكث، وأنفذ كتبه وأموره، وأحسن مؤازرته ومكانفته، وأجاهد عدوه فى ناحيتى بأحسن جهاد، ما وفى لى بما شرط لى ولعبد الله هارون أمير المؤمنين، وسماه فى الكتاب الذى كتبه لأمير المؤمنين، ورضى به أمير المؤمنين وقبله ولم ينقص شيئًا من ذلك ولا ينقص أمرًا من الأمور، التى اشترطها لى عليه هارون أمير المؤمنين.

وإن احتاج محمد بن هارون أمير المؤمنين إلى جند وكتب إلى يأمرنى بإشخاصهم إليه، أو إلى ناحية من النواحى، أو إلى عدو من أعدائه خالفه، أو أراد نقص شىء من سلطانه وسلطانى الذى أسنده هارون أمير المؤمنين إلينا وولانا [إياه فعلىّ][1] أن أنفذ أمره ولا أخالفه، ولا أقصر فى شىء، إن كتب به إلى.

وإن أراد محمد بن أمير المؤمنين، أن يولى رجلاً من ولده العهد والخلافة من بعدى، فذلك له ما وفى لى بما جعل لى أمير المؤمنين هارون واشترط لى عليه وشرطه على نفسه فى أمرى، وعَلَىَّ إنفاذ ذلك والوفاء له بذلك، ولا أنقض ذلك ولا أغيره ولا أبدله ولا أقدم فيه أحدًا من ولدى ولا قريبًا ولا بعيدًا من الناس أجمعين، إلا أن يولى هارون أمير المؤمنين أحدًا من ولده العهد من بعدى، فيلزمنى ومحمدًا الوفاء بذلك.

وجعلت لأمير المؤمنين ومحمد بن أمير المؤمنين على الوفاء بما اشترطت وسميت فى كتابى هذا ما وفى له محمد بن أمير المؤمنين، ولمحمد بن أمير المؤمنين هارون بجميع ما اشترط لى هارون أمير المؤمنين عليه فى نفسى، وما أعطانى أمير المؤمنين هارون من جميع الأشياء المسماة فى الكتاب الذى كتبه له عبد الله وميثاقه وذمة أمير المؤمنين وذمتى وذمم آبائى وذمم المؤمنين، وأشدّ ما أخذ الله عز وجل على النبيين والمرسلين وخلقه أجمعين من عهوده ومواثيق والأيْمان المؤكدة التى أمر الله عز وجل بالوفاء بها، فإن نقضت شيئًا

(١) اضافة عن تاريخ الطبرى.

مما شرطت وسمى فى كتابى هذا له، أو غيرت أو بدلت، أو نكثت أو غدرت، فبرئت من الله تعالى، ومن ولايته ومن دينه ومن محمد رسوله ﷺ، ولقيت الله سبحانه يوم القيامة كافرًا مشركًا به.

وكل امرأة هى اليوم لى أو أتزوجها إلى ثلاثين سنة، طالق ثلاثًا البتة طلاق الحرج، وكل مملوك لى اليوم أو أملكه إلى ثلاثين سنة، أحرار لوجه الله تعالى، وعلَىَّ المشى إلى بيت الله الحرام الذى بمكة ثلاثين حجة نذرًا واجبًا على وفى عنقى، حافيًا راجلا لا يقبل الله منى إلا الوفاء به، وكل مال هو لى اليوم أو أملكه إلى ثلاثين سنة هدىٌ بالغ الكعبة، وكل ما جعلت لعبد الله هارون أمير المؤمنين وشرطت فى كتابى هذه لازم لى، لا أضمر غيره ولا أنوى سواه، شهد تسمية الشهود فى ذلك الذين شهدوا على محمد ابن أمير المؤمنين.

فلم يزل الشرطان معلقين فى جوف الكعبة، حتى مات هارون الرشيد أمير المؤمنين وبعدما مات بسنتين فى خلافة محمد بن الرشيد، ثم كلم الفضل بن الربيع محمد بن عبد الله الحجبى أن يأتيه بهما، فنزعهما من الكعبة وذهب بهما إلى بغداد فأخذهما الفضل فخرقهما وأحرقهما بالنار.



نسخة ما كان حضر[١] على صحيفة التاج[٢]

بسم الله الرحمن الرحيم، أمر الإمام المأمون أمير المؤمنين ـ أكرمه الله ـ بحمل هذا التاج من خراسان، وتعليقه فى الموضع الذى علق فيه الشرطان فى بيت الله الحرام شكرًا لله عز وجل على الظفر بمن غدر وتبجيلاً للكعبة

(١) كذا فى الأصل، ومثله فى إتحاف الورى. وفى أ، ب: «كتب».

(٢) انظر فى ذلك: إتحاف الورى ٢/ ٢٧٣ وما بعدها.

إذا استخف بها من نكث وحال عما أكد على نفسه فيها، ورجا الإمام عظيم الثواب من الله عز وجل بسَدِّهِ الثلمة التى اخترمها، المخلوع فى الدين، فإنه قد كان جريئًا على الغدر والاستخفاف بما أكد فى بيت الله عز وجل وحرمه، وتوخى الإمام تذكير من تنفعه الذكرى ليزيدهم به يقينًا فى دينهم، وتعظيمًا لبيت ربهم، وتحذيراً لمن استخف وتعدى، فإنما علقنا هذا التاج بعد غدر المخلوع وإخراجه الشرطين وإحراقه إياهما.

فأخرجه الله من ملكه بالسيف، وأحرق محلته بالنار عبرة وعظة وعقوبة بما كسبت يداه، وما الله بظلام للعبيد.

وبعد عقد الإمام المأمون ـ أكرمه الله ـ بخراسان لذى الرياستين الفضل بن سهل وتوليته إياه المشرق وبلوغ الراية السوداء بلاد كابُل ونهر السند، وتصيير مهرب بنى دومى كابل شاه سريره وتاجه على يدى ذى الرياستين إلى باب الإمام المأمون أمير المؤمنين، وإسلام كابل شاه وأهل طاعته على يدى الإمام بمرو.

فأمر الإمام جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً الثروة[١] من الأئمة المهديين: أن يدفع السرير إلى خزانة بيت مال المسلمين بالمشرق، ويعلق التاج فى بيت الله الحرام بمكة، وبعث به ذو الرياستين، وَالى الإمام على المشرق، ومدبر خيوله، وصاحب دعوته، بعدما اجتمع المسلمون على طاعة الإمام المأمون أمير المؤمنين ـ أكرمه الله ـ ووفوا له بوفائه بعهد الله، وأطاعوه بتمسكه بطاعة الله عز وجل، وكانفوه بعمله بكتاب الله وإحيائه سنة رسول الله ﷺ، وبرئوا به من المخلوع لغدره ونكثه وتبديله، فالحمد لله رب العالمين معز من أطاعه، ومذل من عصاه، ورافع من وَفَى، وواضع من غدر، وصلى الله

(١) كذا في الأصل. وفى بقية الأصول: «الثروة» وعلق عليها محقق «ب» بأن اللفظة محرفة على كل حال. . والثروة الكثير من المال والناس. وفى الحديث: «ما بعث الله نبيًا بعد لوط إلا فى ثروة من قومه».

على محمد النبى وآله وصحبه وسلم، وكتب الحسن بن سهل صنو ذى الرياستين فى سنة تسع وتسعين ومائة.

* * *

ذكر الجب الذى كان فى الجاهلية فى الكعبة ومال الكعبة الذى يهدى لها وما جاء فى ذلك

حدثنا أبو الوليد قال: حدثنا جدى، عن مسلم بن خالد الزنجى، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، قال: كان فى الكعبة على يمين من دخلها جب عميق حفره إبراهيم خليل الرحمن وإسماعيل عليهما السلام حين رفع القواعد، وكان يكون فيه ما يهدى للكعبة من حلى أو ذهب أو فضة أو طيب أو غير ذلك، وكانت الكعبة ليس لها سقف، فسرق منها على عهد جرهم مال مرة بعد مرة، وكانت جرهم ترتضى لذلك رجلاً يكون عليه يحرسه، فبينا رجل ممن ارتضوه عندها إذ سولت له نفسه فانتظر حتى إذا انتصف النهار، وقلصت الظلال، وقامت المجالس، وانقطعت الطرق، ومكة إذ ذاك شديدة الحر، بسط رداءه، ثم نزل فى البئر فأخرج ما فيها فجعله فى ثوبه، فأرسل الله عز وجل حجراً من البئر فحبسه حتى راح الناس، فوجدوه فأخرجوه، وأعادوا ما وجدوا فى ثوبه فى البئر، فسميت تلك البئر الأخسف.

فلما أن خسف بالجرهمى وحبسه الله عز وجل، بعث الله عند ذلك ثعبانًا وأسكنه فى ذلك الجب فى بطن الكعبة أكثر من خمسمائة سنة يحرس ما فيه، فلا يدخله أحد إلا رفع رأسه وفتح فاه، فلا يراه أحد إلا ذعر منه، وكان ربما يشرف على جدار الكعبة، فأقام كذلك فى زمن جرهم وزمن خزاعة وصدراً من عصر قريش، حتى اجتمعت قريش فى الجاهلية على هدم البيت

وعمارته، فحال بينهم وبين هدمه حتى دعت قريش عند المقام عليه والنبى ﷺ معهم وهو يومئذ غلام لم ينزل عليه الوحى بعد، فجاء عقاب فاختطفه ثم طار به نحو أجياد الصغير.

قال حدثنى جدى: قال: حدثنا ابن عيينة، عن عمرو بن عبيد، عن الحسن، أن عمر بن الخطاب قال: لقد هممت أن لا أدع فى الكعبة صفراء ولا بيضاء إلا قسمتها؛ فقال له أبى بن كعب: والله ما ذلك لك. فقال عمر: لمَ؟ فقال: إن الله عز وجل قد بين موضع كل شىء وأقره رسول الله ﷺ، فقال عمر: صدقت.

حدثنى جدى قال: حدثنا ابن عيينة، عن سفيان بن سعيد الثورى، عن واصل الأحدب، عن أبى وائل شقيق بن سلمة، قال: جلست إلى شيبة بن عثمان فى المسجد الحرام، فقال: جلس إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه مجلسك هذا، فقال: لقد هممت أن لا أترك فيها صفراء ولا بيضاء إلا قسمتها - يعنى الكعبة - قال شيبة: فقلت له: إنه قد كان لك صاحبان لم يفعلاه، رسول الله ﷺ، وأبو بكر رضى الله عنه؛ فقال عمر: هما المرآن أقتدى بهما.

حدثنى جدى قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن إبراهيم بن ميسرة، عن رجل، عن الحسين بن على أن عمر رضى الله عنه قال لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه: لقد هممت أن أقسم هذا المال - يعنى مال الكعبة - فقال له على: إن استطعت ذلك. فقال عمر: وما لى لا أستطيع ذلك أولا تعيننى على ذلك؟ فقال على: إن استطعت ذلك. فرددها عمر ثلاثًا، فقال على رضى الله عنه: ليس ذلك إليك، فقال عمر: صدقت.

وحدثنى محمد بن يحيى، عن الواقدى، عن أشياخه، قالوا: قال عمر رضى الله عنه: لقد هممت أن لا أترك فى الكعبة شيئًا إلا قسمته، فقال له أبى بن كعب: والله ما ذلك لك؛ قال: ولمَ؟ قال: قرر الله موضع كل مال

وأقره رسول الله قال: صدقت.

وكان ابن عباس يقول: سمعت عمر رضى الله عنه يقول: إن تركى هذا المال فى الكعبة لا آخذه فأقسمه فى سبيل الله تعالى وفى سبيل الخير، وعلى ابن أبى طالب يسمع ما يقول، فقال: ما تقول يابن أبى طالب؟ أحلف بالله لئن شجعتنى عليه لأفعلن. قال: فقال له على: أتجعله فَيْئًا وأحرى صاحبه رجل يأتى فى آخر الزمان ضرب أدم طويل، فمضى عمر، قال: وذكروا أن النبى ﷺ وجد فى الجب الذى كان فى الكعبة سبعين ألف أوقية من ذهب مما كان يهدى إلى البيت، وأن على بن أبى طالب كرم الله وجهه، قال: يا رسول الله لو استعنت بهذا المال على حربك، فلم يحركه، ثم ذكر لأبى بكر فلم يحركه.

حدثنى محمد بن يحيى قال: حدثنى بعض الحجبة فى سنة ثمان وثمانين ومائة، أن ذلك المال بعينه فى خزانة الكعبة، ثم لا أدرى ما حاله بعد، حدثنى جدى وغيره من مشيخة أهل مكة وبعض الحجبة: أن الحسين بن الحسن العلوى عمد إلى خزانة الكعبة فى سنة مائتين فى الفتنة حين أخذ الطالبيون مكة، فأخذ مما فيها مالاً عظيمًا وانتقله إليه، وقال: ما تصنع الكعبة بهذا المال موضوعًا لا ينتفع به؟ نحن أحق به نستعين به على حربنا[1].

حدثنى جدى قال: سمعت عبد الله بن زرارة بن مصعب بن شيبة بن جبير بن شيبة بن عثمان، يقول: حضرت الوفاة فتى منا من أصحابنا من الحجبة بالبوباة[2] من قرن، فاشتد عليه الموت جداً، فمكث أيامًا ينزع نزعًا شديداً حتى رأوا منه ما غمهم وأحزنهم من شدة كربه، فقال له أبوه: يا بنى لعلك أصبت من هذا الأبرق شيئًا ـ يعنى مال الكعبة ـ قال: نعم يا أبت، أربعمائة دينار، فقال أبوه: اللهم، إن هذه الأربعمائة دينار عَلَىّ فى أنضر

(١) إتحاف الورى ٢/ ٢٦٥.

(٢) اسم لصحراء بأرض تهامة.

مالى للكعبة، ثم انحرف إلى أصحابه فقال: اشهدوا أن للكعبة على أربعمائة دينار فى أنضر مالى أؤديها إليها، قال: فسرى عنه ثم لم يلبث الفتى أن مات[١].

قال أبو الوليد: وسمعت يوسف بن إبراهيم بن محمد العطار يحدث عن عبد الله بن زرارة، أن مال الكعبة كان يدعى الأبرق ولم يخالط مالا قط إلا محقه، ولم يرزأ أحد منه قط من أصحابنا إلا بان النقص فى ماله، وأدنى ما يصيب صاحبه أن يشدد عليه الموت، قال: ولم يزل من مضى من مشيخة الحجبة يحذرونه أبناءهم ويخوفونهم إياه ويوصونهم بالتنزه عنه، ويقولون: لن تزالوا بخير ما دمتم أعفة عنه وإن كان الرجل ليصيب منه الشىء فيضعه عند الناس.

حدثنى مسافع بن عبد الرحمن الحجبى قال: لما بويع بمكة لمحمد بن جعفر بن محمد بن على بن حسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم، فى الفتنة فى سنة مائتين حين ظهرت المُبَيِّضَة[٢] بمكة أرسل إلى الحجبة فتسلف منهم من مال الكعبة خمسة آلاف دينار، وقال: نستعين بها على أمرنا، فإذا أفاء الله علينا رددناها فى مال الكعبة، فدفعوا إليه وكتبوا عليه بذلك كتابًا وأشهدوا فيه شهودًا، فلما خلع نفسه ورفع إلى أمير المؤمنين المأمون، تقدم الحجبة واستعدوا عليه عند أمير المؤمنين، فقضاهم أمير المؤمنين المأمون عن محمد بن جعفر خمسة آلاف دينار وكتب لهم بها إلى إسحاق بن عباس بن عباد بن محمد وهو وال على اليمن، فقبضتها الحجبة وردوها فى خزانة الكعبة.

حدثنى جدى قال: حدثنا إبراهيم بن محمد بن أبى يحيى قال: حدثنا

---

(١) شفاء الغرام ٢/ ١٩٤.

(٢) المبيضة: فرقة من الثنوية، وهم أصحاب المُقَنَّع، سموا بذلك لتبييضهم ثيابهم، مُخَالَفَة للمُسَوِّدة العباسيين، وكذلك كان يطلق على كل جماعة خارجة على الدولة العباسية.

أيوب بن موسى عن سعيد بن يسار الخزاعى عن ابن عمر، أنه كان فى دار خالد بن أسيد بمكة، فجاءه رجل فقال: أرسل معى بحلى إلى الكعبة، فقال له: ممن أنت؟ قال: من أهل العراق، قال: ما أحمقكم يا أهل العراق أما فيكم مسكين؟ أما فيكم يتيم؟ أما فيكم فقير؟ إن كعبة الله لغنية عن الذهب والفضة ولو شاء الله لجعلها ذهبًا وفضة. قال ابن يسار: فكان معى حلى بعثت بها إلى الكعبة فقلت له: وأنا مستحى، فقال: وأنت أيضًا، ثم قال لى كما قال للآخر.

* * *

ذكر من كسا الكعبة فى الجاهلية

حدثنا عم أبى أبو محمد قال: حدثنا أبو الوليد قال: حدثنى جدى قال: حدثنا إبراهيم بن محمد بن أبى يحيى، عن همام بن منبه، عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه نهى عن سب أسعد الحميرى وهو تبع، وكان هو أول من كسا الكعبة.

وحدثنى جدى عن سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، عن محمد بن إسحاق قال: بلغنى عن غير واحد من أهل العلم أن أول من كسا الكعبة كسوة كاملة تُبَّع وهو أسعد، أرى فى النوم أنه يكسوها فكساها الأنطاع ثم أرى أن يكسوها فكساها الوصائل ثياب حبرة من عصب اليمن وجعل لها بابًا يغلق وقال أسعد فى ذلك:

وكسونا البيت الذى حرم اللّـــــه مــلاء معضــدًا وبـرودا

وأقمنـا به مـن الشهـر عشرًا وجعلنـا لبـابـه إقليـــدا

وخرجنـا منـه نؤم سهيـلا قــد رفعنا لواءنا معقـودًا[1]

(١) سيرة ابن هشام ١/٢٥ وهامش ٤.

وحدثنى محمد بن يحيى قال: حدثنى سليم بن مسلم،عن ابن جريج أنه كان يقول: أول من كسا الكعبة كسوة كاملة تُبَّع كساها العصب وجعل لها بابًا يغلق.

حدثنى محمد بن يحيى عن الواقدى، عن أفلح بن حميد، عن أبيه، عن النوار بنت مالك بن صرمة أم زيد بن ثابت قالت: رأيت على الكعبة قبل أن ألد زيد بن ثابت وأنا به نسء مطارف خز خضراء وصفراء وكراراً وأكسية من أكسية الأعراب وشقاق شعر ـ الكرار: الخيش الرقيق واحدها كر.

حدّثنى جدى أحمد بن محمد، عن الواقدى عن عبد الحكيم بن عبد الله ابن أبى فروة، عن هلال بن أسامة، عن عطاء بن يسار، عن عمر بن الحكم السلمى قال: نذرت أمى بدنة تنحرها عند البيت وجللتها شقتين من شعر ووبر فنحرت البدنة وسترت الكعبة بالشقتين والنبى ﷺ يومئذ بمكة لم يهاجر فأنظر إلى البيت يومئذ وعليه كسى شتى من وصائل وأنطاع وكرار وخز ونمارق عراقية ـ أى ميسانية ـ كل هذا قد رأيته عليه.

وحدثنى جدى قال: حدثنا سعيد بن سالم، عن ابن جريج، عن ابن أبى مليكة أنه قال: بلغنى أن الكعبة كانت تكسى فى الجاهلية كسى شتى كانت البدنة تجلل الحبرة والبرود والأكسية وغير ذلك من عصب اليمن وكان هذا يهدى للكعبة سوى جلال البدن هدايا من كسى شتى خز وحبرة وأنماط فيعلق فتكسى منه الكعبة ويجعل ما بقى فى خزانة الكعبة، فإذا بلى منها شىء أخلف عليها مكانه ثوب آخر ولا ينزع مما عليها شىء من ذلك، وكان يهدى إليها خلوق ومجمر، وكانت تطيب بذلك فى بطنها ومن خارجها.

وحدثنى جدى قال: حدثنا عبد الجبار بن الورد قال: سمعت ابن أبى مليكة يقول: كانت قريش فى الجاهلية ترافد فى كسوة الكعبة، فيضربون ذلك على القبائل بقدر احتمالها، من عهد قصى بن كلاب حتى نشأ أبو ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكان يختلف إلى اليمن يتجر بها

فأثرى فى المال، فقال لقريش: أنا أكسو وحدى الكعبة سنة وجميع قريش سنة، فكان يفعل ذلك حتى مات يأتى بالحبرة الجيدة من الجند[1] فيكسوها الكعبة فسمته قريش العدل، لأنه عدل فعله بفعل قريش كلها فسموه إلى اليوم العدل، ويقال لولده: بنو العدل.

* * *

ذكر كسوة الكعبة فى الإسلام وطيبها وخدمها وأول من فعل ذلك

حدثنا أبو الوليد قال: حدّثنى جدى قال: حدثنا إبراهيم بن محمد بن أبى يحيى قال: حدثنا أبى، عن خالد، عن ابن المهاجر أن النبى ﷺ خطب الناس يوم عاشوراء فقال النبى ﷺ: هذا يوم عاشوراء يوم تنقضى فيه السنة، وتستر فيه الكعبة، وترفع فيه الأعمال، ولم يكتب عليكم صيامه وأنا صائم فمن أحب منكم أن يصوم فليصم.

وحدثنى جدى، عن سعيد بن سالم، عن ابن جريج قال: كانت الكعبة فيما مضى إنما تكسى يوم عاشوراء، إذا ذهب آخر الحاج حتى كانت بنو هاشم، فكانوا يعلقون عليها القمص يوم التروية من الديباج، لأن يرى الناس ذلك عليها بهاء وجمالا، فإذا كان يوم عاشوراء علقوا عليها الإزار.

حدّثنى جدى، عن ابن عيينة، عن إسماعيل بن أمية، عن نافع قال: كان ابن عمر يكسو بدنه إذا أراد أن يحرم، القباطى والحبرة، فإذا كان يوم عرفة ألبسها إياها فإذا كان يوم النحر نزعها ثم أرسل بها إلى شيبة بن عثمان فناطها على الكعبة.

(١) الجنَد: من أرض السكاسك باليمن.

وأخبرنى محمد بن يحيى، عن الواقدى، عن إسماعيل بن إبراهيم بن أبى حبيبة عن أبيه قال: كسى البيت فى الجاهلية الأنطاع ثم كساه النبى ﷺ الثياب اليمانية، ثم كساه عمر وعثمان القباطى ثم كساه الحجاج الديباج ويقال: أول من كساه الديباج يزيد بن معاوية، ويقال: ابن الزبير، ويقال: عبد الملك بن مروان، وأول من خلق جوف الكعبة ابن الزبير، وأول من دعا على الكعبة عبد الله بن شيبة ويلقب الأعجم فدعا لعبد الملك بن هشام وكان خليفة.

حدثنى محمد بن يحيى، عن إبراهيم بن محمد بن أبى يحيى، عن حبيب بن أبى ثابت قال: كسا النبى ﷺ الكعبة، وكساها أبو بكر، وعمر رضى الله عنهما.

وأخبرنى محمد بن يحيى قال: حدثنا سليم بن مسلم، عن موسى بن عبيدة الربذى أن عمر بن الخطاب كسا الكعبة القباطى من بيت المال.

قال أبو الوليد: وحدّثنى جدى قال: حدثنى سعيد بن سالم، عن ابن أبى نجيح، عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كسا الكعبة القباطى من بيت المال، وكان يكتب فيها إلى مصر تحاك له هناك، ثم عثمان من بعده، فلما كان معاوية بن أبى سفيان كساها كسوتين كسوة عمر القباطى، وكسوة ديباج، فكانت تكسى الديباج يوم عاشوراء، وتكسى القباطى فى آخر شهر رمضان للفطر، وأجرى لها معاوية وظيفة من الطيب لكل صلاة وكان يبعث بالطيب والمجمر والخلوق فى الموسم وفى رجب وأخدمها عبيداً بعث بهم إليها فكانوا يخدمونها ثم اتبعت ذلك الولاة بعده.

وحدثنى جدى، عن إبراهيم بن محمد بن أبى يحيى قال: حدثنى علقمة ابن أبى علقمة، عن أمه، عن عائشة رضى الله عنها زوج النبى ﷺ أنها قالت: كسوة البيت على الأمراء.

وحدثنى جدى، عن إبراهيم بن محمد بن أبى يحيى قال: حدثنى هشام

ابن عروة أن عبد الله بن الزبير كسا الكعبة الديباج.

وحدثنى محمد بن يحيى، عن سليم بن مسلم، عن ابن جريج قال: كان معاوية أول من طيب الكعبة بالخلوق والمجمر وأجرى الزيت لقناديل المسجد من بيت المال.

وأخبرنى محمد بن يحيى، عن الواقدى، عن عبد العزيز بن المطلب، عن إسحاق بن عبد الله عن أبى جعفر محمد بن على قال: كان الناس يهدون إلى الكعبة كسوة ويهدون إليها البدن عليها الحبرات فيبعث بالحبرات إلى البيت كسوة، فلما كان يزيد بن معاوية كساها الديباج الخسروانى، فلما كان ابن الزبير اتبع أثره فكان يبعث إلى مصعب بن الزبير بالكسوة كل سنة فكانت تكسى يوم عاشوراء.

وأخبرنى محمد بن يحيى، عن الواقدى، عن عبد الله بن عمر عن نافع قال: كان ابن عمر يجلل بدنة بالأنماط فإذا نحرها بعث بالأنماط إلى الحجبة فيجعلونها على الكعبة قبل أن تكسى الكعبة.

وأخبرنى محمد بن يحيى، عن الواقدى، عن أشياخه قالوا: فلما ولى عبد الملك بن مروان كان يبعث كل سنة بالديباج فيمر به على المدينة فينشر يومًا فى مسجد رسول الله ﷺ على الأساطين هاهنا وهاهنا ثم يطوى ويبعث به إلى مكة وكان يبعث بالطيب اليها وبالمجمر وإلى مسجد رسول الله ﷺ ثم كان أول من أخدم الكعبة يزيد بن معاوية وهم الذين يسترون البيت.

حدّثنى جدى قال: كانت الكعبة تكسى فى كل سنة كسوتين كسوة ديباج، وكسوة قباطى؛ فأما الديباج فتكساه يوم التروية فيعلق عليها القميص ويدلى ولا يخاط، فإذا صدر الناس من منى خيط القميص وترك الإزار حتى تذهب الحجاج لئلا يخرقونه، فإذا كان العاشوراء علق عليها الإزار فوصل بالقميص فلا تزال هذه الكسوة الديباج عليها حتى يوم سبع وعشرين من شهر رمضان فتكسى القباطى للفطر.

فلما كانت خلافة المأمون رفع إليه أن الديباج يبلى ويتخرق قبل أن يبلغ الفطر. ويرقع حتى يسمج، فسأل مباركًا الطبرى مولاه وهو يومئذ على بريد مكة وصوافيها: فى أى الكسوة الكعبة أحسن؟ فقال له: فى البياض فأمر بكسوة من ديباج أبيض فعملت فعلقت سنة ست ومائتين وأرسل بها إلى الكعبة فصارت الكعبة تكسى ثلاث كسا: الديباج الأحمر يوم التروية، وتكسى القباطى يوم هلال رجب، وجعلت كسوة الديباج الأبيض التى أحدثها المأمون يوم سبع وعشرين من شهر رمضان للفطر، وهى تكسى إلى اليوم ثلاث كسا، ثم رفع إلى المأمون أيضًا أن إزار الديباج الأبيض الذى كساها يتخرق ويبلى فى أيام الحج من مس الحجاج قبل أن يخاط عليها إزار الديباج الأحمر الذى يخاط فى العاشور، فبعث بفضل إزار ديباج أبيض تكساه يوم التروية أو يوم السابع فيستر به ما تخرق من الإِزار الذى كسيته للفطر إلى أن يخاط عليها إزار الديباج الأحمر فى العاشور، ثم رفع إلى أمير المؤمنين جعفر المتوكل على الله أن إزار الديباج الأحمر يبلى قبل هلال رجب من مس الناس وتمسحهم بالكعبة فزادها إزارين مع الإزار الأول فأذال قميصها الديباج الأحمر وأسبله حتى بلغ الأرض؛ سئل أبو الوليد عن أذال فقال: أسبل؛ وقال الشاعر فى ـ معنى ذلك ـ:

على ابن أبى العاصى دلاص حصينة

أجـــاد المسدى سردهـــا فأذالهـــا

ثم جعل فوقه فى كل شهرين إزار، وذلك فى سنة أربعين ومائتين لكسوة سنة إحدى وأربعين ومائتين، ثم نظر الحجبة فإذا الإزار الثانى لا يحتاج إليه فوضع فى تابوت الكعبة وكتبوا إلى أمير المؤمنين أن إزارًا واحدًا مع ما أذيل من قمصها يجزيها فصار يبعث بإزار واحد فتكساه بعد ثلاثة أشهر ويكون الذيل ثلاثة أشهر.

قال أبو الوليد: ثم أمر أمير المؤمنين جعفر المتوكل على الله عز وجل

بإذالة القميص القباطى حتى بلغ الشاذروان الذى تحت الكعبة فى سنة ثلاث وأربعين ومائتين.

حدّثنى جدى قال: حدثنا إبراهيم بن محمد بن أبى يحيى قال: حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن عائشة زوج النبى ﷺ قالت: أطيب الكعبة أحب إلى من أن أهدى إليها ذهبًا وفضة.

حدثنى جدى قال: حدثنا إبراهيم بن محمد بن أبى يحيى قال: حدثنى علقمة بن أبى علقمة عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: طيبوا البيت فإن ذلك من تطهيره.

حدّثنى جدى قال: حدثنا إبراهيم بن محمد بن أبى يحيى قال: حدثنا هشام بن عروة أن عبد الله بن الزبير خلق جوف الكعبة أجمع.

حدّثنى جدى قال: حدثنا إبراهيم بن محمد بن أبى يحيى قال: حدثنا هشام بن عروة أن عبد الله بن الزبير كان يجمر الكعبة كل يوم برطل من مجمر ويجمر الكعبة كل يوم جمعة برطلين من مجمر.

* * *

ما جاء فى تجريد الكعبة وأول من جردها

حدّثنا أبو الوليد قال: حدثنا جدى وإبراهيم بن محمد الشافعى، عن مسلم بن خالد، عن ابن أبى نجيح، عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان ينزع كسوة البيت فى كل سنة فيقسمها على الحاج فيستظلون بها على السمر بمكة[1].

حدّثنى جدى قال: حدثنا عبد الجبار بن الورد المكى قال: سمعت ابن

(١) عرف الطيب (مخطوط).

أبى مليكة يقول: كانت على الكعبة كُسًا كثيرة من كسوة أهل الجاهلية من الأنطاع والأكسية والكرار والأنماط فكانت ركامًا بعضها فوق بعض فلما كسيت فى الإسلام من بيت المال كان يخفف عنها الشىء بعد الشىء وكانت تكسى فى خلافة عمر وعثمان رضى الله عنهما القباطى يؤتى به من مصر غير أن عثمان رضى الله عنه كساها سنة برودًا يمانية أمر بعملها عامله على اليمن يعلى بن منبه، فكان أول من ظاهر لها كسوتين، فلما كان معاوية كساها الديباج مع القباطى، فقال شيبة بن عثمان: لو طرح عنها ما عليها من كُسًا الجاهلية فخفف عنها حتى لا يكون مما مسه المشركون شىء لنجاستهم[1] فكتب فى ذلك إلى معاوية بن أبى سفيان وهو بالشام فكتب إليه أن جردها وبعث إليه بكسوة من ديباج وقباطى وحبرة، قال: فرأيت شيبة جردها حتى لم يترك عليها شيئًا مما كان عليها، وخلق جدراتها كلها وطيبها ثم كساها تلك الكسوة التى بعث بها معاوية إليها، وقسم الثياب التى كانت عليها على أهل مكة، وكان ابن عباس حاضرًا فى المسجد الحرام وهم يجردونها قال: فما رأيته أنكر ذلك ولا كرهه.

حدّثنى محمد بن يحيى عن الواقدى، عن ابن جريج، عن عبد الحميد ابن جبير بن شيبة قال: جرد شيبة بن عثمان الكعبة قبل الحريق فخلقها وطيبها، قلت: وما تلك الثياب؟ قال: من كل نحو كرار وأنطاع وخيرًا من ذلك، وكان شيبة يكسو منها حتى رأى على امرأة حائض من كسوته فدفنها فى بيت حتى هلكت ـ يعنى الثياب ـ

حدّثنى محمد بن يحيى، عن الواقدى عن إبراهيم بن يزيد، عن ابن أبى مليكة قال: رأيت شيبة بن عثمان جرد الكعبة فرأيت عليها كسوة شتى كرارًا وأنطاعًا ومسوحًا وخيرًا من ذلك.

(١) كذا فى الأصل. وفى أ، ب: «النَحَاسيّتهم».

حدّثنا محمد بن يحيى، عن الواقدى، عن عبد الحكيم بن عبد الله بن أبى فروة، عن هلال بن أسامة، عن عطاء بن يسار قال: قدمت مكة معتمراً فجلست إلى ابن عباس فى صفة زمزم وشيبة بن عثمان يومئذ يجرد الكعبة. قال عطاء بن يسار: فرأيت جدارها ورأيت خلوقها وطيبها ورأيت تلك الثياب التى أخبرنى عمر بن الحكم السلمى أنه رآها فى حديث نذر أمه البدنة قد وضعت بالأرض، فرأيت شيبة بن عثمان يومئذ يقسمها أو قسم بعضها فأخذت يومئذ كساء من نسج الأعراب فلم أر ابن عباس أنكر شيئًا مما صنع شيبة بن عثمان. قال عطاء بن يسار: وكانت قبل هذا لا تجرد، إنما يخفف عنها بعض كسوتها وتترك عليها، حتى كان شيبة بن عثمان أول من جردها وكشفها.

وأخبرنى محمد بن يحيى قال: حدثنا هشام بن سليمان المخزومى، عن ابن جريج، عن عبد الحميد بن جبير بن شيبة أنه قال: جرد شيبة بن عثمان الكعبة قبل الحريق من ثياب كان أهل الجاهلية كسوها إياها ثم خلقها وطيبها قلت: وما كانت تلك الثياب؟ قال: من كل، كراراً وأنطاعًا وخيراً من ذلك، وكان شيبة يقسم تلك الثياب فرأى على امرأة حائض ثوبًا من كسوة الكعبة، فرفعه شيبة فأمسك ما بقى من الكسوة حتى هلكت ـ يعنى الثياب ـ.

حدّثنى جدى قال: حدثنا إبراهيم بن محمد بن أبى يحيى قال: حدثنى علقمة بن أبى علقمة عن أمه، عن عائشة أم المؤمنين أن شيبة بن عثمان دخل على عائشة فقال: يا أم المؤمنين تجتمع عليها الثياب فتكثر فيعمد إلى بيّار فيحفرها ويعمقها فتدفن فيها ثياب الكعبة لكى لا تلبسها الحائض والجنب قالت عائشة: ما أصبت، وبئس ما صنعت، لا تعد لذلك فإن ثياب الكعبة إذا نزعت عنها لا يضرها من لبسها من حائض أو جنب، ولكن بعها واجعل ثمنها فى سبيل الله تعالى والمساكين وابن السبيل.

وأخبرنى محمد بن يحيى، عن الواقدى، عن موسى بن ضمرة بن سعيد

المازنى، عن عبد الرحمن بن محمد، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال قال: رأيت شيبة بن عثمان يسأل ابن عباس عن ثياب الكعبة ثم ساق مثل حديث عائشة، فقال له ابن عباس مثل ما قالت عائشة رضى الله عنها.

وأخبرنى محمد بن يحيى، عن الواقدى، عن خالد بن إلياس عن الأعرج، عن فاطمة الخزاعية قالت: سألت أم سلمة زوج النبى ﷺ عن ذلك فقال: إذا نزعت عنها ثيابها فلا يضرها من لبسها من الناس من حائض أو جنب.

قال أبو الوليد: سمعت غير واحد من مشيخة أهل مكة يقول: حج المهدى أمير المؤمنين سنة ستين ومائة فجرد الكعبة وأمر بالمسجد الحرام فهدم وزاد فيه الزيادة الأولى.

وأخبرنى عبد الله بن إسحاق الحجبى، عن جدته فاطمة بنت عبد الله قالت: حج المهدى فجرد الكعبة وطلا جدرانها من خارج بالغالية والمسك والعنبر قالت: فأخبرنى جدك - تعنى زوجها محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الحجبى - قال: صعدنا على ظهر الكعبة بقوارير من الغالية فجعلنا نفرغها على جدرات الكعبة من خارج من جوانبها كلها وعبيد الكعبة قد تعلقوا بالبكرات التى تخاط عليها ثياب الكعبة ويطلون بالغالية جدراتها من أسفلها إلى أعلاها[1]؛ قال أبو محمد الخزاعى: أنا رأيتها وقد غير الجدر الذى بناه الحجاج مما يلى الحجر، وقد انفتح من البناء الأول الذى بناه ابن الزبير مقدار أصبع من دبرها ومن وجهها وقد رهم بالجص الأبيض.

حدّثنى جدى قال: حج المهدى أمير المؤمنين سنة ستين ومائة فرفع إليه أنه قد اجتمع على الكعبة كسوة كثيرة حتى أنها قد أثقلتها ويخاف على جدراتها

(١) عرف الطيب (مخطوط).

من ثقل الكسوة، فجردها حتى لم يبق عليها من كسوتها شيئًا ثم ضمخها من خارجها وداخلها بالغالية والمسك والعنبر، وطلا جدراتها كلها من أسفلها إلى أعلاها من جوانبها كلها، ثم أفرغ عليها ثلاث كسا من قباطى وخز وديباج، والمهدى قاعد على ظهر المسجد مما يلى دار الندوة ينظر إليها وهى تطلى بالغالية وحين كسيت ثم لم يحرك ولم يخفف عنها من كسوتها الشيء، حتى كان سنة المائتين وكثرت الكسوة أيضًا عليها جدًا، فجردها حسين بن حسن الطالبى فى الفتنة، وهو يومئذ قد أخذ مكة ليالى دعت المبيضة إلى أنفسها وأخذوا مكة فجردها حتى لم يبق عليها من كسوتها شيئًا، قال جدى: فاستدرت بجوانبها وهى مجردة فرأيت حِدّاتِ الباب الذى كان ابن الزبير جعله فى ظهرها وسده الحجاج بأمر عبد الملك فرأيت حِداته وعتبه على حالها، وعددت حجارته التى سد بها فوجدتها ثمانية وعشرين حجرًا فى تسعة مداميك فى كل مدماك ثلاثة أحجار إلا المدماك الأعلى، فإن فيه أربعة أحجار. رأيت الصلة التى بنى الحجاج مما يلى الحجر حين هدم ما زاد ابن الزبير قال: فرأيت تلك الصلة بينة فى الجدر وهى كالمتبرية من الجدر الآخر، قال إسحاق: ورأيت جدارتها كلون العنبر الأشهب حين جردت فى آخر ذى الحجة من سنة ثلاث وستين ومائتين وأحسبه من تلك الغالية - قال وكان تجريد الحسين بن الحسن إياها أول يوم من المحرم يوم السبت سنة مائتين، ثم كساها حسين بن حسن كسوتين من قز رقيق إحداهما صفراء، والأخرى بيضاء مكتوب بينهما بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين الأخيار، أمر أبو السرايا الأصفر بن الأصفر داعية آل محمد[١] بعمل هذه الكسوة لبيت الله الحرام[٢].

قال أبو الوليد: وابتدأت كسوتها من سنة المائتين، وعدتها إلى سنة أربع

---

(١) تحرف فى أ، ب إلى: «إلى محمد» وصوابه من الأصل، وعرف الطيب وهو ينقل عن المصنف.

(٢) عرف الطيب (مخطوط).

وأربعين ومائتين مائة وسبعون ثوبًا، قال محمد الخزاعى: وأنا رأيتها وقد عمر الجدر الذى بناه الحجاج مما يلى الحجر فانفتح من البناء الأول الذى بناه ابن الزبير مقدار نصف أصبع من وجهها ومن دبرها وقد رهم بالجص الأبيض، وقد رأيتها حين جردت فى آخر ذى الحجة سنة ثلاث وستين ومائتين، فرأيت جدراتها كلون العنبر الأشهب من تلك الغالية.

* * *

ما جاء فى دفع النبى ﷺ المفتاح إلى عثمان بن طلحة

حدّثنا أبو الوليد قال: حدثنى جدى وإبراهيم بن محمد الشافعى، عن مسلم بن خالد الزنجى، عن ابن شهاب الزهرى قال: دفع النبى ﷺ مفتاح الكعبة إلى عثمان بن طلحة فقال: ها يا عثمان غيبوه، قال: فخرج عثمان إلى الهجرة وخلفه شيبة فحجب.

وأخبرنى جدى قال: أخبرنا مسلم بن خالد الزنجى، عن ابن جريج أن النبى ﷺ قال: خذوها يا بنى أبى طلحة خذوا ما أعطاكم الله ورسوله تالدة خالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم.

وأخبرنى جدى، عن سعيد بن سالم، عن ابن جريج، عن مجاهد فى قوله عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء:٥٨]، قال: نزلت فى عثمان بن طلحة بن أبى طلحة حين قبض النبى ﷺ مفتاح الكعبة ودخل به الكعبة يوم الفتح، فخرج وهو يتلو هذه الآية، فدعا عثمان فدفع إليه المفتاح وقال: خذوها يا بنى أبى طلحة بأمانة الله سبحانه لا ينزعها منكم إلا ظالم.

قال: وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: لما خرج رسول الله ﷺ من الكعبة خرج وهو يتلو هذه الآية، فداه أبى وأمى ما سمعته يتلوها قبل ذلك.

وأخبرنى محمد بن يحيى قال: حدثنا سليم بن مسلم، عن غالب بن عبيد الله أنه قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول: دفع النبى ﷺ مفتاح الكعبة إلى عثمان بن طلحة يوم الفتح ثم قال: خذوها يا بنى أبى طلحة خالدة تالدة لا يظلمكموها إلا كافر. وسمعت غيره يقول إلا ظالم.

وأخبرنى محمد بن يحيى قال: حدثنا سليم بن مسلم، عن عبد الوهاب ابن مجاهد، عن أبيه قال: أنزل الله تعالى فى الكعبة ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء:٥٨].

حدّثنى جدى عن محمد بن إدريس، عن الواقدى، عن أشياخه قالوا: انصرف رسول الله ﷺ يوم الفتح بعدما طاف على راحلته فجلس ناحية من المسجد والناس حوله، ثم أرسل بلالاً إلى عثمان بن طلحة فقال ﷺ قل له: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تأتيه بمفتاح الكعبة، فجاء بلال إلى عثمان فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تأتيه بمفتاح الكعبة، فقال عثمان: نعم، فخرج إلى أمه سلافة بنت سعد بن شهيد الأنصارية ورجع بلال إلى النبى ﷺ فأخبره أنه قال: نعم، ثم جلس بلال مع الناس فقال عثمان لأمه: ـ والمفتاح يومئذ عندها ـ يا أمت أعطينى المفتاح، فإن رسول الله ﷺ أرسل إلى وأمرنى أن آتى به إليه، فقالت له أمه: أعيذك بالله أن تكون الذى تذهب بمأثرة قومك على يديك فقال: والله لتدفعنه أو ليأتينك غيرى فيأخذه منك فأدخلته فى حجرها وقالت: أى رجل يدخل يده هاهنا؟ فبينما هما على ذلك إذ سمعت صوت أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فى الدار وعمر رافع صوته حين رأى إبطاء عثمان، يا عثمان اخرج، فقالت أمه: يا بنى خذ المفتاح فلئن تأخذه أنت أحب إلى من أن يأخذه تيم وعدى، فأخذه عثمان فأتى به النبى ﷺ فناوله إياه، فلما ناوله إياه فتح الكعبة وأمر رسول الله ﷺ بالكعبة فغلقت عليه ومعه أسامة بن زيد، وبلال بن رباح، وعثمان بن طلحة فمكث فيها ما شاء الله، وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة، قال ابن عمر:

فسألت بلالا أين صلى رسول الله ﷺ؟ قال: جعل عمودين عن يمينه وعمودًا عن يساره، وثلاثة وراءه، قالوا: ثم خرج رسول الله ﷺ والمفتاح فى يده ووقف على الباب خالد بن الوليد يذب الناس عن الباب حتى خرج رسول الله ﷺ.

حدّثنى جدى عن ابن إدريس عن الواقدى قال: حدثنى على بن محمد ابن عبد الله العمرى عن منصور الحجبى عن أمه صفية بنة شيبة عن برة ابنة أبى تجراه قالت: أنا أنظر إلى رسول الله ﷺ حين خرج من البيت فوقف على الباب فأخذ بعضادتى الباب فأشرف على الناس وفى يده المفتاح ثم جعله فى كمه ﷺ.

وحدّثنى جدى، عن محمد بن إدريس، عن الواقدى، عن أشياخه قالوا: فلما أشرف رسول الله ﷺ وقد لبط بالناس حول الكعبة خطب رسول الله ﷺ خطبته وقد كتبناها فى غير هذا الموضع من كتابنا بغير هذا الإسناد، ثم نزل رسول الله ﷺ ومعه المفتاح فتنحى ناحية من المسجد فجلس وكان قد قبض السقاية من العباس، وقبض المفتاح من عثمان بن طلحة فلما جلس بسط العباس بن عبد المطلب يده فقال: بأبى وأمى يا رسول الله، اجمع لنا الحجابة والسقاية فقال رسول الله ﷺ: أعطيكم ما ترزءون فيه ولا أعطيكم ما ترزءون منه، ثم قال ﷺ: ادع لى عثمان فقام عثمان بن عفان فقال: ادع لى عثمان، فقام عثمان بن طلحة وكان رسول الله ﷺ قال لعثمان بن طلحة يومًا وهو بمكة يدعوه إلى الإسلام ومع عثمان المفتاح فقال ﷺ: لعلك سترى هذا المفتاح يومًا بيدى أضعه حيث شئت، فقال عثمان: لقد هلكت قريش يومئذ إذًا وذلت، فقال رسول الله ﷺ: بل عزت وعمرت يومئذ يا عثمان قال عثمان: فدعانى رسول الله ﷺ بعد أخذه المفتاح فذكرت قوله ﷺ وما كان قال لى فأقبلت فاستقبلته ببشر واستقبلنى ببشر ثم قال: خذوها يا بنى أبى طلحة تالدة خالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم، يا عثمان إن الله

سبحانه وتعالى استأمنكم على بيته فخذوها بأمانة الله عز وجل، قال عثمان: فلما وليت نادانى فرجعت إليه فقال ﷺ ألم يكن الذى قلت لك؟ قال: فذكرت قوله بمكة فقلت: بلى أشهد أنك رسول الله فأعطاه المفتاح والنبى ﷺ مضطبع عليه بثوبه وقال عليه السلام: غيبوه.

* * *

الصلاة فى الكعبة وأين صلى النبى ﷺ منها

حدّثنا أبو الوليد قال: حدثنى جدى قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن أيوب السختيانى، عن نافع عن عبد الله بن عمر قال: أقبل رسول الله ﷺ عام الفتح على ناقة لأسامة بن زيد حتى أناخ بفناء الكعبة ثم دعا بعثمان بن طلحة فقال: ائتنى بالمفتاح، فذهب عثمان، إلى أمه فأبت أن تعطيه إياه فقال: والله لتعطينه أو ليخرجن هذا السيف من صلبى أو ظهرى، قال: فأعطته إياه، فجاء به إلى النبى ﷺ فدفعه إليه ففتح الباب فدخله رسول الله ﷺ، وأسامة بن زيد، وبلال، وعثمان بن طلحة فأجافوا عليهم الباب مليًا ثم فتح الباب وكنت فتى قويًا فبدرت فزحمت الناس فكنت أول من دخل الكعبة، فرأيت بلالاً عند الباب فقلت له: أى بلال، أين صلى رسول الله ﷺ؟ قال: بين العمودين المقدمين وكانت الكعبة على ستة أعمدة قال ابن عمر: فنسيت أسأله كم صلى ﷺ[1].

وحدّثنى جدى قال: حدثنا داود بن عبد الرحمن، عن موسى بن عقبة، عن نافع قال: كان عبد الله بن عمر إذا دخل الكعبة مشى قبل وجهه حين يدخل وجعل الباب قبل ظهره فمشى حتى يكون بينه وبين الجدار الذى قبل وجهه حين تدخل قريبًا من ثلاثة أذرع، فصلى وهو يتوخى المكان الذى

(١) شفاء الغرام ١/ ٢٢٥.

أخبره بلال أن النبى ﷺ صلى فيه وليس على أحد بأس أن يصلى فى أى جوانب البيت شاء[١].

وحدّثنى جدى إبراهيم بن محمد الشافعى، عن مسلم بن خالد، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى حسين، عن عطاء بن أبى رباح والحسن بن أبى الحسن البصرى وطاوس أن النبى ﷺ دخل يوم الفتح البيت فصلى فيه ركعتين ثم خرج وقد لبط بالناس حول الكعبة.

وحدّثنى جدى، عن مسلم بن خالد، عن جعفر بن محمد، عن أبيه أن النبى ﷺ صلى فى الكعبة بين العمودين.

وحدّثنى جدى ويوسف بن محمد بن إبراهيم العطار - يزيد أحدهما على صاحبه فى اللفظ والمعنى واحد - قالا: حدثنا عبد الله بن زَرارة بن مصعب ابن شيبة بن جبير بن شيبة بن عثمان، عن أبيه، عن عبد الحميد بن جبير بن شيبة، عن أخيه شيبة بن جبير بن شيبة بن عثمان قال: حج معاوية بن أبى سفيان وهو خليفة فاشترى دار الندوة من ابن الرُّهَيْن العبدرى بمائة ألف درهم فجاء شيبة بن عثمان فقال له: إن لى فيها حقًا وقد أخذتها بالشفعة، فقال له معاوية: فأحضر المال قال: أروح به إليك العشية. وكان ذلك بعدما صدر الناس من الحج، وقد كان معاوية تهيأ للخروج إلى الشام، فصلى معاوية بالناس العصر، ثم دخل الطواف فطاف بالبيت سبعًا، وصلى خلف المقام ركعتين، ثم انصرف فدخل دار الندوة، فقام إليه شيبة حين أراد أن يدخل الدار فقال: يا أمير المؤمنين قد أحضرت المال، قال: فاثْبُت حتى يأتيك رأيى[٢] فأجِيفَ البابُ وأُرْخِيَ الستر. وركب معاوية من الدار دَوَابَّه[٣] وخرج من الباب الآخر [مسافرًا] ومضى معاوية إلى المدينة [وشيبة لا يشعر

(١) شفاء الغرام ١/٢٢٦.

(٢) كذا فى الأصل، ومثله فى إتحاف الورى، وفى بقية الأصول: «رأىٌ».

(٣) كذا فى الأصل، ومثله فى إتحاف الورى، وفى بقية الأصول: «دُوَابَهٌ».

به] فلم يزل شيبة جالسًا بالباب حتى جاء المؤذن فسلم وأذنه بصلاة المغرب فخرج والى مكة عبد الله بن خالد بن أسيد فقام إليه شيبة فقال: أين أمير المؤمنين؟ قال: قد راح إلى الشام، قال شيبة: والله لا كلمته أبدًا[1].

فلما حج معاوية حجته الثانية بعث إلى شيبة أن يفتح له الكعبة حتى يدخلها ويصلى فيها، قال شيبة بن جبير بن شيبة: فأرسلنى جدى بالمفتاح وأنا غلام حدث وأَبَى شَيْبَةُ بن عثمان أن يفتح له الباب ولم يأته ولم يسلم عليه قال شيبة بن جبير: فلما رآنى معاوية استصغرنى وقال: من أنت يا حبيب؟ قال: قلت أنا شيبة بن جبير قال: لا بأس يابن أخى، غضب أبو عثمان شيبة. مكان شيبة. ففتحت له الكعبة، فلما دخل أجفت عليه الباب ولم يدخل معه الكعبة إلا حاجبه أبو يوسف الحميرى، فبينا معاوية يدعو فى البيت ويصلى إذا بحلقة باب الكعبة تحرك تحريكًا ضعيفًا فقال لى: يا شيبة انظر، هذا عثمان ابن محمد بن أبى سفيان، فإن كان إياه فأدخله، ففتحت الباب فإذا هو هو فأدخلته، ثم حركت الحلقة تحريكًا هو أشد من الأول فقال: انظر، هذا الوليد بن عتبة بن أبى سفيان، فإن كان إياه فأدخله ففتحت فإذا هو هو فأدخلته ثم قال: لأبى يوسف الحميرى: انظر عبد الله بن عمر - فإنى رأيته آنفًا خلف المقام - حتى أسأله أين صلى النبى ﷺ من الكعبة؟ فقام أبو يوسف الحميرى فجاء بعبد الله بن عمر، فقال له معاوية: يأبا عبد الرحمن: أين صلى رسول الله ﷺ عام دخلها؟ قال: بين العمودين المقدمين، اجعل بينك وبين الجدر ذراعين أو ثلاثة فبينا نحن كذلك إذ رُجَّ البابُ رَجًا شديدًا وحركت الحلقة تحريكًا أشد من الأول، فقال معاوية [لشيبة]: انظر. هذا عبد الله بن الزبير، فإن كان إياه فأدخله. فنظرت فإذا هو هو فأدخلته. فأقبل على معاوية وهو مغضب فقال: إيهًا يابن أبى سفيان، ترسل إلى عبد الله بن عمر تسأله عن شىء أنا أعلم به منك ومنه، حسدًا لى ونفاسة علىّ فقال له

---

(١) إتحاف الورى ٢/ ٣٤ - ٣٥، وما بين حاصرتين منه.

معاوية: على رسلك يأبا بكر، فإنما نرضاك لبعض دنيانا فصلى معه وخرج [قال شيبة] وخرجت معه، فدخل زمزم فنزع منها دلوًا فشرب منه وصب باقيه على رأسه وثيابه، ثم خرج فمر بعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه خلف المقام فى حلقة فنظر إليه محدقًا، فقال له عبد الرحمن: ما نظرك إلىّ؟ فوالله لأبى خير من أبيك، ولأمى خير من أمك، ولأنا خير منك. فلم يجبه بشىء ومضى حتى دخل دار الندوة، فلما جلس فى مجلسه قال: عجلوا على بعبد الرحمن بن أبى بكر، فقد رأيته خلف المقام قال: فادخل عليه فقال: مرحبًا يابن الشيخ الصالح قد علمت أن الذى خرج منك آنفًا لجفائنا بك، وذلك لنأى دارنا عن دارك، فارفع حوائجك، فقال: عَلَىَّ من الدين كذا، وأحتاج إلى كذا، وأجز لى كذا، وأقطعنى كذا، فقال معاوية: قد قضيت جميع حوائجك: قال: وَصَلَتْك رَحِمٌ يا أمير المؤمنين، إن كنت لأبرنا بنا وأوصلنا لنا[1].

حدّثنى أحمد بن ميسرة المكى، قال: حدثنا عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبى رواد، عن أبيه قال: حدثنى نافع أن ابن عمر أخبره أن النبى ﷺ دخل الكعبة فجاء مسرعًا لينظر كيف يصنع النبى ﷺ قال: فجاء وعلى الباب زحام شديد فزاحم الناس حتى دخل فقال: وكان يومئذ شابًا قويًا فلما دخل لقى النبى ﷺ خارجًا قال: فسأل بلالاً وكان خلف النبى ﷺ: أين صلى رسول الله ﷺ؟ فأشار له بلال إلى السارية الثانية عند الباب قال: صلى رسول الله ﷺ عن يمينها تقدم عنها شيئًا.

حدّثنى أحمد بن ميسرة عن عبد المجيد بن عبد العزيز، عن أبيه قال: بلغنى أن الفضل بن العباس رضوان الله عليهما دخل مع النبى ﷺ يومئذ فقال: لم أره صلى فيها، فقال أبى: وذلك فيما بلغنى أن النبى ﷺ استعانه لحاجة فجاء وقد صلى ولم يره، قال عبد المجيد: قال أبى: وذلك أنه بعثه

(١) الخبر بطوله لدى ابن فهد فى إتحاف الورى ٢/ ٣٧ ـ ٣٩ وما بين حاصرتين منه.

فجاء بذنوب من ماء زمزم ليطمس به الصور التى فى الكعبة فصلى خلفه فلذلك لم يره صلى.

وحدّثنى جدى ومحمد بن يحيى ومحمد بن سلمة، عن مالك بن أنس، عن نافع، عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ دخل الكعبة هو وأسامة ابن زيد وبلال وعثمان بن طلحة فأغلقها عليه فمكث فيها، قال عبد الله بن عمر: سألت بلالا ماذا صنع رسول الله ﷺ؟ قال: جعل عموداً عن يساره، وعمودين عن يمينه، وثلاثة أعمدة من ورائه وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة ثم صلى.

وحدثنى جدى، عن مسلم بن خالد، عن جعفر بن محمد، عن أبيه أنه رأى على بن حسين يصلى فى الكعبة.

وحدّثنى جدى حدثنا مسلم بن خالد الزنجى، قال: رأيت صدقة بن يسار يدخل البيت كلما فتح فقلت له: ما أكثر دخولك البيت يأبا عبد الله! قال: والله إنى لأجد فى نفسى أن أراه مفتوحًا ثم لأصلى فيه.

حدّثنى جدى قال: أخبرنا مسلم بن خالد الزنجى، عن موسى بن عقبة قال: طفت مع سالم بن عبد الله بن عمر خمسة أسبُع، كلما طفنا سبعًا دخلنا الكعبة فصلينا فيها ركعتين.

وحدّثنى جدى قال: حدثنا داود بن عبد الرحمن العطار، عن ابن جريج عن نافع قال: كان ابن عمر إذا قدم مكة حاجًا أو معتمراً فوجد البيت مفتوحًا لم يبدأ بشىء أول من أن يدخله.

حدّثنى جدى قال: حدثنا سفيان، عن مسعر، عن سماك الحنفى قال: سألت ابن عمر عن الصلاة فى الكعبة فقال: صلّ فيها، فإن رسول الله ﷺ صلى فيها وستأتى آخر فينهاك فلا تطعه - يعنى ابن عباس - فأتيت ابن عباس فسألته فقال: ائتمّ به كله ولا تجعلن شيئًا منه خلفك وستأتى آخر فيأمرك به

فلا تطعه ـ يعنى ابن عمر[١].

حدثنى جدى قال: حدثنا ابن عيينة، عن مسعر، عن سماك الحنفى قال: سمعت ابن عباس يقول: ليس من أمر حجك دخولك البيت.

قال: وحدثنى جدى قال: سمعت سفيان يقول: سمعت غير واحد من أهل العلم يذكرون أن رسول الله ﷺ إنما دخل الكعبة مرة واحدة عام الفتح ثم حج فلم يدخلها[٢].

قال: وحدّثنى جدى قال: حدثنا داود بن عبد الرحمن قال: أوصانى عبد الكريم بن أبى المخارق أن لا أخرج من منزلى يوم الجمعة حتى أصلى ركعتين ولا أدخل الكعبة حتى أغتسل.

وحدّثنى جدى قال حدثنا سالم بن سالم البلخى قال: حدثنا ابن جريج أن عطاء جاء يومًا وقد فاتته الظهر مع الإمام فدخل الكعبة وصلى فى جوفها.

* * *

ما جاء فى رقى بلال الكعبة وأذانه عليها يوم الفتح[٣]

حدّثنا أبو الوليد قال: حدثنى جدى قال: حدثنا عبد الجبار بن الورد المكى عن ابن أبى مليكة قال: لما كان يوم الفتح رقى بلال فأذن على ظهر الكعبة فقال بعض الناس: يا عباد الله، لهذا العبد الأسود أن يؤذن على ظهر الكعبة؟ فقال بعضهم: إن يسخط الله عليه هذا الأمر يغيّره، فأنزل الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ الآية [الحجرات: ١٣].

---

(١) شفاء الغرام ١/ ٢٣٢.

(٢) شفاء الغرام ١/ ٢٣٠.

(٣) انظر فى ذلك: شفاء الغرام ١/ ٢١٢.

وأخبرنى جدى، عن محمد بن إدريس الشافعى، عن الواقدى، عن أشياخه قالوا: جاءت الظهر يوم الفتح فأمر رسول الله ﷺ بلالاً أن يؤذن بالظهر فوق ظهر الكعبة وقريش فوق رءوس الجبال وقد فر وجوههم وتغيبوا خوفًا أن يقتلوا، فمنهم من يطلب الأمان. ومنهم من قد أومن، فلما أذن بلال رفع صوته كأشد ما يكون قال: فلما قال أشهد أن محمداً رسول الله تقول جويرية بنت أبى جهل: قد لعمرى رفع لك ذكرك، أما الصلاة فسنصلى ووالله ما نحب من قتل الأحبة أبداً، ولقد جاء إلى أبى الذى كان جاء إلى محمد من النبوة فردها ولم يرد خلاف قومه، وقال خالد بن أسيد: الحمد لله الذى أكرم أبى فلم يسمع بهذا اليوم، وكان أسيد مات قبل الفتح بيوم. وقال الحارث بن هشام: واثكلاه ليتنى مت قبل أن أسمع بلالاً ينهق فوق الكعبة. وقال الحكم بن أبى العاص: هذا والله الحدث الجليل أن يصبح عبد بنى جمح ينهق على بنية أبى طلحة ـ وقال سهيل بن عمرو: إن كان هذا سخطًا لله فسيغيره الله. وقال أبو سفيان بن حرب: أما أنا فلا أقول شيئًا لو قلت شيئًا لأخبرته هذه الحصاة، فأتى جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ فأخبره خبرهم فأقبل حتى وقف عليهم فقال: أما أنت يا فلان فقلت: كذا، وأما أنت يا فلان فقلت: كذا، وأما أنت يا فلان فقلت: كذا، فقال أبو سفيان: أما أنا يا رسول الله فما قلت شيئًا فضحك رسول الله ﷺ: قال أبو الوليد: وكان بلال لأيتام من بنى السباق ابن عبد الدار أوصى به أبوهم إلى أمية بن خلف الجمحى وأمية الذى كان يعذبه، وكان اسم أخيه كحيل بن رباح.

* * *

باب ما جاء فى الحبشى الذى يهدم الكعبة
وما جاء فيمن أرادها بسوء وغير ذلك

حدّثنا أبو الوليد قال: حدثنى جدى قال: حدثنا عمرو بن يحيى بن سعيد ابن عمرو بن سعيد بن العاص السعيدى، عن جده، عن عبد الله بن عمرو ابن العاص أنه قال: اخرجوا يا أهل مكة قبل إحْدَى الصيلمين؛ قيل: وما الصيلمان؟ قال: ريح سوداء تحشر الذرة والجعل، قيل: فما الأخرى؟ قال: تجيش البحر بمن فيه من السودان ثم يسيلون سيل النمل حتى ينتهوا إلى الكعبة فيخربونها، والذى نفس عبد الله بيده لأنظر إلى صفته فى كتاب الله أفيحج أصيلع قائمًا يهدمها بمسحاته، قيل له: فأى المنازل يومئذ أمثل؟ قال: الشعف - يعنى رءوس الجبال.

وحدّثنى جدى، عن ابن عيينة، عن زياد بن سعد، عن ابن شهاب عن أبى سلمة بن عبد الرحمن، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة.

حدّثنى جدى قال: حدثنا سفيان، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه كان يقول: كأنى به أصيلع أفيدع قائمًا عليها يهدمها بمسحاته، قال مجاهد: فلما هدم ابن الزبير الكعبة جئت أنظر هل أرى الصفة التى قال عبد الله بن عمرو فلم أرها.

وحدّثنى جدى قال: حدثنا ابن عيينة، عن هشام بن حسان، عن حفصة بنت سيرين، عن أبى العالية، عن على بن أبى طالب أنه قال: استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يحال بينكم وبينه، فكأنى أنظر إليه حبشيًا أصيلع أصيمع قائمًا عليها يهدمها بمسحاته.

حدّثنى جدى، قال: حدثنا ابن عيينة، عن أمية بن صفوان بن عبد الله بن

صفوان، عن جده عبد الله بن صفوان، عن حفصة أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ليؤمن هذا البيت حبش حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بأوسطهم وينادى أولهم آخرهم فخسف بهم فلا يبقى إلا الشريد الذى يخبر عنهم، فقال رجل لجدى: اشهد ما كذبت على حفصة ولا كذبت حفصة على رسول الله ﷺ، قال أمية: فلما جاء جيش الحجاج لم نشك أنهم هم حبش.

حدّثنى مهدى بن أبى المهدى قال: حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله مولى بنى هاشم قال: حدثنا سعيد بن سلمة، عن موسى بن جبير بن شيبة، عن أبى أمامة بن سهل، عن رجل من أصحاب النبى ﷺ أنه قال: اتركوا الحبشة ما تركتكم فإنه لا يستخرج كنز الكعبة إلا ذو السويقتين من الحبشة.

وحدثنى جدى قال: حدثنا ابن عيينة عن موسى بن أبى عيسى المدينى قال لما كان تبع بالدف من جُمْدان دَفَّتْ بهم دوابهم وأظلمت عليهم الأرض فدعا الأحبار فسألهم فقالوا: هل هممت لهذا البيت بشىء؟ قال: أردت أن أهدمه، قالوا: فانو له خيراً أن تكسوه، وتنحر عنده ففعل فانجلت عنهم الظلمة قال: وإنما سمى الدف من أجل ذلك.

وحدّثنى جدى قال: حدثنا سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج أخبرنى رجل عن سعيد بن إسماعيل أنه سمع أبا هريرة يحدث أبا قتادة أن رسول الله ﷺ قال: يبايع للرجل بين الركن والمقام ولن يستحل هذا البيت إلا أهله، فإذا استحلوه فلا تسأل عن هلكة العرب، وتأتى الحبش فيخربونه خرابًا لا يعمر بعده أبداً وهم الذين يستخرجون كنزه.

* * *

ما يقال عند النظر إلى الكعبة

حدّثنا جدى قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن إبراهيم بن طريف، عن حميد بن يعقوب، عن ابن المسيب قال: سمعت من عمر بن الخطاب رضى الله عنه كلمة ما بقى أحد ممن سمعها منه غيرى، سمعته يقول حين رأى البيت: اللهم أنت السلام ومنك السلام فحيِّنًا ربنا بالسلام.

حدّثنى جدى قال: حدّثنا مسلم بن خالد الزنجى، عن ابن جريج قال: أخبرنى يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب أنه قال: كان عمر بن الخطاب إذا رأى البيت قال: اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام.

حدّثنى جدى قال: حدثنا مسلم بن خالد، عن ابن جريج قال: حدثت عن مقسم مولى عبد الله بن الحارث عن ابن عباس رضى الله عنه يحدث عن النبى ﷺ أنه قال: ترفع الأيدى فى سبع مواطن، فى بدء الصلاة، وإذا رأيت البيت، وعلى الصفا والمروة، وعشية عرفة وبجمع، وعند الجمرتين، وعلى الميت.

وحدّثنى جدى، عن مسلم بن خالد، عن ابن جريج قال: حدثت عن مكحول أنه قال: كان النبى ﷺ إذا رأى البيت رفع يديه فقال: اللهم زد هذا البيت تشريفًا وتعظيمًا وتكريمًا ومهابة وزد من شرفه وكرمه ممن حجه واعتمره تشريفًا وتعظيمًا وتكريمًا وبرا، ثم يقول الذى حدثنى هذا الحديث وذلك حين دخل النبى ﷺ مكة ابن جريج هو القائل.

حدّثنى جدى، عن سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج قال: أخبرنى غالب بن عبد الله عن سعيد بن المسيب أنه كان إذا نظر إلى البيت قال: اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام.

* * *

ما جاء فى أسماء الكعبة ولم سميت الكعبة
ولئلا يبنى بيت يشرف عليها

حدّثنا أبو الوليد قال: حدثنى جدى، عن سفيان بن عيينة، عن ابن أبى نجيح قال: إنما سميت الكعبة لأنها مكعبة على خلقة الكعب قال: وكان الناس يبنون بيوتهم مدورة تعظيمًا للكعبة، فأول من بنى بيتًا مربعًا حميد بن زهير فقالت قريش: ربع حميد بن زهير بيتًا، إما حياة وإما موتًا[1].

وحدّثنى مهدى بن أبى المهدى قال: حدثنا بشر بن السرى، عن إبراهيم ابن طهمان، عن إبراهيم بن أبى المهاجر عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنه قال: إنما سميت بكة لأنه يجتمع فيها الرجال والنساء.

وحدّثنى مهدى بن أبى المهدى قال: حدثنا بشر بن السرى عن أبى عوانة عن مغيرة، عن إبراهيم قال: بكة موضع البيت، ومكة القرية.

وحدّثنى محمد بن يحيى قال: حدثنا سليم بن مسلم عن ابن جريج أنه كان يقول: إنما سميت بكة لتباك الناس بأقدامهم قدام الكعبة ويقال: إنما سميت بكة لأنها تبك أعناق الجبابرة.

حدّثنى جدى عن ابن عيينة، عن ابن شيبة الحجبى، عن شيبة بن عثمان، أنه كان يشرف فلا يرى بيتًا مشرفًا على الكعبة إلا أمر بهدمه.

وحدثنى جدى عن سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج قال: أخبرنى موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب القرظى قال: إنما سمى البيت العتيق لأنه عتق من الجبابرة، قال عثمان: وأخبرنى يحيى بن أبى أنيسة عن ابن شهاب الزهرى أنه بلغه إنما سمى البيت العتيق من أجل أن الله عز وجل

(١) الجامع اللطيف ص ٣١.

أعتقه من الجبابرة، قال عثمان: وقال مجاهد والسدى: إنما سمى البيت العتيق الكعبة أعتقها الله من الجبابرة فلا يتجبروا فيها إذا طافوا، وكان البيت يدعى «قادسًا» ويدعى «ناذرًا» ويدعى «القرية القديمة» ويدعى «البيت العتيق».

قال عثمان: وأخبرنى النضر بن عربى، عن مجاهد قال: البيت العتيق أعتقه الله عز وجل من كل جبار فلا يستطيع جبار يدعى أنه له، ولا يقال بيت فلان ولا ينسب إلا إلى الله عز وجل.

حدّثنا جدى، عن داود بن عبد الرحمن، عن ابن جريج، عن مجاهد قال: من أسماء مكة[1] هى «مكة» وهى «بكة» وهى «أم رحم» وهى «أم القرى» وهى «صلاح» وهى «كوثى» وهى «الباسة» وأول من تقدم فى صلاح فأسمع أهلها وأول من أذن بمكة حبيب بن عبد الرحمن.

وأخبرنى جدى، عن سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج قال: أخبرنى ابن أبى أنيسة قال: بكة موضع البيت، ومكة هى الحرم كله، قال عثمان: وأخبرنى محمد بن السائب الكلبى فى قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ [آل عمران:٩٦] قال: وهى الكعبة.

قال عثمان: وأخبرنى يحيى بن أبى أنيسة عن ليث بن أبى سليم عن مجاهد قال: سمعته يقول: بكة البيت وما حواليه مكة، وإنما سميت بكة لأن الناس يبك بعضهم بعضًا فى الطواف.

وقال غيره: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ أول مسجد بنى للناس المؤمنين الذى ببكة، وبكة ما بين الجبلين تبك الرجال والنساء لا يضر أحد كيف صلى إن مر أحد بين يديه، ومكة الحرم كله والبيت قبلة أهل المسجد، والمسجد قبلة أهل مكة، والحرم قبلة الناس كلهم مبارك، فيه المغفرة، وتضعيف الأجر فى

---

(١) انظر فى أسماء مكة: شفاء الغرام ١/ ٧٥.

الطواف والصلاة تعدل مائة صلاة وهدى للعالمين قبلة لهم.

وأخبرنى جدى، عن سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج قال: أخبرنى محمد بن أبان، عن زيد بن أسلم قال: بكة الكعبة والمسجد مبارك للناس، ومكة ذو طوى وهو بطن مكة الذى ذكره الله عز وجل فى سورة الفتح.

وحدّثنى جدى، عن ابن أبى يحيى قال: بلغنى أن أسماء مكة: «مكة» «وبكة» «وأم رحم» «وأم القرى» «والباسة» «والبيت العتيق» «والحاطمة» تحطم من استخف بها «والباسة» تبسهم بسًا - أى تخرجهم إخراجًا إذا غشموا وظلموا.

وحدّثنى جدى عن مسلم بن خالد، عن ابن خيثم، عن يوسف بن ماهك قال: كنت جالسًا مع عبد الله بن عمرو بن العاص فى ناحية المسجد الحرام إذ نظر إلى بيت مشرف على أبى قبيس فقال: أبيت ذلك؟ فقلت: نعم فقال: إذا رأيت بيوتها - يعنى بذلك مكة - قد علت أخشبيها وفجرت بطونها أنهارًا، فقد أزف الأمر[1].

قال أبو الوليد: قال جدى: لما بنى العباس بن محمد بن على بن عبد الله ابن عباس داره التى بمكة على الصيارفة حيال المسجد الحرام أمر قوامه أن لا يرفعوها فيشرفوا بها على الكعبة، وأن يجعلوا أعلاها دون الكعبة فتكون دونها إعظامًا للكعبة أن تشرف عليها[2].

قال جدى: فلم تبق بمكة دار لسلطان ولا غيره حول المسجد الحرام تشرف على الكعبة إلا هدمت أو خربت إلا هذه الدار فإنها على حالها إلى اليوم[3].

---

(١) الجامع اللطيف ص٣١.
(٢) أورد ابن فهد بنصه فى حسن القرى ص٩ نقلا عن المصنف.
(٣) حسن القرى ص ٩.

ما جاء فى قول الله عز وجل:
﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾

حدّثنا أبو الوليد قال: وأخبرنى جدى عن سعيد بن سالم، عن عثمان ابن ساج، عن محمد بن السائب الكلبى قال: أما مثابة للناس فإن الناس لا يقضون منه وطرًا يثوبون إليه كل عام، وأما أمنًا فإن الله عز وجل جعله أمنًا من دخله كان آمنًا ومن أحدث حدثًا فى بلد غيره ثم لجأ إليه فهو آمن إذا دخله ولكن أهل مكة لا ينبغى لهم أن يكنوه، ولا يكسوه، ولا يأووه، ولا يبايعوه ولا يطعموه، ولا يسقوه، فإذا خرج أقيم عليه الحد، ومن أحدث فيه حدثًا أخذ بحدثه.

* * *

ما جاء فى قول الله سبحانه:
﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ ﴾

حدّثنا أبو الوليد قال: حدّثنى جدى، عن سعيد بن سالم، عن عثمان ابن ساج قال: أخبرنى ابن جريج قال: ترك النبى ﷺ القلائد حين جاء الإسلام.

قال عثمان: وأخبرنى النضر بن عربى، عن عكرمة قال: قيامًا للناس نظامًا لهم والشهر الحرام والهدى والقلائد قال: كان ذلك فى الجاهلية قيامًا من أجل من ذلك شيئًا عجلت له العقوبة على إحلاله.

قال عثمان: أخبرنى محمد بن السائب الكلبى قال: قيامًا للناس أمنًا للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد، كل هذا كان أمنًا للناس فى

جاهليتهم ومن بعدما أسلموا.

قال عثمان: قال الضحاك: قيامًا للناس قيامًا لدينهم ومعالم حجهم.

قال عثمان: وأخبرنى يحيى بن أبى أنيسة قال: جعل الله الكعبة البيت الحرام قيامًا للناس وما ذكر من الشهر الحرام والهدى والقلائد حياة لهم فى دينهم ومعايشهم لا يستحلوا ذلك وأن يأمنوا فى ذلك.

قال عثمان: وقال السدى: قيامًا للناس هو قيام لدينهم وحجهم والشهر الحرام قيامًا للهدى والقلائد لا يستحلون فيه.

* * *

ما جاء فى تطهير إبراهيم وإسماعيل البيت للطائفين والقائمين والركع السجود وما جاء فى ذلك

حدّثنا أبو الوليد قال: حدثنى جدى، عن سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، عن ابن جريج قال: قال عطاء: عن عبيد بن عمير الليثى قال: طهرا بيتى من الآفات والريب، قال ابن جريج: الآفات الشرور والريب، قال عثمان: وأخبرنى محمد بن السائب الكلبى أن الله عهد إلى إبراهيم عليه السلام إذ بنى البيت أن طهره من الأوثان فلا ينصب حوله وثن وأما الطائفون فمن اعتز به من بلد غيره وأما العاكفون والقائمون فأهل البلد، والركع السجود فأهل الصلاة، قال السدى: طهرا بيتى: يعنى أمنا بيتى.

قال عثمان: أخبرنى ابن إسحاق أن الله عز وجل لما أمر إبراهيم بعمارة البيت الحرام ورفع قواعده وتطهيره للطائفين والعاكفين عنده والركع السجود وهو يومئذ بالبيت المقدس من إيليا وإسحاق فيما يذكرون يومئذ وصيف خرج إبراهيم حتى قدم مكة وإسماعيل قد نكح النساء.

وحدّثنى جدى، عن ابن عيينة، عن سفيان بن سعيد الثورى، عن جابر الجعفى، عن مجاهد وعطاء فى قوله تعالى: ﴿ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ﴾ [الحج:٢٥] قال: العاكف فيه: أهل مكة، والبادى: الغرباء سواء هم فى حرمته.

* * *

ما جاء فى أول من استصبح حول الكعبة وفى المسجد الحرام بمكة وليلة هلال المحرم

حدّثنا أبو الوليد قال: حدّثنا إسحاق بن نافع يقال له الجارف - وليس هو الخزاعى الذى حدث عنه أبو الوليد - عن ابن بزيع ابن شموءل قال: سمعت مسلم بن خالد الزنجى يقول: بلغنا أن أول من استصبح لأهل الطواف فى المسجد الحرام عقبة بن الأزرق بن عمرو، وكانت داره لاصقة بالمسجد الحرام من ناحية وجه الكعبة والمسجد يومئذ ضيق ليس بين جدر المسجد وبين المقام إلا شىء يسير فكان يضع على حرف داره، وجدر داره وجدر المسجد واحد، مصباحًا كبيراً يستصبح فيه فيضىء له وجه الكعبة والمقام وأعلى المسجد قال: وأول من أجرى للمسجد زيتًا وقناديل معاوية بن أبى سفيان رحمة الله عليه.

حدّثنى جدى قال: وحدثنى عبد الرحمن بن أبى الحسن بن القاسم بن عقبة بن الأزرق عن أبيه قال: أول من استصبح لأهل الطواف وأهل المسجد الحرام جدى عقبة بن الأزرق بن عمرو الغسانى كان يضع على حرف داره مصباحًا عظيمًا فيضىء لأهل الطواف وأهل[1] المسجد وكانت داره لاصقة بالمسجد، والمسجد يومئذ ضيق إنما جدراته جدرات دور الناس قال: فلم يزل يضع ذلك المصباح على حرف داره حتى كان خالد بن عبد الله القسرى

(١) كذا فى ب. وفى الأصل، أ: «أعلى».

فوضع مصباح زمزم مقابل الركن الأسود فى خلافة عبد الملك بن مروان، فمنعنا أن نضع ذلك المصباح فرفعناه، قال: فدخلت دارنا تلك فى المسجد حين وسع، دخل بعضها حين وسع ابن الزبير والمسجد ودخلت بقيتها فى توسيع المهدى الأول.

حدّثنى جدى قال حدثنا محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: سمعت عطاء بن أبي رباح يقول: كان عمر بن عبد العزيز يأمر الناس ليلة هلال المحرم يوقدون النار فى فجاج مكة ويضعون المصابيح للمعتمرين مخافة السرق، قال أبو الوليد: فلم يزل مصباح زمزم على عمود طويل مقابل الركن الأسود الذى وضعه خالد بن عبد الله القسرى فلما كان محمد بن سليمان على مكة فى خلافة المأمون فى سنة ست عشرة ومائتين، وضع عمودًا طويلاً مقابله بحذاء الركن الغربى، فلما ولى مكة محمد بن داود جعل عمودين طويلين أحدهما بحذاء الركن اليمانى والآخر بحذاء الركن الشامى، فلما ولى هارون الواثق بالله أمر بعمد من شبه طوال عشرة فجعلت حول الطواف يستصبح عليها لأهل الطواف، وأمر بثمان ثريات كبار يستصبح فيها وتعلق فى المسجد الحرام فى كل وجه اثنتان.

وحدّثنى جدى قال: أول من استصبح بين الصفا والمروة خالد بن عبد الله القسرى فى خلافة سليمان بن عبد الملك فى الحج وفى رجب، قال أبو الوليد: قال جدى: أول من أثقب النفاطات بين الصفا والمروة فى ليالى الحج وبين المأزمين - مأزمى عرفة - أمير المؤمنين أبو إسحاق المعتصم بالله الطاهر بن عبد الله بن طاهر سنة حج فى سنة تسع عشرة ومائتين فجرى ذلك إلى اليوم.

قال الخزاعى: أخبرنى أبو عمران موسى بن منويه قال: أخبرنى الثقة، أن هذه العمد الصفر كانت فى قصر بابك الخرمى بناحية إرْمينية كانت فى صحن داره يستصبح فيها فلما خذله الله وقتل بابك وأتى برأسه إلى سامرا وطيف به

فى البلدان وكان قد قتل خلقًا عظيمًا من المسلمين وأراح الله منه، هدمت داره وأخذت هذه الأعمدة التى حول البيت الحرام فى الصف الأول، ومنها فى دار الخلافة أربعة أعمدة وبعث بهذه الأعمدة المعتصم بالله أمير المؤمنين فى سنة مائتين ونيف وثلاثين، فهذا خبر الأعمدة الصفر التى حول الكعبة وهى عشرة أساطين، وكانت أربع عشرة أُسْطُوَانة فأربع فى دار الخلافة بسامرا.

* * *

ذكر ما كان عليه ذرع الكعبة حتى صار إلى ما هو عليه اليوم من خارج وداخل

قال أبو الوليد: كان إبراهيم خليل الرحمن بنى الكعبة البيت الحرام فجعل طولها فى السماء تسعة أذرع وطولها فى الأرض ثلاثين ذراعًا وعرضها فى الأرض اثنين وعشرين ذراعًا. وكان غير مسقف فى عهد إبراهيم ثم بنتها قريش فى الجاهلية والنبى ﷺ يومئذ غلام فزادت فى طولها فى السماء تسعة أذرع أخرى، فكانت فى السماء ثمانية عشر ذراعًا وسقفوها ونقصوا من طولها فى الأرض ستة أذرع وشبرًا فتركوها فى الحجر واستقصرت دون قواعد إبراهيم وجعلوا ربضًا فى بطن الكعبة وبنوا عليه حين قصرت بهم النفقة وحجروا الحجر على بقية البيت لأن يطوف الطائف من ورائه، فلم يزل على ذلك حتى كان زمن عبد الله بن الزبير فهدم الكعبة وردها إلى قواعد إبراهيم، وزاد فى طولها فى السماء تسعة أذرع أخرى على بناء قريش، فصارت فى السماء سبعة وعشرين ذراعًا، وأوطأ بابها بالأرض، وفتح فى ظهرها بابًا آخر مقابل هذا الباب، وكانت على ذلك حتى قتل ابن الزبير وظهر الحجاج وأخذ مكة، فكتب إليه عبد الملك بن مروان يأمره أن يهدم ما كان ابن الزبير زاد من الحجر فى الكعبة ففعل وردها إلى قواعد

قريش التى استقصرت فى بطن البيت، وكبسها بما فضل من حجارتها، وسد بابها الذى فى ظهرها، ورفع بابها هذا الذى فى وجهها والذى هى عليه اليوم من الذرع.

* * *

باب ذرع البيت من خارج[١]

طولها فى السماء سبعة وعشرون ذراعًا، وذرع طول وجه الكعبة من الركن الأسود إلى الركن الشامى خمسة وعشرون ذراعًا، وذرع دبرها من الركن اليمانى إلى الركن الغربى خمسة وعشرون ذراعًا، وذرع شقها اليمانى من الركن الأسود إلى الركن اليمانى عشرون ذراعًا، وذرع شقها الذى فيه الحجر من الركن الشامى إلى الركن الغربى أحد وعشرون ذراعًا، وذرع جميع الكعبة مكسرًا أربعمائة ذراع وثمانية عشر ذراعًا، وذرع نفذ جدار الكعبة ذراعان، والذراع أربعة وعشرون إصبعًا، والكعبة لها سقفان أحدهما فوق الآخر.

* * *

ذرع الكعبة من داخلها[٢]

قال أبو الوليد: ذرع طول الكعبة فى السماء من داخلها إلى السقف الأسفل مما يلى باب الكعبة ثمانية عشر ذراعًا ونصف، وطول الكعبة فى السماء إلى السقف الأعلى عشرون ذراعًا، وفى سقف الكعبة أربع روازن

(١) انظر فى ذلك: شفاء الغرام ١/ ١٧٦.
(٢) انظر فى ذلك: شفاء الغرام ١/ ١٧٦.

نافذة من السقف الأعلى إلى السقف الأسفل للضوء، وعلى الروازن رخام كان ابن الزبير أتى به من اليمن من صنعاء يقال له البلق، وبين السقفين فرجة، وذرع التحجير الذى فوق ظهر سطح الكعبة ذراعان ونصف وذرع عرض جدر التحجير كما يدور ذراع، وفى التحجير ملبن مربع من ساج فى جدرات سطح الكعبة كما يدور، وفيه حلق حديد تشد فيها ثياب الكعبة، وكانت أرض سطح الكعبة بالفسيفساء ثم كانت تكف عليهم إذا جاء المطر، فقلعته الحجبة بعد سنة المائتين وشيدوه بالمرمر المطبوخ والجص، شيد به تشييدًا، وميزاب الكعبة فى وسط الجدر الذى يلى الحجر بين الركن الشامى والركن الغربى يسكب فى بطن الحجر، وذرع طول الميزاب أربعة أذرع، وسعته ثمانية أصابع فى ارتفاع مثلها، والميزاب ملبس صفايح ذهب داخله وخارجه، وكان الذى جعل عليه الذهب الوليد بن عبد الملك، وذرع مسيل الماء فى الجدر ذراع وسبعة عشر إصبعًا، وذرع داخل الكعبة من وجهها من الركن الذى فيه الحجر الأسود إلى الركن الشامى وفيه باب الكعبة تسعة عشر ذراعًا وعشر أصابع، وذرع ما بين الركن الشامى إلى الركن الغربى وهو الشق الذى يلى الحجر خمسة عشر ذراعًا وثمانية عشر إصبعًا، وذرع ما بين الركن الغربى إلى الركن اليمانى وهو ظهر الكعبة عشرون ذراعًا وستة أصابع، وذرع ما بين الركن اليمانى إلى الركن الأسود ستة عشر ذراعًا وستة أصابع، وفى الكعبة ثلاثة كراسى من ساج طول كل كرسى فى السماء ذراع ونصف وعرض كل كرسى منها ذراع وثمانية أصابع فى مثلها، والكراسى ملبسة ذهبًا وفوق الذهب ديباج وتحت الكراسى رخام أحمر بقدر سعة الكراسى، وطول الرخام فى السماء سبعة أصابع، وعلى الكراسى أساطين متفرقة ملبسة، الأسطوانة الأولى التى على باب الكعبة ثلثها ملبس صفائح ذهب وفضة وبقيتها مموهة وذرع غلظها ذراعان ونصف وفوق الأساطين كراسى ساج مربعة منقوشة بالذهب والزخرف وعلى الكراسى ثلاث جوايز

ساج أطرافها على الجدر الذى فيه باب الكعبة، وأطرافها الأخرى على الجدر الذى يستقبل باب الكعبة وهو دبرها، والجوايز منقوشة بالذهب والزخرف وسقف الكعبة منقوش بالذهب والزخرف، ويدور تحت السقف إفريز منقوش بالذهب والزخرف، وتحت الإفريز طوق من فسيفسا.

* * *

ذرع ما بين الأساطين

وذرع ما بين الجدر الذى يلى الركن الأسود والركن اليمانى إلى الأسطوانة الأولى أربعة أذرع ونصف، وذرع ما بين الأسطوانة الأولى إلى الأسطوانة الثانية أربعة أذرع ونصف، وذرع ما بين الأسطوانة الثانية إلى الأسطوانة الثالثة أربعة أذرع ونصف وذرع ما بين الأسطوانة الثالثة إلى الجدر الذى يلى الحجر ذراعان وثمانية أصابع وبين الأساطين من المعاليق سبعة وعشرون معلاقًا، والمعاليق فى ثلثى الأساطين والمعاليق فى عمد حديد وسلاسل المعاليق فضة، وبين الجدر الذى بين الحجر الأسود والركن اليمانى إلى الأسطوانة الأولى أحد عشر معلاقًا، ومن الأسطوانة الأولى إلى الأسطوانة الثانية ثمانية معاليق فيها تاجان، ومن الأسطوانة الثانية إلى الأسطوانة الثالثة ثمانية وبقيتها مموهة، ثم أمرت السيدة أم أمير المؤمنين فى سنة عشر وثلاثمائة غلامها لؤلؤًا بأن يلبسها كلها ذهبًا، وهذه المعاليق على ما وصفنا إلى سنة تسع وثلاثين ومائتين.

* * *

صفة الروازن التى للضوء فى سقف الكعبة

قال أبو الوليد: وفى سقف الكعبة أربع روازن، منها: روزنة حيال الركن الغربى، والثانية حيال الركن اليمانى، والثالثة حيال الركن الأسود، والرابعة حيال الأسطوانة الوسطى، وهى التى تلى الجدر بين الركن الأسود والركن اليمانى، والروازن مربعة فى أعلاها رخام يمانى يدخل منه الضوء إلى بطن الكعبة.

* * *

صفة الجزعة وذرعها

قال أبو الوليد: وفى الجدر الذى مقابل باب الكعبة وهو دبرها جزعة سوداء مخططة ببياض وذرع سعتها اثنا عشر إصبعًا فى مثلها وهى مدورة، وحولها طوق ذهب عرضه ثلاث أصابع وهى تستقبل من دخل من باب الكعبة وارتفاعها من بطن الكعبة ستة أذرع ونصف يقال: إن النبى ﷺ صلى مقابل موضعها، جعلها حيال حاجبه الأيمن، قال أبو الوليد: وهذه الجزعة أرسل بها الوليد بن عبد الملك فجعلت هناك.

* * *

صفة الدرجة

وفى الكعبة إذا دخلتها على يمينك درجة يظهر عليها إلى سطح الكعبة وهى مربعة مع جدرى الكعبة فى زاوية الركن الشامى منها داخل فى الكعبة

من جدرها الذى فيه بابها ثلاثة أذرع ونصف، وذرع الجدر الآخر الذى يلى الحجر ثلاثة أذرع ونصف، وذرع باب الدرجة فى السماء ثلاثة أذرع ونصف، وذرع عرضه ذراع ونصف، وبابها ساج فرد أعسر وهو فى حد جدر الكعبة وكان ساجه باديًا ليس عليه ذهب ولا فضة، حتى أمر به أمير المؤمنين المتوكل على الله فضربت على الباب صفائح من فضة، وجعل له غلق من فضة فى المحرم سنة سبع وثلاثين ومائتين، وعلى الباب ملبن ساج ملبس فضة، وفى الباب حلقة فضة، وعلى الباب قفل من حديد فى الملبن الذى يلى جدار الكعبة وباب الدرجة عن يمين من دخل الكعبة مقابله، وطول الدرجة فى السماء من بطن الكعبة عشرون ذراعًا، وعدد أضفارها ثمانية وأربعون ضفرًا وفيها ثمان مستراحات وعرض الدرجة ذراع وأربعة أصابع، وفى الدرجة ثمانى كواء داخلة فى الكعبة منها أربع حيال الباب، وأربع حيال الأسطوانة التى تلى الجدر الذى يلى الحجر، وعلى بابها الذى يلى سطح الكعبة باب ساج طوله ذراعان ونصف وعرض ذلك الباب ذراعان.

* * *

صفة الإزار[1] الرخام الأسفل الذى فى بطن الكعبة

وبطن الكعبة موزرة مدارة من داخلها برخام أبيض وأحمر وأخضر وألواح ملبسة ذهبًا وفضة وهما إزاران، إزار أسفل فيه ثمانية وثلاثون لوحًا طول كل لوح ذراعان وثمانية أصابع من ذلك الألواح البيض أحد وعشرون لوحًا منها فى الجدر الذى بين الركن الغربى والركن اليمانى سبعة ألواح، ومنها فى الجدر الذى بين الركن اليمانى والركن الأسود ستة ألواح، ومنها فى الملتزم لوحان، ومنها فى الجدر الذى فيه باب الكعبة ثلاثة ألواح ومنها فى الجدر

(١) إِزار الحائط: ما يلصق به بأسفله للتقوية أو الصيانة أو الزينة.

الذى يلى الحجر أربعة ألواح، وعدد الألواح الخضر تسعة عشر لوحًا، منها فى الجدر الذى بين الركن الغربى والركن اليمانى أربعة، ومنها فى الجدر الذى بين الركن اليمانى والحجر الأسود أربعة، ومنها فى الجدر الذى فيه الباب خمسة، ومنها فى الملتزم لوحان، ومنها فى الجدر الذى يلى الحجر أربعة.

* * *

صفة الإزار الأعلى

قال أبو الوليد: وفى الإزار الأعلى الثانى، اثنان وأربعون لوحًا طول كل لوح أربعة أذرع وأربع أصابع.

الألواح البيض من ذلك عشرون لوحًا منها فى الجدر الذى بين الركن اليمانى والركن الأسود خمسة، ومنها لوح فى الملتزم، ومنها فى الجدر الذى فيه الباب خمسة، ومنها فى الجدر الذى يلى الحجر تسعة.

ومن الألواح الحمر تسعة، منها فى الجدر الذى بين الركن الغربى والركن اليمانى ثلاثة، ومنها فى الجدر الذى بين الركن اليمانى والركن الأسود لوحان، ومنها فى الجدر الذى فيه الباب لوحان، ومنها فى الجدر الذى يلى الحجر لوحان.

ومن الألواح الخضر ستة، منها فى الجدر الذى بين الركن الغربى والركن اليمانى لوحان، ومنها فى الجدر الذى بين الركن اليمانى والركن الأسود لوحان، ومنها فى الجدر الذى يلى الحجر لوحان.

ومن الألواح الملبسة الذهب والفضة التى فى الأركان ستة ألواح طول كل لوح منها أربعة أذرع وأربع أصابع وعرض كل لوح منها ذراع وأربعة أصابع منها لوح فى طرف زاوية الجدر الذى يلى الدرجة وهو الشامى ولوح فى

زاوية الركن الغربى، وهو مما يلى الحجر، وفى طرف الجدر الذى بين الركن الغربى والركن اليمانى لوحان، وفى طرف الجدر الذى بين الركن اليمانى والركن الأسود لوح وهو مما يلى الركن اليمانى، وفى الملتزم لوح وفى الجدر الذى على يمينك إذا دخلت الكعبة لوح.

* * *

صفة المسامير التى فى بطن الكعبة

قال أبو الوليد: وفى الألواح من المسامير ستة عشر مسمارًا، منها فى الألواح التى تلى الملتزم ثلاثة، وفى الألواح التى بين الركن اليمانى والركن الأسود وهى التى تلى الركن اليمانى ثلاثة، ومنها مسمار فى بطن الكعبة على ثلاثة أذرع ونصف، وفى بقية الألواح مسمار أو مسماران، والمسامير مفضضة مقبوة منقوشة تدوير كل مسمار سبع أصابع، والمسامير من بطن الكعبة على أربعة أذرع ونصف وفوق الإزار إزار من رخام منقوش مدار فى جوانب البيت كله وفى نقشه حبل غير منقوش بذهب، وبين هذا الإزار الذى فيه الحبل إزار صغير كما يدور البيت منقوش عليه بماء الذهب من تحت الإفريز الذى تحت السقف، والإفريز من فسيفسا منقوش واصل بالسقف.

* * *

صفة فرش أرض البيت بالرخام

قال أبو الوليد: وأرض الكعبة مفروشة برخام أبيض وأحمر وأخضر، عدد الرخام ست وثلاثون رخامة، منها أربع خضر بين الأساطين وبين جدرى الكعبة، عرض كل رخامة ذراع وأربع أصابع، وعرضهن من عرض كراسى

الأساطين ومن الجدر الذى فيه الباب باب الكعبة إلى الرخام الأخضر الذى بين الأساطين ست عشرة رخامة، منها ست بيض وسبع حمر، طولهن سبعة أذرع وخمسة عشر إصبعًا، وبين جدار الدرجة وبين الرخام الأخضر ثلاث رخامات، منها اثنتان بيضاوان وواحدة حمراء، طول كل رخامة منها أربعة أذرع ونصف، وست عشرة رخامة ثمان بيض وثمان حمر، طول كل رخامة سبعة أذرع وتسع أصابع، وأطرافهن فى حد الرخام الأخضر الذى بين الأساطين والجدرين وأطرافهن فى الجدر الذى يستقبل باب الكعبة منها رخامة بيضاء عرضها ذراعان وإصبعان، ذكر أن النبى ﷺ صلى فى موضعها، وهى الثالثة من الرخام البيض من حد الركن اليمانى، وطرفها فى الأسطوانة الأولى من حيال باب الكعبة، وعند عتبة باب الكعبة رخامتان خضراء وحمراء مفروشتان.

* * *

ذكر ما غير من فرش أرض الكعبة

قال أبو الوليد: وذلك إلى آخر شهور سنة أربعين ومائتين ومحمد المنتصر بالله ولى عهد المسلمين يومئذ يلى أمر مكة والحجاز وغيرهما، فكتب والى مكة إليه: أنى دخلت الكعبة فرأيت الرخام المفروش به أرضها قد تكسر وصار قطعًا صغارًا، ورأيت ما على جدراتها من الرخام قد تزايل تَهَنْدُمُه وَوهِى عن مواضعه وأحضرت من فقهاء أهل مكة وصلحائهم جماعة وشاورتهم فى ذلك، فاجتمع ظنهم بأن ما على ظهر الكعبة من الكسوة قد أثقلها وَوَهَّنها، ولم يأمنوا أن يكون ذلك قد أضر بجدراتها، وأنها لو جردت أو خفف عنها بعض ما عليها من الكسوة كان أصلح وأوفق[1] لها فأنهيت

---

(١) كذا فى الأصل، ومثله فى أ، وإتحاف الورى. وفى ب: «أوثق».

ذلك إلى أمير المؤمنين ليرى رأيه الميمـون فيه، ويأمر فى ذلك بما يوفقه الله عز وجل ويسدده له، وكان فرش أرض الكعبة قد تثلم منه شىء كثير شائن[١].

وكتب صاحب البريد إلى أمير المؤمنين جعفر المتوكل على الله بمثل ما كتب به العامل بمكة من ذلك، وواتر[٢] كتبهما به وتماليا فى ذلك[٣].

وذكر فى بعض كتبهما أن أمطار الخريف قد كثرت، وتواترت بمكة ومنى فى هذا العام، فهدمت منازل كثيرة، وأن السيل حمل فى مسجد رسول الله ﷺ، وإبراهيم نبى الله ﷺ، المعروف بمسجد الخيف، فهدم سقوفه وعامة جدراته، وذهب بما فيه من الحصباء فأعراه، وهدم من دار الإمارة بمنى وما فيها من الحجر جدرات وعدة أبيات، وهدم العقبة المعروفة بجمرة العقبة، وبركة الياقوتة وبرك المأزمين، والحياض المتصلة بها، وبركة العيرة، وإن العمل فى ذلك إن لم يتدارك ويبادر بإصلاحه كان على سبيل زيادة، وهو عمل كثير لا يُفْرَغُ منه إلا فى أشهر كثيرة[٤].

ورفع جماعة من الحجبة إلى أمير المؤمنين المتوكل على الله رقعة ذكروا فيها: أن ما كَتَبَ به العاملُ بمكة من ذكر الرخام المتكسر فى أرض الكعبة لم يزل على ما هو عليه، وأن ذلك لكثرة وطء من يدخل الكعبة من الحاج والمعتمرين والمجاورين وأهل مكة، وأنه لا يرزؤها ولا يضرها، وأنه ليس فى جدراتها من الرخام المتزايل، ولا على ظهرها من الكسوة ما يخاف بسببه وَهَنٌ ولا غيره، وأن زاويتين من زوايا الكعبة من داخلها ملبس ذهبًا، وزاويتين فضة، وأن ذلك لو كان ذهبًا كله كان أحسن وأزين، وأن قطعة فضة

---

(١) إتحاف الورى ٢/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥.

(٢) كذا فى الأصل، ومثله فى إتحاف الورى وفى أ، ب: «وتواترت».

(٣) إتحاف الورى ٢/ ٣٠٥.

(٤) إتحاف الورى ٢/ ٣٠٥.

مركبة على بعض جدرات الكعبة شبه المنطقة، فوق الإزار الثانى من الرخام تحت الإزار الأعلى من الرخام المنقوش المذهب فى زيق فى الوسط فيه الجزعة التى تستقبل من توخى مصلى رسول الله ﷺ، وتلك القطعة فى الزيق مبتدأ منطقة كانت عملت فى خلافة محمد بن الرشيد، عملها سالم ابن الجراح أيام عمل الذهب على باب الكعبة، ثم جاء خلع محمد قبل أن يتم فوقف عن عملها، ولو كان بدل تلك القطعة منطقة فضة مركبة فى أعلى إزار الكعبة فى تربيعها كان أبهى وأحسن، وأن الكرسى المنصوب المقعد فيه مقام إبراهيم عليه السلام ملبس صفايح من رصاص، ولو عمل مكان الرصاص فضة كان أشبه به وأحسن وأوفق له[1].

فأمر أمير المؤمنين المتوكل على الله بعمل ذلك أجمع، فوجه رجلاً من صناعه يقال له: إسحاق بن سلمة الصائغ شيخ له معرفة بالصناعات ورفق وتجارب ـ ووجه معه من الصناع من تخيرهم إسحاق بن سلمة من صناعات شتى من الصوغ والرخاميين وغيرهم من الصناع نيفًا وثلاثين رجلاً، ومن الرخام الألواح الثخان ليشق كل لوح منها بمكة لوحين، مائة لوح، ووجه معه بذهب وفضة وآلات لشق الرخام ولعمل الذهب والفضة.

ورفع الحجبة أيضًا رقعة إلى أمير المؤمنين يذكرون له أن العامل بمكة إن تسلط على أمر الكعبة أو كانت له مع إسحاق بن سلمة فى ذلك يد لم يؤمن أن يعمد إلى ما كان صحيحًا أو يتعلل فيه فيخربه أو يهدمه، ويحدث فى ذلك أشياء لا تؤمن عواقبها يطلب بذلك إضرارهم وأنهم لا يأمنون ذلك منه[2].

فأمر أمير المؤمنين بكتاب إلى العامل بمكة فى جواب ما كان هو وصاحب البريد كتبا به، أن أمير المؤمنين قد أمر بتوجيه إسحاق بن سلمة الصائغ

---

(١) كذا فى الأصل، أ: ومثله فى إتحاف الورى. وفى ب: «وأوثق».

(٢) إتحاف الورى ٢/ ٣٠٧.

للوقوف على تلك الأعمال، وَرَدَّ الأمر فيها إلى إسحاق ليعمل بما فيه الصلاح والإحكام إن شاء الله تعالى، فقدم إسحاق بن سلمة الصائغ بمن معه من الصناع والذهب والفضة والرخام والآلات مكة لليلة بقيت من رجب سنة إحدى وأربعين ومائتين، ومعه كتاب منشور مختوم فى أسفله بخاتم أمير المؤمنين إلى العامل بمكة وغيره من العمال بمعاونة إسحاق بن سلمة ومكانفته على ما يحتاج إليه من ترويج هذه الأعمال وأن لا يجعلوا على أنفسهم فى مخالفة ما أمروا به من ذلك سبيلا[1].

فدخل إسحاق بن سلمة الكعبة فى شعبان، بعد قدومه مكة بأيام، ودخل معه العامل بمكة، وصاحب البريد، وجماعة من الحجبة، وناس من أهل مكة من صلحائهم من القرشيين، وجماعة من الصناع الذين قدم بهم معه، وأحضر منجنيقًا طويلاً أَلْصقه إلى جانب الجدر الذى يقابل من دخل الكعبة، وصعد عليه إسحاق بن سلمة ومعه خيط وسابورة[2]، فأرسل الخيط من أعلى المنجنيق، وهو قائم عليه، ثم نزل وفعل ذلك بجدراتها الأربعة فوجدها كأصح ما يكون من البناء وأَحْكَمه، فسأل الحجبة هل يجوز التكبير داخل الكعبة؟ فقالوا: نعم فكبّر وكبَّر من حضره داخل الكعبة وكبر الناس ممن فى الطواف وغيرهم من خارجها، وخر من فى داخل الكعبة جميعًا سجداً لله وشكرًا، وقام إسحاق بن سلمة بين بابى الكعبة، فأشرف على الناس وقال: يا أيها الناس احمدوا الله تعالى على عمارة بيته، فإنا لم نجد فيه من الحدث مما كتب به إلى أمير المؤمنين شيئًا، بل وجدنا الكعبة وجدراتها وإحكام بنائها وإتقانها على أتقن ما يكون[3].

وابتدأ إسحاق بن سلمة عمل الذهب والفضة والرخام فى الدار المعروفة

(١) إتحاف الورى ٢/ ٣١٥.

(٢) السابورة: المسبار الذى يسبر ويقاس به الغور ونحوه، ولعلها الآلة التى يضبط بها استقامة الجدران واستواؤها من أعلاها إلى أسفلها.

(٣) إتحاف الورى ٢/ ٣١٥.

بخالصة، فى دار الخزانة عند الخياطين[١].

وصار إلى منى فأمر بعمل ضفيرة تتخذ ليرد سيل الجبل عن المسجد ودار الإمارة، فاتخذ هناك ضفيرة عريضة مرتفعة السمك وأحكمها بالحجارة والنورة والرماد، فصار ما ينحدر من السيل يتسرب فى أصل الضفيرة من خارجها، ويخرج إلى الشارع الأعظم بمنى، ولا يدخل المسجد ولا دار الإمارة منه شىء، وصار ما بين الضفيرة والمسجد ـ وهو عن يسار الإمام ـ رفقًا للمسجد وزيادة فى سعته، ثم هدم المسجد وما كان من دار الإمارة مستهدمًا وأعاد بناءه، ورَمَّ ما كان مُسْتَرَمًا وأحكم العقبة وجدراتها، وأصلح الطريق التى سلكها رسول الله ﷺ من منى إلى الشعب ـ ومعه العباس بن عبد المطلب ـ الذى يقال له: شعب الأنصار الذى أخذ فيه رسول الله ﷺ البيعة على الأنصار[٢].

وكانت هذه الطريق قد عفت ودرست، فكانت الجمرة زائلة عن موضعها، أزالها جهال الناس برميهم الحصى، وغفل عنها حتى أزيحت عن موضعها شيئًا يسيرًا منها من فوقها، فردها إلى موضعها الذى لم تزل عليه، وبنى من ورائها جدارًا أعلاه عليها، ومسجدًا متصلاً بذلك الجدار لئلا يصل إليها من يريد الرمى من أعلاها، وإنما السنة لمن أراد الرمى أن يقف من تحتها من بطن الوادى، فيجعل مكة عن يساره ومنى عن يمينه، ويرمى كما فعل رسول الله ﷺ وأصحابه من بعده، وفرغ من البرك وأحكم عملها[٣].

وعمل الفضة على كرسى المقام، مكان الرصاص الذى عليه، واتخذ له قبة من خشب الساج مَقْبُوَّة الرأس بضباب لها من حديد، ملبسة الداخل بالأدم، وكانت القبة قبل ذلك مسطحة[٤].

(١) إتحاف الورى ٢/ ٣١٦.
(٢) إتحاف الورى ٢/ ٣١٦.
(٣) إتحاف الورى ٢/ ٣١٦ ـ ٣١٧.
(٤) إتحاف الورى ٢/ ٣١٧.

وكان العامل بمكة قد أمر بكتاب يُقْرَأُ لأمير المؤمنين، فجلس خلف المقام وأقام كاتبه قائمًا على الصندوق يقرأ الكتاب فأعظم ذلك المسلمون إعظامًا شديدًا وأنكروه أشد النكرة، وخاف الحجبة أن يعود لمثلها، فرفعوا فى ذلك رقعة إلى أمير المؤمنين، فأمره أمير المؤمنين أن يتخذ كرسيًا يقرأ عليه الكتب وأن ينزه المقام عن ذلك ويعظم[1].

وعمل إسحاق الذهب على زاويتى الكعبة من داخلها مكان ما كان هنالك من الفضة ملبسًا، وكسر الذهب الذى كان على الزاويتين الباقيتين وأعاد عمله، فصار ذلك أجمع على مثال واحد منقوشة مؤلفة ناتئة، وعمل منطقة من فضة وركبها فوق إزار الكعبة فى تربيعها كلها، منقوشة مؤلفة جليلة ناتئة يكون عرض المنطقة ثلثى ذراع، وعمل طوقًا من ذهب منقوش متصلاً بهذه المنطقة، فركبه حول الجزعة التى تقابل من دخل من باب الكعبة فوق الطوق الذهب القديم الذى كان مركبًا حولها من عمل الوليد بن عبد الملك، وكره أن يقلع ذلك الطوق الأول لسبب تكسر خفى فى الجزعة، فتركه على حاله لئلا يحدث فى الجزعة حادث، وقلع الرخام المتزايل من جدرات الكعبة ـ وكان يسيرًا رخامتين أو ثلاثة ـ وأعاد نصبه كلها بجص صنعانى كان كتب فيه إلى عامل صنعاء، فحمل إليه منه جص مطبوخ صحيح غير مدقوق اثنا عشر حملاً، فدقه ونخله وخلطه بماء زمزم ونصب به هذا الرخام، وفى أعلى هذه المنطقة الفضة رخام منقوش محفور فألبس ذلك الرخام ذهبًا رقيقًا من الذهب الذى يتخذ للسقوف، فصار كأنه سبيكة مضروبة عليه إلى موضع الفسيفساء الذى تحت سقف الكعبة، وغسل الفسيفساء بماء الورد وحُمّاض الأُتْرُجّ[2]، ونقض ما كان من الأصباغ المزخرفة على السقف وعلى الإِزار الذى دون

---

(١) إتحاف الورى ٢/ ٣١٧.

(٢) كذا لدى ابن فهد فى إتحاف الورى وهو ينقل عن المصنف. وفى الأصول: «الأترنج» والأترج: شجر يعلو ناعم الأغصان والورق والثمر، وثمره كالليمون الكبار، وهو ذهبى اللون، ذكى الرائحة.

السقف فوق الفسيفساء، ثم ألبسها ثياب قباطى أخرجها إليه الحجبة مما عندهم فى خزانة الكعبة، وألبس تلك الثياب ذهبًا رقيقًا وزخرفه بالأصباغ(١).

وكانت عتبة باب الكعبة السفلى قطعتين من خشب الساج قد رثتا ونخرتا من طول الزمان عليهما، فأخرجهما وصير مكانهما قطعة من خشب الساج وألبسها صفائح فضة من الفضة التى كانت فى الزاويتين التى صيَّر مكانهما ذهبًا، ولم يُقْلَع فى ذلك بابا الكعبة، وَحُرِّفا فأزيلا شيئًا يسيراً وهما قائمان منصوبان، وكان فى الجدر الذى فى ظهر الباب يمنة من دخل الكعبة رزة وكلاب من صفر يشد به الباب إذا فتح بذلك الكلاب لئلا يتحرك عن موضعه، فقلع ذلك الصفر وصيَّر مكانه فضة، وألبس ما حول باب الدرجة فضة مضروبة(٢).

وكان الرخام الذى قدم به معه إسحاق رخاما يسمى المسير، غير مشاكل لما كان على جدرات الكعبة من الرخام، فشقه وسواه، وقلع ما كان على جدرات المسجد الحرام فى ظهر الصناديق التى يكون فيها طيب الكعبة وكسوتها من الرخام، وقلع الرخام الذى كان على جدر المسجد الذى بين باب الصفا وبين باب السَّمَّانين، واسم ذلك الرخام البذنجنا، ونصب الرخام المسير الذى جاء به مكانه على جدرات المسجد(٣).

وأنزل المعاليق المعلقة بين الأساطين ونفضها من الغبار وغسلها وجلاها وألبس عمدها الحديد المعترضة بين الأساطين ذهبًا من الذهب الرقيق، وأعاد تعليقها فى مواضعها على التأليف(٤).

وفرغ من ذلك أجمع ومن جميع الأعمال التى بمنى، يوم النصف من

(١) إتحاف الورى ٢/٣١٨ ـ ٣١٩.

(٢) إتحاف الورى ٢/٣١٩.

(٣) إتحاف الورى ٢/٣١٩ ـ ٣٢٠.

(٤) إتحاف الورى ٢/ ٣٢٠.

شعبان سنة اثنتين وأربعين ومائتين، وأحضر الحجبة فى ذلك اليوم أجزاء القرآن، وهم جماعة فتفرقوها بينهم وإسحاق بن سلمة معهم حتى ختموا القرآن، وأحضروا ماء ورد ومسكًا وعودًا وسكا مسحوقًا، فطيبوا به جدرات الكعبة وأرضها وأجافوا بابها عليهم عند فراغهم من الختمة، فدعوا ودعا من حضر الطواف وضجوا بالتضرع والبكاء إلى الله عز وجل، ودعوا لأمير المؤمنين ولولاة عهود المسلمين ولأنفسهم ولجميع المسلمين، فكان يومهم ذلك يومًا شريفًا حسنًا.

قال أبو الوليد: وأخبرنى إسحاق بن سلمة الصائغ أن مبلغ ما كان فى الأربع الزوايا من الذهب والطوق الذى حول الجزعة، نحو من ثمانية آلاف مثقال، وأن ما فى منطقة الفضة وما كان على عتبة الباب السفلى من الصفائح وعلى كرسى المقام من الفضة، نحو من سبعين ألف درهم، وما ركب من الذهب الرقيق على جدرات الكعبة وسقفها، نحو من مائتى حق يكون فى كل حق خمسة مثاقيل.

وخلط إسحاق بن سلمة ما بقى قبله مع هذا الجص الصنعانى وما قلع من أرض الكعبة من الرخام المتكسر مما لا يصلح إعادته فى شىء من العمل وثلاثة حقاق من هذا الذهب الرقيق وجراب فيه تراب مما قشر من جدرات الكعبة ومسامير فضة صغار قبل الحجبة، لما عسى أن يحتاجوا إليه لها، وانصرف بعد فراغه من الحج فى آخر سنة اثنتين وأربعين ومائتين.

* * *

صفة باب الكعبة

وذرع طول باب الكعبة فى السماء ستة أذرع وعشرة أصابع، وعرض ما بين جداريه ثلاثة أذرع وثمانى عشرة إصبعًا، والجداران وعتبة الباب العليا

ونجاف الباب ملبس صفائح ذهب منقوش، وفى جدار عضادتى الباب أربع عشرة حلقة من حديد مموهة بالفضة متفرقة فى كل جدار سبع حلق يشد بها جوف الباب من أستار الكعبة، وفى عتبة باب الكعبة ثمانية عشر مسماراً، منها أربعة على الباب، وأربعة عشر فى وجه العتبة، والمسامير حديد ملبسة ذهبًا مقبوة منقوشة تدوير حول كل مسمار سبع أصابع، وملبن باب الكعبة الذى يطأ عليه من دخلها داخل فى الجدر عشر أصابع، والملبن ساج ملبس صفائح ذهب، وعرض وجه الملبن عشر أصابع، وعرض وجهه الآخر أربع أصابع، وفى الملبن من المسامير ستة وأربعون مسماراً، منها سبعة فى أعلى الملبن وهى تلى العتبة، وفى الجانب الأيمن تسعة عشر مسماراً، وفى الجانب الأيسر عشرون مسماراً، والمسامير مقبوة ملبسة ذهبًا منقوشة. تدوير حول كل مسمارٍ منها سبع أصابع، وذرع طول باب الكعبة فى السماء ستة أذرعٍ وعشر أصابع، وهما مصراعان عرض كل مصراع ذراع وثمانى عشرة إصبعًا، وعود الباب ساج وغلظه ثلاث أصابع فإذا غلقا فعرضهما ثلاثة أذرع ونصف، وفى كل مصراع ست عوارض، والعوارض من ساسم، وظهر الباب من داخل ملبس صفائح فضة.

وفى المصراع الأيمن من داخل غلق رومى وأم الغلق ملبسة فضة وطول الغلق أربع عشرة إصبعًا.

وفى المصراع الأيسر حلقة فضة يكون فيها غلق الباب إذا غلق.

وفى الباب الأيسر سكرة ووجه الباب ملبس صفائح ذهب منقوشة وصفائح ساذج ما بين المسامير التى فى العوارض صفائح مربعة منقوشة فى كل مصراع خمس صفائح. وتدوير حول الصفائح الساذج صفائح منقوشة.

وفى الباب الأيسر أنف الباب ملبس ذهبًا منقوشًا طرفاه مربعان، وعلى الأنف كتاب ثيه بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ الآية [البقرة:١٤٩]. محمد رسول الله.

وعدد المسامير مائتا مسمار منها مائة كبار منها فى العوارض اثنان وسبعون مسماراً فى كل عارضة ستة مسامير، وفى كل مصارع عشرة مسامير، وبين كل عارضتين مسماران فى طرفى الباب، ومنها حول خرتة الباب التى يدخل فيها الرومى اثنا عشر مسماراً صغاراً، ومنها فى المصراع الأيمن مسماران من فضة ساذج مموهان تدوير حول كل مسمار ست أصابع وبينهما حاجز يفتح فيه الغلق الرومى الداخل وما بين المسامير تسع أصابع والمسامير مقبوة ملبسة ذهبًا وهى منقوشة تدوير كل مسمار سبع أصابع، والمسامير الصغار التى فى المصراع الأيسر خمسون مسماراً وهى مضروبة حول الصفائح المربعة المنقوشة التى بين العوارض، حول كل صفيحة عشرة مسامير والمسامير ملبسة ذهبًا مقبوة منقوشة وهى على صفائح ساذج عرض الصفائح إصبعان كما يدور حول الصفيحة المنقوشة ورجلا البابين حديد ملبسان ذهبًا وفى المصراعين سلوقيتان فضة مموهتان وفى السلوقيتين لبنتان من ذهب مربعتان وفوق اللبنتين لبنتان صغيرتان وفى طرف السلوقيتين حلقتا ذهب سعة كل حلقة ثمان أصابع وهما حلقتا قفل الباب وهما على ذراعين وستة عشر إصبعا من الباب.



باب صفة الشاذروان وذرع الكعبة

ذرع الكعبة من خارجها فى السماء من البلاط المفروش حولها تسعة وعشرون ذراعًا وست عشرة إصبعًا، وطولها من الشاذروان سبعة وعشرون ذراعًا، وعدد حجارة الشاذروان التى حول الكعبة ثمانية وستون حجراً فى ثلاثة وجوه من ذلك من حد الركن الغربى إلى الركن اليمانى خمسة وعشرون حجراً، منها حجر طوله ثلاثة أذرع ونصف وهو عتبة الباب الذى سد فى ظهر الكعبة وبينه وبين الركن اليمانى أربعة أذرع، وفى الركن اليمانى

حجر مدور، وبين الركن اليمانى والركن الأسود تسعة عشر حجراً، ومن حد الشاذروان إلى الركن الذى فيه الحجر الأسود ثلاثة أذرع واثنا عشر إصبعًا ليس فيه شاذروان، ومن حد الركن الشامى إلى الركن الذى فيه الحجر الأسود ثلاثة وعشرون حجراً، ومن حد الشاذروان الذى يلى الملتزم إلى الركن الذى فيه الحجر الأسود ذراعان ليس فيهما شاذروان وهو الملتزم، وطول الشاذروان فى السماء ستة عشر إصبعًا وعرضه ذراع وطول درجة الكعبة التى يصعد عليها الناس إلى بطن الكعبة من خارج ثمانى أذرع ونصف وعرضها ثلاثة أذرع ونصف وفيها من الدرج ثلاث عشرة درجة وهى من خشب الساج.

* * *

ذكر الحجر

حدّثنا أبو محمد إسحاق بن أحمد الخزاعى، حدثنا أبو الوليد قال: حدثنا جدى حدثنا سعيد بن سالم وعبد الرزاق بن همام قالا: حدثنا ابن جريج قال: سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير والوليد بن عطاء بن خباب قال أبو الوليد: وحدثنى محمد بن يحيى، حدثنا هشام بن سليمان المخزومى، عن ابن جريج، عن عبد الله بن عبيد بن عمير والوليد بن عطاء ابن خباب أن الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة وفد على عبد الملك بن مروان فى خلافته فقال له عبد الملك: ما أظن أبا خبيب - يعنى ابن الزبير - سمع من عائشة ما كان يزعم أنه سمع منها؟: قال الحارث: أنا سمعته منها قال: سمعتها تقول ماذا؟ قال: قالت: قال رسول الله ﷺ: إن قومك استقصروا فى بناء البيت، ولولا حداثة عهد قومك بالكفر أعدتُ فيه ما تركوا منه فأراها قريبًا من سبعة أذرع وزاد الوليد بن عطاء بن خباب فى الحديث وجعلت لها بابين موضوعين بالأرض شرقيًا وغربيًا. وهل تدرين لم كان

قومك رفعوا بابها؟ قالت: قلت: لا قال: تعززا لئلا يدخلها أحد إلا من أرادوا، فكان الرجل إذا كرهوا أن يدخلها يدعونه يرتقى حتى إذا كاد يدخلها دفعوه فسقط، قال: عبد الملك أنت سمعتها تقول هذا قال: قلت: نعم قال: فنكت بعصاه ساعة ثم قال: لوددت أنى تركته وما تحمل.

حدّثنا أبو الوليد قال: حدثنى جدى، حدثنا داود بن عبد الرحمن، عن هشام بن عروة، عن عروة، عن عائشة قالت: ما أبالى صليت فى الحجر أو فى الكعبة.

حدّثنا أبو الوليد، حدثنا إبراهيم بن محمد الشافعى، حدثنا الدراوردى، عن علقمة بن أبى علقمة، عن أبيه، عن عائشة أنها قالت: كنت أحب أن أدخل البيت فأصلى فيه فأخذ رسول الله ﷺ بيدى فأدخلنى الحجر فقال لى: صلى فى الحجر إذا أردت دخول البيت فإنما هو قطعة من البيت، ولكن قومك استقصروا حين بنوا الكعبة فأخرجوه من البيت[1].

حدّثنا أبو الوليد حدثنى جدى، عن سفيان، عن هشام بن حجير قال: قال ابن عباس: الحجر من البيت.

حدّثنا أبو الوليد قال: حدثنا جدى، عن خالد بن عبد الرحمن بن خالد ابن سلمة المخزومى قال: حدثنى المبارك بن حسان الأنماطى قال: رأيت عمر ابن عبد العزيز فى الحجر فسمعته يقول شكا إسماعيل عليه السلام إلى ربه عز وجل حر مكة فأوحى الله تعالى إليه أنى أفتح لك بابًا من الجنة فى الحجر يجرى عليك منه الروح إلى يوم القيامة وفى ذلك الموضع توفى، قال خالد: فيرون أن ذلك الموضع ما بين الميزاب إلى باب الحجر الغربى فيه قبره.

حدّثنا أبو الوليد قال: حدثنى جدى، عن خالد بن عبد الرحمن قال:

(١) الجامع اللطيف ص١٣٠.

حدثنى الحارث بن أبى بكر الزهرى، عن صفوان بن عبد الله بن صفوان الجمحى قال: حفر ابن الزبير الحجر فوجد فيه سفطًا من حجارة خضر فسأل قريشًا عنه فلم يجد عند أحد منهم فيه علمًا. قال: فأرسل إلى عبد الله بن صفوان فسأله فقال: هذا قبر إسماعيل عليه السلام فلا تحركه قال: فتركه.

حدّثنا أبو الوليد قال: حدثنى محمد بن يحيى قال: أخبرنا هشام بن سليمان المخزومى، عن عبد الله بن عبيد بن عمير أنه قال: دخل بين عائشة وبين أخيها عبد الرحمن بن أبى بكر كلام فحلف أن لا يكلمها فأرادته على أن يأتيها فأبى، فقيل لها: إن له ساعة من الليل يطوفها فرصدته بباب الحجر حتى إذا مر بها أخذت بثوبه فجذبته فأدخلته الحجر ثم قالت له فلان عبدى حر وفلان والذى أنا فى بيته وجعلت تعتذر إليه وتحلف له.

حدّثنا أبو الوليد قال: حدثنى محمد بن يحيى، حدثنا هشام بن سليمان المخزومى، عن أم كلثوم ابنة أبى عوف أن عائشة سألت أن يفتح لها باب الكعبة ليلاً فأبى عليها شيبة بن عثمان، فقالت لأختها أم كلثوم ابنة أبى بكر: انطلقى بنا حتى ندخل الكعبة فدخلت الحجر.

حدّثنا أبو الوليد قال: حدثنى جدى وإبراهيم بن محمد الشافعى، عن مسلم بن خالد الزنجى، عن ابن أبى نجيح قال: وجد فى الحجر حجر مدفون مكتوب فيه مبارك لأهلها فى الماء واللبن لا تزول حتى تزول أخشباها وقال ابن إسحاق: كان قبر إسماعيل عليه السلام وقبر أمه هاجر فى الحجر.

حدّثنا أبو الوليد قال: وأخبرنى محمد بن يحيى، عن أبيه أن أمير المؤمنين المنصور أبا جعفر حج وزياد بن عبيد الله الحارثى يومئذ أمير مكة فطاف أبو جعفر ثم دعا زياداً فقال: إنى رأيت الحجر حجارته بادية فلا أصبحن حتى يستر جدار الحجر بالرخام، فدعا زياد بالعمال فعملوه على السرج قبل أن يصبح، وكان قبل ذلك مبنيًا بحجارة بادية ليس عليها رخام، ثم كان المهدى بعد قد جدد رخامه.

حدّثنا أبو الوليد قال: وأخبرنى محمد بن يحيى، عن أبيه قال: ثم رأيت جعفر بن سليمان بن على وهو أمير مكة والمدينة فى سنة إحدى وستين ومائة بلط بطن الحجر بالرخام وذلك عام زاد المهدى فى المسجد الحرام زيادته الأولى وشرع أبواب المسجد على المسعى، قال أبو محمد الخزاعى: أنا أدركت هذا الرخام الذى عمله وكان رخامًا أبيض وأخضر وأحمر مزوراً بثوابير صغار ومداخلاً بعضه فى بعض أحسن من هذا العمل، ثم تكسر فجدده أبو العباس عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى وهو أمير مكة فى سنة إحدى وأربعين ومائتين، ثم جدد بعد ذلك فى سنة ثلاث وثمانين ومائتين.

* * *

الجلوس فى الحجر وما جاء فى ذلك

حدّثنا أبو الوليد قال: حدثنى جدى عن سعيد بن سالم، عن ابن جريج قال: كنا جلوسًا مع عطاء بن أبى رباح فى المسجد الحرام فتذاكرنا ابن عباس وفضله وعلى بن عبد الله بن عباس فى الطواف وخلفه ابنه محمد بن على فعجبنا من تمام قامتهما وحسن وجوههما، فقال عطاء: وأين حسنهما من حسن عبد الله بن عباس؟ ما رأيت القمر ليلة أربع عشرة وأنا فى المسجد الحرام طالعًا من جبل أبى قبيس إلا ذكرت وجه ابن عباس، ولقد رأيتنا جلوسًا معه فى الحجر إذ أتاه شيخ قديم بدوى من هذيل يهدج على عصاه فسأله عن مسألة فأجابه، فقال الشيخ لبعض من فى المجلس: من هذا الفتى؟ فقالوا: هذا عبد الله بن العباس بن عبد المطلب فقال الشيخ: سبحان الذى مسخ حسن عبد المطلب إلى ما أرى، فقال عطاء: سمعت ابن عباس يقول: سمعت أبى يقول: كان عبد المطلب أطول الناس قامة وأحسن الناس وجهًا ما رآه قط شىء إلا أحبه، وكان له مفرش فى الحجر لا يجلس عليه غيره ولا

يجلس معه عليه أحد وكان الندى من قريش حرب بن أمية فمن دونه يجلسون حوله دون المفرش، فجاء رسول الله ﷺ وهو غلام يدرج ليجلس على المفرش فجذبوه فبكى فقال عبد المطلب: وذلك بعدما حجب بصره ما لابنى يبكى؟ قالوا له: إنه أراد أن يجلس على المفرش فمنعوه، فقال عبد المطلب: دعوا ابنى فإنه يحس بشرف أرجو أن يبلغ من الشرف ما لم يبلغ عربى قط، قال: وتوفى عبد المطلب والنبى ﷺ ابن ثمان سنين، وكان خلف جنازته يبكى حتى دفن بالحجون.

حدّثنا أبو الوليد قال: حدثنى جدى، عن سعيد بن سالم، عن ابن جريج، عن ابن أبى مليكة أن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: لو كان عندى سعة قدمت فى البيت من الحجر أذرعًا وفتحت له بابًا آخر يخرج الناس منه.

حدثنا أبو الوليد، حدثنا سعيد بن منصور، حدثنا خالد بن عبد الله، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير أن عائشة سألت النبى ﷺ أن يفتح لها الباب ليلاً فجاء عثمان بن طلحة بالمفتاح إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنها لم تفتح بليل قط، قال: فلا تفتحها ثم قال لعائشة: إن قومك لما بنوا البيت قصرت بهم النفقة فتركوا بعض البيت فى الحجر فادخلى الحجر فصلى فيه.

حدّثنا أبو الوليد، حدثنا سعيد بن منصور، حدثنا عتاب، عن خصيف، عن مجاهد قال: جاءت عائشة فدخلت البيت فى ستاره ومعها نسوة فأغلقت الحجبة البيت دون النساء فجعلن ينادين يا أم المؤمنين، قال مجاهد: فسمعت عائشة تقول: عليكن بالحجر فإنه من البيت.

حدّثنا أبو الوليد قال: حدثنى جدى، عن ابن عيينة، عن إبراهيم بن ميسرة قال: تذاكروا المهدى عند طاوس وهو جالس فى الحجر، فقلت: يا أبا عبد الرحمن، أهو عمر بن عبد العزيز؟ فقال: لا، إنه لم يستكمل العدل

وإن ذلك إذا كان زيد المحسن فى إحسانه وحط عن المسىء من إساءته، ولوددت أنى أدركته وعلامته كذا وكذا.

حدّثنا أبو الوليد، قال: حدثنى جدى: حدثنا ابن عيينة، حدثنا الوليد بن كثير، عن ابن تدرس،عن أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنه قالت: لما نزلت ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [المسد:١] جاءت أم جميل بنت حرب بن أمية امرأة أبى لهب ولها ولولة وفى يدها فهر فدخلت المسجد ورسول الله ﷺ جالس فى الحجر ومعه أبو بكر رضى الله عنه، فأقبلت وهى تلملم الفهر فى يدها وتقول: مذممًا أبينا، ودينه قلينا، وأمره عصينا، قالت: فقال أبو بكر رضى الله عنه: يا رسول الله هذه أم جميل وأنا أخشى عليك منها وهى امرأة، فلو قمت، فقال: إنها لن ترانى وقرأ قرآنًا اعتصم به، ثم قرأ ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ [الإسراء:٤٥] قلت: فجاءت حتى وقفت على أبى بكر رضى الله عنه وهو مع رسول الله ﷺ ولم تره فقالت: يا أبا بكر، فأين صاحبك؟ قال: الساعة كان ها هنا قالت: إنه ذكر لى أنه هجانى، وايم الله إنى لشاعرة وإن زوجى لشاعر ولقد علمت قريش أنى بنت سيدها، قال سفيان قال الوليد فى حديثه فدخلت الطواف فعثرت فى مرطها فقالت: نفس مذمم، فقال النبى ﷺ: ألا ترى يأبا بكر ما يدفع الله تعالى به عنى من شتم قريش يسمونى مذممًا وأنا محمد، فقالت لها أم حكيم ابنة عبد المطلب: مهلاً يا أم جميل، إنى لحصان فما أكلم، وثقاف فما أعلم وكلتانا من بنى العم، ثم قريش بعد أعلم.

قال أبو الوليد: فلم يزل رخام الحجر الذى عمله المهدى بعد عمل أبى جعفر أمير المؤمنين على حاله، وكان سيله يخرج من تحت الأحجار التى على بابها الغربى حتى رث فى خلافة المتوكل على الله جعفر أمير المؤمنين فقلع فى سنة إحدى وأربعين ومائتين، وألبس رخامًا حسنًا قلع من جوانب المسجد الحرام من الشق الذى يلى باب العجلة إلى باب دار عمرو بن

العاص، ومما يلى أبواب بنى مخزوم والباب الذى مقابل دار عبد الله بن جدعان.

وكان عبد الله بن عبيد الله بن عباس بن محمد الهاشمى أمر أن يقلع له لوح من رخام الحجر يسجد عليه فقلع له فى الموسم، فأرسل أحمد بن طريف مولى العباس بن محمد الهاشمى برخامتين خضراوين من مصر هدية للحجر مكان ذلك اللوح، وهى الرخامة الخضراء على سطح جدار الحجر مقابل الميزاب على هيئة الزورق، والرخامة الأخرى هى الرخامة الخضراء التى تحت الميزاب تلى جدر الكعبة، فجعلتا فى هذين الموضعين، وهما من أحسن رخام فى المسجد خضرة.

قال أبو محمد الخزاعى: ثم حولت التى كانت على ظهر الحجر فجعلت تحت الميزاب مقابل الميزاب أمام الرخامتين اللتين على هيئة المحراب فى سنة ثلاث وثمانين ومائتين.

* * *

ما جاء فى الدعاء والصلاة عند مثعب الكعبة

حدّثنا أبو الوليد قال: حدثنى جدى، حدثنا سعيد بن سالم، عن عثمان ابن ساج، عن عطاء بن أبى رباح قال: من قام تحت مثعب الكعبة فدعا استجيب له، وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه[1].

حدّثنا أبو الوليد قال: حدثنى جدى، حدثنا عيسى بن يونس السبيعى، حدثنا عنبسة بن سعيد الرازى، عن إبراهيم بن عبد الله الخاطبى، عن عطاء، عن ابن عباس قال: صلوا فى مصلى الأخيار، واشربوا من شراب

(١) شفاء الغرام ١/ ٣٤٩.

الأبرار. قيل لابن عباس: ما مصلى الأخيار؟ قال: تحت الميزاب، قيل وما شراب الأبرار؟ قال: ماء زمزم.

حدّثنا أبو الوليد، حدثنا محمد بن سليم، حدثنا الزنجى مسلم بن خالد، عن ابن جريج، عن عطاء أنه قال: من قام تحت ميزاب الكعبة فدعا استجيب له وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه.

حدّثنا أبو الوليد قال: حدثنى محمد بن أبى عمر، قال: حدثنا بشر بن الثرى، عن حماد بن سلمة قال: حدثتنى أم شيبة قالت: سمعت أم عمرو امرأة الزبير تقول: سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول: أعزم بالله على امرأة صلت فى الحجر.

حدّثنا أبو الوليد، حدثنا محمد بن أبى عمر المكى، حدثنا بشر بن السرى، عن حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب، قال: رأيت سعيد بن جبير يطوف فإذا دخل الحجر وضع نعليه على جدر الحجر.

حدّثنا أبو الوليد قال: حدثنى جدى، عن سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، عن جعفر بن محمد، عن أبيه أن النبى ﷺ كان إذا حاذى ميزاب الكعبة وهو فى الطواف يقول: اللهم إنى أسألك الراحة عند الموت والعفو عند الحساب.

حدّثنا أبو الوليد قال: حدثنى مسافع بن عبد الرحمن الحجبى، حدثنا بشر بن السرى، عن أيمن بن نابل[1]، قال: رقدت فى الحجر فركضنى سعيد ابن جبير وقال: مثلك يرقد فى هذا المكان.

* * *

(١) بنون وموحدة قيده ابن حجر فى التقريب ص٥٦. وتحرف فى الأصول إلى: «نايل» بالياء المثناة.

صفة الحجر وذرعه [١]

قال أبو الوليد: الحجر مدور وهو ما بين الركن الشامى والركن الغربى وأرضه مفروشة برخام، وهو مستو بالشاذروان الذى تحت إزار الكعبة، وعرضه من جدر الكعبة من تحت الميزاب إلى جدر الحجر سبعة عشر ذراعًا وثمان أصابع، وذرع ما بين بابى الحجر عشرون ذراعًا وعرضه اثنان وعشرون ذراعًا، وذرع [الجدار][٢] من داخله فى السماء ذراع وأربع عشرة إصبعًا، وذرعه مما يلى الباب الذى يلى المقام ذراع وعشر أصابع وذرع جدر الحِجْر الغربى فى السماء ذراع وعشرون إصبعًا، وذرع طول جدر الحجر من خارج مما يلى الركن الشامى ذراع وستة عشر إصبعًا، وطوله من وسطه فى السماء ذراعان وثلاث أصابع، الرخام من ذلك ذراع وأربع عشرة إصبعًا، وعرض الجدار ذراعان إلا إصبعين، والجدر ملبس رخامًا وفى أعلاه فى وسط الجدار رخامة خضراء طولها ذراعان إلا إصبعين، وعرضها ذراع وثلاث أصابع، قال أبو محمد الخزاعى: وقد حولت هذه الرخامة فجعلت تحت الميزاب مما يلى الكعبة.

قال أبو الوليد: وذرع باب الحجر الذى يلى المشرق مما يلى المقام خمسة أذرع وثلاث أصابع، وفى عتبة هذا الباب حجران ارتفاعهما من بطن الحجر أربع أصابع، وذرع باب الحجر الذى يلى المغرب سبعة أذرع، وفى عتبة بابه أربعة أحجار، وارتفاعها من بطن الحجر أربع أصابع، ومخرج سيل ماء الحجر من وسطه من تحت الحجارة فى ثقب بين حجرين.

قال أبو محمد الخزاعى: قد كان على ما ذكره أبو الوليد، ثم كان رخامه

---

(١) انظر فى ذلك شفاء الغرام ١/ ٣٤٧ وهو ينقل عن المصنف.

(٢) الإضافة من شفاء الغرام.

قد تكسر من وطء الناس فعمل فى خلافة المتوكل على الله وأمير مكة يومئذ أبو العباس عبد الله بن محمد بن داود فرفعت أرض الحجر شيئًا حتى كان ماؤه يخرج من فوق الأحجار التى فى عتبة الباب الغربى، فكان كذلك حتى عمر فى خلافة أمير المؤمنين المعتضد بالله، فأشرف العمال فى رفع أرضه حتى صارت أرفع من حجارة عتبتى البابين حتى احتاجوا إلى أن يكسروا طرفى العمل المشرف على بابى الحجر، ولو كانوا جعلوه مستويًا مع العتبتين كما كان كان أصوب.

قال أبو الوليد: وذرع تدوير الحجر من داخله ثمانية وثلاثون ذراعًا، وذرع تدوير الحجر من خارج أربعون ذراعًا وست أصابع، وذرع ما بين حداث الحجر من الشق الشرقى إلى الركن الذى فيه الحجر الأسود تسعة وعشرون ذراعًا وأربع عشرة إصبعًا، وذرع ما بين حدات الحجر من شق المغرب إلى حد الركن اليمانى اثنان وثلاثون ذراعًا، وذرع طوف واحد حول الكعبة مائة ذراع وثلاثة وعشرون ذراعًا وثنتا عشرة إصبعًا. وذرع طواف سبع حول الكعبة ثمانمائة وستة وستون ذراعًا وعشرون إصبعًا.



ما جاء فى فضل الركن الأسود

- حدثنا أبو الوليد قال: حدثنى جدى حدثنا داود بن عبد الرحمن العطار قال: سمعت القاسم بن أبى بزة يحدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: الركن والمقام من الجنة.

وبه قال: حدثنى جدى عن، مسلم بن خالد، عن ابن جريج، عن عطاء عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال ليس فى الأرض من الجنة إلا الركن الأسود والمقام، فإنهما جوهرتان من جوهر الجنة، ولولا ما مسهما من أهل

الشرك ما مسهما ذو عاهة إلا شفاه الله عز وجل.

وبه قال: حدثنى جدى، عن مسلم بن خالد، وسفيان بن عيينة، عن ابن جريج عن عطاء، عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال فى الركن: لولا ما مسه من أنجاس الجاهلية وأرجاسهم ما مسه ذو عاهة إلا برأ، قال عبد الله ابن عمرو بن العاص: نزل الركن وإنه لأشد بياضًا من الفضة، قال: حدثنى جدى، عن سفيان، عن ابن جريج مثله.

حدّثنا أبو الوليد قال: حدثنى جدى، حدثنا سعيد بن سالم، عن عثمان ابن ساج، عن وهب بن منبه أن عبد الله بن عباس أخبره أن النبى ﷺ قال لعائشة وهى تطوف معه بالكعبة حين استلم الركن: لولا ما طبع على هذا الحجر، يا عائشة من أرجاس الجاهلية وأنجاسها إذا لاستشفى به من كل عاهة، وإذا لألفى اليوم كهيئته يوم أنزله الله عز وجل وليعيدنه إلى ما خلقه أول مرة وإنه لياقوتة بيضاء من يواقيت الجنة ولكن الله سبحانه وتعالى غيره بمعصية العاصين، وستر زينته عن الظلمة والأثَمة لأنه لا ينبغى لهم أن ينظروا إلى شىء كان بدؤه من الجنة.

حدّثنا أبو الوليد قال: وحدثنى جدى، عن سعيد بن سالم، عن عثمان ابن ساج، عن ابن جريج، عن عبد الله بن عمرو بن العاص وكعب الأحبار أنهما قالا: لولا ما تمسح به من الأرجاس فى الجاهلية ما مسه ذو عاهة إلا شفى، وما من الجنة شىء فى الأرض إلا هو.

حدّثنا أبو الوليد قال: حدثنى جدى، حدثنا إبراهيم بن محمد، عن عبد الله بن عثمان بن خيثم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال: إن الله عز وجل يبعث الركن الأسود له عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق.

حدّثنا أبو الوليد قال: حدثنى جدى، حدثنا عبد الله بن يحيى السهمى قال: سمعت عطاء بن أبى رباح يقول: الركن حجر من حجارة الجنة ولولا

ما مسه من الأنجاس لكان كما نزل به.

حدّثنا أبو الوليد قال: حدّثنى جدى، حدثنا عيسى بن يونس قال: حدثنى عبد الله بن مسلم بن هرمز، عن محمد بن عباد بن جعفر، عن ابن عباس قال: الركن يمين الله فى الأرض يصافح بها عباده كما يصافح أحدكم أخاه.

حدّثنا أبو الوليد حدثنا محمد بن أبى عمر، حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد الأعمى، عن أبيه، عن أبى هارون العبدى، عن أبى سعيد الخدرى قال: خرجنا مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى مكة فلما دخلنا الطواف قام عند الحجر وقال: والله إنى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك، ثم قبله ومضى فى الطواف فقال له على عليه السلام: بلى يا أمير المؤمنين هو يضر وينفع قال: وبم ذلك؟ قال: بكتاب الله تعالى قال: وأين ذلك من كتاب الله تعالى؟ قال: قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ الآية [الأعراف: ١٧٢]، قال: فلما خلق الله عز وجل آدم مسح ظهره فأخرج ذريته من صلبه فقررهم أنه الرب وهم العبيد، ثم كتب ميثاقهم فى رق، وكان هذا الحجر له عينان ولسان فقال له: افتح فاك قال: فألقمه ذلك الرق وجعله فى هذا الموضع وقال: تشهد لمن وافاك بالموافاة يوم القيامة، قال: فقال عمر: أعوذ بالله أن أعيش فى قوم لست فيهم يأبا الحسن.

حدّثنا أبو الوليد، حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن سلمة، عن عبد الله بن عثمان بن خيثم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: ليبعثن الله عز وجل هذا الحجر يوم القيامة وله عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بالحق.

حدّثنا أبو الوليد قال: حدثنى مهدى بن أبى المهدى حدثنا يحيى بن سليم

المكى قال: سمعت ابن جريج يقول: سمعت محمد بن عباد بن جعفر يقول: سمعت ابن عباس يقول: إن هذا الركن الأسود يمين الله عز وجل فى الأرض يصافح بها عباده مصافحة الرجل أخاه.

حدّثنا أبو الوليد، حدثنى جدى، عن عبد الجبار بن الورد المكى قال: سمعت القاسم بن أبى بزة يقول: الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة وأنزل الركن بين دار السائب بن أبى وداعة وبين دار مروان ودار ابن أبى محذورة.

حدّثنا مهدى بن أبى المهدى، حدثنا الحكم بن أبان قال: حدثنى أبى، عن عكرمة قال: إن الحجر الأسود يمين الله فى الأرض فمن لم يدرك بيعة رسول الله ﷺ فمسح الحجر فقد بايع الله ورسوله.

حدّثنا أبو الوليد قال: حدثنى مهدى بن أبى المهدى، حدثنا مروان بن معاوية الفزارى، حدثنا العلاء، عن عمرو بن مرة، عن يوسف بن ماهك قال: قال عبد الله بن عمرو: إن جبريل عليه السلام نزل بالحجر من الجنة وإنه وضعه حيث رأيتم وإنكم لم تزالوا بخير ما دام بين ظَهرانيكم فتمسكوا به ما استطعتم فإنه يوشك أن يجىء فيرجع به من حيث جاء به.

حدّثنا أبو الوليد حدّثنا مهدى بن أبى المهدى، حدثنا يزيد بن أبى حكيم وابن عمارة وابن بكار عن الحكم قال: سمعت عكرمة يقول: الركن ياقوتة من يواقيت الجنة وإلى الجنة مصيره، قال: قال ابن عباس: لولا ما مسه من أيدى الجاهليين لأبرأ الأكمه والأبرص.

حدّثنا أبو الوليد قال: حدثنى محمد بن يحيى، حدثنا هشام بن سليمان، عن ابن جريج، عن منصور بن عبد الرحمن، عن ابن عباس رضى الله عنه قال: أنزل الركن والمقام مع آدم عليه السلام ليلة نزل بين الركن والمقام، فلما أصبح رأى الركن والمقام فعرفهما فضمهما إليه وأنس بهما.

حدّثنا أبو الوليد قال: حدثنى محمد بن يحيى، عن أبيه، عن محمد بن

عبد الملك بن جريج، عن أبيه أنه قال: كان سلمان الفارسى قاعداً بين الركن وزمزم والناس يزدحمون على الركن فقال لجلسائه: هل تدرون ما هو؟ قالوا: هذا الحجر قال: قد أرى ولكنه من حجارة الجنة، أما والذى نفس سلمان الفارسى بيده ليجيئن يوم القيامة له عينان ولسان وشفتان يشهد لمن استلمه بالحق.

حدّثنا أبو الوليد قال: حدثنى محمد بن يحيى، عن أبيه، عن محمد بن عبد الملك بن جريج، عن أبيه عن مجاهد أنه قال: يأتى يوم القيامة الركن والمقام كل واحد منهما مثل أبى قبيس يشهدان لمن وافاهما بالموافاة.

حدّثنا أبو الوليد قال: حدثنى جدى، عن سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، عن أبى إسماعيل، عن عبد الملك بن عبد الله بن أبى حسين عن ابن عباس رضى الله عنه قال: إن الركن يمين الله عز وجل فى الأرض يصافح بها خلقه، والذى نفس ابن عباس بيده ما من امرئ مسلم يسأل الله عز وجل شيئًا عنده إلا أعطاه إياه، قال عثمان: وحدثت أن الله تبارك وتعالى لما أخذ ميثاق العباد جعله فى الركن الأسود فيبعثه الله عز وجل بالوفاء بعهده.

حدّثنا أبو الوليد قال: حدثنى جدى، وابن أبى عمر بن عامر قالا: حدثنا عبد الرحمن بن الحسن بن القاسم بن عقبة الأزرقى، عن أبيه، عن عبد الأعلى، عن عبد الله بن عامر بن كريز أنه قدم مع جدته أم عبد الله بن عامر معتمرة فدخلت عليها صفية بنت شيبة فأكرمتها وأجازتها فقالت صفية: ما أدرى ما أكرم به هذه المرأة أما دنياها فعظيمة فنظرت حصاة مما كان نقر من الركن الأسود حين أصابه الحريق فجعلتها لها فى حق ثم قالت لها: انظرى هذه الحصاة فإنها حصاة من الركن الأسود فاغسليها للمرضى فإنى أرجو أن يجعل الله سبحانه لهم فيها الشفاء، فخرجت فى أصحابها فلما خرجت من الحرم ونزلت فى بعض المنازل صرع أصحابها فلم يبق منهم أحد إلا أخذته الحمى، فقامت فصلّت ودعت ربها عز وجل ثم التفتت إليهم فقالت:

ويحكم انظروا فى رحالكم ماذا خرجتم به من الحرم فما الذى أصابكم إلا بذنب، قالوا: ما نعلم أنا خرجنا من الحرم بشىء قال: قالت لهم: أنا صاحبة الذنب انظروا أمثلكم حياة وحركة قال: فقالوا: لا نعلم منا أحداً أمثل من عبد الأعلى قالت: فشدوا له راحلة ففعلوا قال: ثم دعته فقالت: خذ هذا الحق الذى فيه هذه الحصاة فاذهب به إلى أختى صفية بنت شيبة فقل لها: إن الله سبحانه وضع فى حرمه وأمنه أمراً لم يكن لأحد أن يخرجه من حيث وضعه الله تعالى، فخرجنا بهذه الحصاة فأصابتنا فيها بلية عظيمة فصرع أصحابنا كلهم فإياك أن تخرجيها من حرم الله عز وجل، قال عبد الأعلى: فما هو إلا أن دخلت الحرم فجلنا ننبعث رجلا رجلا.

حدّثنا أبو الوليد، حدثنى جدى، حدثنا إبراهيم بن محمد بن أبى يحيى، عن أبى الزبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن أبى بن كعب عن النبى ﷺ قال: الحجر الأسود نزل به ملك من السماء.

وبه حدثنا إبراهيم بن محمد بن أبى يحيى، حدثنى ليث بن سعد، عن مغيرة بن خالد المخزومى قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: الحجر والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة.

حدّثنا أبو الوليد حدثنى، جدى، حدثنى إبراهيم بن محمد، حدثنى عبد الله بن عثمان، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: الركن والمقام من جوهر الجنة.

حدّثنا أبو الوليد، حدثنى جدى، حدثنى إبراهيم بن محمد، حدثنى عبد الله بن أبى لبيد، عن ابن عباس قال: أنزل الركن الأسود من الجنة وهو يتلألأ تلألؤاً من شدة بياضه فأخذه آدم عليه السلام فضمه إليه أنساً به.

حدّثنا أبو الوليد، حدثنى جدى، عن سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج قال: أخبرنى يحيى بن أبى أنيسة، عن عطاء، عن عبد الله بن عباس قال: سمعته يقول: الحجر الأسود من حجارة الجنة ليس فى الدنيا من الجنة

غيره، ولولا ما مسه من دنس الجاهلية وجهلها ما مسه ذو عاهة إلا برأ.

وبه عن عثمان بن ساج قال أخبرنى يحيى بن أبى أنيسة، عن ليث، عن مجاهد، عن عبد الله بن عباس أنه كان يقول: لولا أن الحجر تمسه الحائض وهى لا تشعر والجنب وهو لا يشعر ما مسه أجذم ولا أبرص إلا برأ.

وبه عن سعيد بن سالم القداح، عن عثمان بن ساج، قال: أخبرنى المثنى ابن الصباح، عن مسافع الحجبى، عن عبد الله بن عمرو قال: أشهد بالله أن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة، لولا أن الله تعالى أطفأ نورهما لأضاء نورهما ما بين السماء والأرض.

وبه عن سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، أخبرنى معمر البصرى، عن حميد الأعرج، عن مجاهد قال: الركن من الجنة ولو لم يكن من الجنة لفنى.

حدّثنا أبو الوليد، أخبرنى جدى، عن سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، أخبرنى يحيى بن أبى أنيسة، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: قال عبد الله بن عمرو بن العاص: كان الحجر الأسود أبيض كاللبن وكان طوله كعظم الذراع وما اسوداده إلا من المشركين كانوا يمسحونه، ولولا ذلك ما مسه ذو عاهة إلا برأ.

قال عثمان وأخبرنى ابن نبيه الحجبى، عن أمه أنها حدثته أن أباها حدثها أنه رأى الحجر قبل الحريق وهو أبيض يتلألأ يترايا الإنسان فيه وجهه.

قال عثمان: وأخبرنى زهير أنه بلغه أن الحجر من رضراض ياقوت الجنة وكان أبيض يتلألأ فسوده أرجاس المشركين، وسيعود إلى ما كان عليه قال: وهو يوم القيام مثل أبى قبيس فى العظم، له عينان ولسان وشفتان يشهد لمن استلمه بحق ويشهد على من استلمه بغير حق.

حدّثنا أبو الوليد قال: أخبرنى جدى، عن سعيد بن سالم، عن عثمان

ابن ساج، عن عطاء، عن ابن عباس رضى الله عنه قال: نزل آدم عليه السلام من الجنة معه الحجر الأسود متأبطه وهو ياقوتة من يواقيت الجنة، ولولا أن الله طمس ضوءه ما استطاع أحد أن ينظر إليه، ونزل بالباسنة ونخلة العجوة. قال أبو محمد الخزاعى: الباسنة آلات الصناع.

حدّثنا أبو الوليد قال: أخبرنى جدى، عن سعيد بن سالم، عن عثمان ابن ساج، عن أبان بن أبى عياش أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سأل كعبًا عن الحجر فقال: مروة من مرو الجنة.

* * *

باب ما جاء فى تقبيل الركن الأسود والسجود عليه

حدّثنا أبو الوليد قال حدثنى جدى، عن سفيان بن عيينة، عن ابن جريج، عن محمد بن عباد بن جعفر قال: رأيت ابن عباس رضى الله عنه جاء يوم التروية وعليه حلة مرجلا رأسه فقبل الركن الأسود وسجد عليه ثم قبله وسجد عليه ثلاثًا.

حدّثنا أبو الوليد، حدثنى جدى، حدثنا داود بن عبد الرحمن، عن هشام بن عروة، عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال وهو يطوف بالبيت: ما أنت إلا حجر، ولولا أنى رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك - يريد الركن.

حدّثنا أبو الوليد، حدثنى مهدى بن أبى المهدى، حدثنا سفيان بن عاصم، عن ابن سرجس قال: رأيت الأصيلع - يعنى عمر بن الخطاب - يقبل الحجر ويقول: إنى أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أنى رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك - يريد الركن -.

حدّثنا أبو الوليد، حدثنا مهدى بن أبى المهدى، حدثنا إبراهيم بن الحكم

ابن أبان، حدثنى أبى، حدثنى عكرمة قال: كان عمر بن الخطاب إذا بلغ موضع الركن قال: أشهد أنك حجر لا تضر ولا تنفع وإن ربى الله الذى لا إله إلا هو ولولا أنى رأيت رسول الله ﷺ يمسحك ويقبلك ما قبلتك ولا مسحتك.

وبه حدّثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان، عن أبيه قال: ردف عكرمة مولى ابن عباس دين فخرج إلى اليمن يسأل فيه حتى بلغ عدن فقال له أبى: كم دينك؟ قال: كذا وكذا قال: فأقم وعلى دينك ومثله فأقام عنده سنة فسمعت منه ما أريد.

حدّثنا أبو الوليد، قال: حدثنى جدى، عن سعيد بن سالم، عن عثمان قال: أخبرنى حنظلة بن أبى سفيان الجمحى قال: رأيت طاوسًا أتى الركن فقبله ثلاثًا ثم سجد عليه وقال: قال عمر: إنك لحجر ولولا أنى رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك.

* * *

باب ما جاء فى فضل استلام الركن الأسود واليمانى

حدّثنا أبو الوليد، حدثنى جدى، حدثنا داود بن عبد الرحمن العطار، حدثنى معمر، عن عطاء بن السائب أن عبيد بن عمير قال لابن عمر: إنى أراك تزاحم على هذين الركنين فقال: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن استلامهما يحط الخطايا حطا.

حدّثنا أبو الوليد، قال حدثنى جدى، حدّثنى داود بن عبد الرحمن، عن ابن جريج أن رجلاً يقال له: حميد بن نافع قال لابن عمر: رأيتك تصنع أشياء لا يصنعها غيرك، فقال ابن عمر: إنك لا تزال طاعنًا فى شىء ما هو؟ قال: رأيتك تصفر لحيتك وتلبس النعال السبتية ولا تهل فى الحج والعمرة

حتى تنبعث بك ناقتك ولا تستلم إلا هذين الركنين الشرقيين. قال: أما ما ذكرت من تصفير لحيتى فإنى رأيت رسول الله ﷺ يصفر لحيته، وأما ما ذكرت من النعال السبنية فإنى رأيت رسول الله ﷺ لم يلبس غيرها حتى مات، وأما ما ذكرت من استلام الركنين الشرقيين فإن رسول الله ﷺ لم يستلم غيرهما حتى مات، وأما إهلالى حين تنبعث ناقتى فإن رسول الله ﷺ لم يكن يهل حتى تنبعث به راحلته.

حدّثنا أبو الوليد، حدثنى أحمد بن ميسرة المكى، حدثنا عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبى رواد عن أبيه قال: سمعت غير واحد من أهل المدينة يذكرون أن رجلاً سأل ابن عمر فقال: يا أبا عبد الرحمن نراك تفعل خصالاً أربعًا لا يفعلها الناس، نراك لا تستلم من الأركان إلا الحجر والركن اليمانى، ونراك لا تلبس من النعال إلا السبنية، ونراك تصفر شعرك ويصبغ الناس بالحناء ونراك لا تحرم حتى تنبعث بك راحلتك، وتوجه فقال عبد الله: إنى رأيت رسول الله ﷺ يفعل ذلك.

حدّثنا أبو الوليد، حدثنى أحمد بن ميسرة، عن عبد المجيد بن أبى رواد، عن أبيه قال: وقد سمعت نافعًا يذكر هذه الخصال عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه.

* * *

الزحام على استلام الركن الأسود والركن اليمانى

حدّثنا أبو الوليد، قال حدثنى أحمد بن ميسرة، عن عبد المجيد بن عبد العزيز، عن أبيه، حدثنى نافع، عن ابن عمر، عن النبى ﷺ أنه كان لا يدع الركن الأسود والركن اليمانى أن يستلمهما فى كل طواف أتى عليهما، قال: وكان لا يستلم الآخرين. قال: وأخبرنى نافع أن ابن عمر كان لا

يدعهما فى كل طوف طاف بهما حتى يستلمهما، لقد زاحم على الركن مرة فى شدة الزحام حتى رعف فخرج فغسل عنه ثم رجع فعاد يزاحم فلم يصل إليه حتى رعف الثانية، فخرج فغسل عنه ثم رجع فما تركه حتى استلمه.

حدّثنا أبو الوليد، قال حدثنى ابن ميسرة، عن عبد المجيد، عن أبيه عن نافع قال: لقد رأيت ابن عمر زاحم مرة على الركن اليمانى حتى انبهر، فتنحى فجلس فى ناحية الطواف حتى استراح ثم عاد فلم يدعه حتى استلمه، قال أحمد بن ميسرة قال أخبرنا عبد المجيد قال أبى: ليس هذا بواجب على الناس ولكنه كان يحب أن يصنع كما صنع النبى ﷺ.

حدّثنا أبو الوليد حدثنى، جدى حدثنا سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، أخبرنى حنظلة بن أبى سفيان الجمحى قال: سمعت سالم بن عبد الله يقول: إن عبد الله بن عمر كان لا يترك استلام الركنين في زحام ولا غيره حتى رأيته زاحمنا عنه يوم النحر وأصابه دم، فقال: قد أخطأنا هذه المرة.

حدّثنا أبو الوليد، حدثنى جدى، حدثنا ابن عيينة، عن إبراهيم بن أبى حرة قال: كنت أزاحم أنا وسالم بن عبد الله بن عمر على الركن حتى نستلمه قال سفيان: وقال غير إبراهيم بن أبى حرة: كان سالم بن عبد الله لو زاحم الإبل لزحمها.

حدّثنا أبو الوليد، قال حدثنى جدى، عن سفيان بن عيينة، عن طلحة بن يحيى، قال: سألت القاسم بن محمد عن استلام الركن فقال: استلمه وزاحم عليه يابن أخى فقد رأيت ابن عمر يزاحم عليه حتى يدمى.

حدّثنا أبو الوليد، قال حدثنى جدى، حدثنا داود بن عبد الرحمن، عن هشام بن عروة، عن أبيه أن النبى ﷺ قال لعبد الرحمن بن عوف: كيف فعلت يا أبا محمد فى استلام الركن الأسود؟ قال: كل ذلك أستلم وأترك قال: أصبت وإن رسول الله ﷺ طاف فى حجة الوداع على بعير يستلم الركن بمحجنه يكره أن يضرب عنه الناس.

حدّثنا أبو الوليد، قال حدثنى جدى، حدثنا ابن عيينة، عن أبى يعقوب العبدى قال: سمعت رجلاً من خزاعة كان أميرًا على مكة منصرف الحاج عن مكة يقول: إن رسول الله ﷺ قال لعمر بن الخطاب: يا عمر إنك رجل قوى وإنك تؤذى الضعيف فإذا رأيت خلوة فاستلمه وإلا فكبر وامض.

حدّثنا أبو الوليد، حدثنى جدى، حدثنا سفيان بن عيينة، عن هشام بن عروة، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال لعبد الرحمن بن عوف: كيف صنعت يا أبا محمد فى استلام الحجر؟ وكان قد استأذنه فى العمرة فقال: كلا قد فعلت استلمت وتركت فقال النبى ﷺ: أصبت.

حدّثنا أبو الوليد، قال حدثنى جدى، حدثنى داود بن عبد الرحمن، عن هشام بن عروة أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يستلم إذا وجد فجوة، فإذا اشتد الزحام كبر كلما حاذاه.

حدّثنا أبو الوليد، قال حدثنا جدى، حدثنا سعيد بن سالم، عن ابن جريج، أخبرنى عطاء أنه سمع ابن عباس يقول: إذا وجدت على الركن زحامًا فلا تؤذ ولا تؤذى.

حدثنا أبو الوليد، حدثنى جدى، حدثنا سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، أخبرنى حنظلة بن أبى سفيان الجمحى، قال: كان طاوس قل ما استلم الركنين إذا رأى عليهما زحامًا، قال وقال ابن عباس: لا تؤذ مسلمًا ولا يؤذيك إن رأيت منه خلوة فقبله أو استلمه وإلا فامض.

* * *

الختم بالاستلام والاستلام في كل وتر

حدّثنا أبو الوليد، قال حدثني جدي، حدثني داود بن عبد الرحمن، عن هشام، بن عروة كان يختم طوافه باستلام الأركان كلها وكان لا يدع الركن اليماني إلا أن يغلب عليه.

حدّثني جدي، حدثنا ابن عيينة، عن ابن أبي نجيح قال: طفنا مع طاوس حتى إذا حاذى بالركن قال: استلموا بنا هذا لنا خامس قال ابن أبي نجيح: فظننت أنه يستحب أن يستلمه في الوتر.

* * *

استلام الركنين الغربيين اللذين يليان الحجر

حدّثنا أبو الوليد، قال حدثني جدي، عن سعيد بن سالم، عن عثمان ابن ساج، أخبرني موسى بن عقبة عن أبي النضر أن عبد الله بن عمر لم يكن يدع الركنين اللذين يليان الحجر إلا أنه كان يرى أن البيت لم يتمم في ذلك الوجه.

وبه عن عثمان بن ساج أخبرني عثمان بن الأسود، عن مجاهد أنه قال: الركنان اللذان يليان الحجر لا يستلمان.

حدّثنا أبو الوليد، قال: حدثني أحمد بن ميسرة، عن عبد المجيد، عن أبيه، حدثني نافع، عن ابن عمر أنه طاف معه مرة فلما حاذى الركن الغربي ذهب ليستلم وهو ناسٍ فلما مد يده قبضها ولم يستلم، ثم أقبل على فقال إني نسيت.

حدّثنا أبو الوليد قال: حدثني جدي، عن سعيد بن سالم، عن ابن

جريج، أخبرنى سليمان بن عتيق، عن عبد الله بن باباه عن بعض آل يعلى ابن أمية، عن يعلى بن أمية قال: طفت مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاستلمنا الركن الأسود، قال يعلى: فكنت مما يلى باب البيت، فلما حاذينا الركن الشامى مددت يدى لأستلم فقال: ما شأنك؟ فقلت: ألا تستلم؟ فقال ألم تطف مع النبى ﷺ؟ قال: قلت: بلى قال: أفرأيته يستلم هذين الركنين الغربيين؟ قال: قلت: لا، قال: أفليس لك فى رسول الله أسوة حسنة؟ قال: قلت: بلى قال: فابعد عنه.

حدّثنا أبو الوليد، قال: حدثنى جدى، عن سعيد، عن عثمان، عن موسى بن عقبة، أخبرنى سالم بن عبد الله بن عمر، أنه لم يزل يرى أباه عبد الله بن عمر فى حج ولا عمرة إذا طاف بالبيت يدع مس الركن الأسود واليمانى، وأنه لم يره يمس الركنين الآخرين.

* * *

ترك استلام الأركان

حدّثنا أبو الوليد، قال حدثنى جدى، حدثنى يحيى بن سليم، حدثنا إسماعيل بن كثير، قال: حدثنى مجاهد قال: كنا مع عبد الله بن عمر فى الطواف فنظر إلى رجل يطوف كالبدوى طويل مضطرب حجرة من الناس فقال: أى شىء تصنع ها هنا؟ قال: أطوف، فقال: مثل الجمل تخبط ولا تستلم ولا تكبر ولا تذكر الله تعالى ثم قال له: ما اسمك؟ قال: حنين قال: فكان ابن عمر إذا رأى الرجل لا يستلم الركن قال: أحنينى هو.

حدّثنا أبو الوليد، حدثنى جدى، عن سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج قال أخبرنى ابن جريج أن عبد الله بن عمر رأى رجلا يطوف بالبيت لا يستلم فقال: يا هذا ما تصنع ها هنا؟ قال: أطوف قال: ما طفت.

وبه عن عثمان بن ساج قال: وأخبرني ابن أبي أنيسة، عن عطاء بن أبي رباح قال: طفت مع جابر بن عبد الله ومع عبد الله بن عمرو بن العاص ومع ابن عباس ومع أبي سعيد الخدري فما رأيت منهم إنسانًا استلمه حتى فرغ.

حدّثنا أبو الوليد، قال: حدثني جدي، حدثنا ابن عيينة قال: رأيت عبد الله بن طاوس وطفت معه فلما حاذى الركن رفع يده وكبر.

* * *

استلام النساء الركن

حدّثنا أبو الوليد، حدثني جدي، عن الزنجي، عن ابن جريج قال أخبرني عطاء قال: قالت امرأة وهي تطوف مع عائشة: انطلقي فاستلمي يا أمّ المؤمنين فجذبتها وقالت: انطلقي عنا وأبت أن تستلم.

حدّثنا أبو الوليد، حدثنا محمد بن أبي عمر، حدثنا حكام بن سلم الرازي، حدثنا المثنى بن الصباح قال: كنا نطوف مع عطاء بن أبي رباح فرأى امرأة تريد أن تستلم الركن فصاح بها وزجرها: غطي يديك لا حق للنساء في استلام الركن، قال أبو محمد: حدثنا يحيى بن المقرى حدثنا حكام بن سلم بإسناده مثله.

* * *

تقبيل الركن اليماني ووضع الخد عليه

حدّثنا أبو الوليد، قال: حدثني جدي وعبد الله بن مسلمة القعنبي قالا: حدثنا عيسى بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي، حدثنا عبد الله بن مسلم بن هرمز عن مجاهد قال: كان رسول الله ﷺ يستلم الركن اليماني ويضع خده عليه.

استلام الركن اليمانى وفضله

حدّثنا أبو الوليد، قال: حدثنى جدى، حدثنا سعيد بن سالم القداح، عن عثمان بن ساج قال أخبرنى عمر بن حمزة بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه: أن النبى ﷺ لم يكن يمر بالركن اليمانى إلا وعنده ملك يقول: يا محمد استلم.

وبه عن عثمان أخبرنى ياسين، عن عبد الله بن حميد، عن إبراهيم النخعى، عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ما مررت بالركن اليمانى إلا وجدت جبريل عليه قائمًا.

وبه قال وأخبرنى ياسين، عن عبد الله بن الزبير، عن أبيه أنه قال: يا بنى أدننى من الركن اليمانى فإنه كان يقال: إنه باب من أبواب الجنة.

وبه عن عثمان، قال: وأخبرنى جعفر بن محمد بن على بن حسين بن على وقد مررنا قريبًا من الركن اليمانى ونحن نطوف دونه فقلت: ما أبرد هذا المكان فقال: قد بلغنى أنه باب من أبواب الجنة.

وبه عن عثمان قال: وبلغنى عن عطاء قال: قيل: يا رسول الله رأيناك تكثر استلام الركن اليمانى، قال: فقال: إن كان قاله ما أتيت عليه قط إلا وجبريل قائم عنده يستغفر لمن استلمه.

وبه عن عثمان، وأخبرنى زهير بن محمد، عن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبى الحسين، عن مجاهد قال: من وضع يده على الركن اليمانى ثم دعا استجيب له قال: قلت له: قم بنا يأبا الحجاج فلنفعل ذلك ففعلنا ذلك.

حدّثنا أبو الوليد، قال حدثنى جدى، أخبرنا سعيد عن عثمان بن ساج، حدثنا عثمان بن الأسود، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى الحسين، عن

مجاهد قال: ما من إنسان يضع يده على الركن اليمانى ويدعو إلا استجيب له، قال: ويلغنى أن بين الركن اليمانى والركن الأسوذ سبعين ألف ملك لا يفارقونه هم هنالك منذ خلق الله سبحانه البيت.

* * *

باب ما يقال عند استلام الركن الأسود

حدّثنا أبو الوليد، قال: حدثنى جدى، عن سعيد بن سالم، عن ابن جريج قال: قلت لعطاء: هل بلغك من قول يستحب عنده استلام الركن؟ قال: لا، وكأنه يأمر بالتكبير.

حدّثنا أبو الوليد، قال: حدثنى جدى، عن سعيد، عن ابن جريج، عن نافع، عن ابن عمر: أنه كان إذا استلم الركن قال: بسم الله والله أكبر.

حدّثنا أبو الوليد، قال وأخبرنى جدى، عن سعيد بن سالم قال أخبرنى موسى بن عبيدة، عن سعيد بن إبراهيم، عن سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب كان يقول إذا كبر لاستلام الحجر: بسم الله والله أكبر على ما هدانا الله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، آمنت بالله وكفرت بالطاغوت وبلات والعزى وما يدعى من دون الله، إن وليى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين قال عثمان: بلغنى أنه يستحب أن يقال عند استلام الركن: بسم الله والله أكبر اللهم. إيمانًا بك وتصديقًا بما جاء به محمد رسول الله ﷺ.

* * *

باب ما يقال من الكلام بين الركن الأسود واليمانى

حدّثنا أبو الوليد، قال: حدثنى جدى، حدثنا سعيد بن سالم، عن ابن جريج، أخبرنى يحيى بن عبيد أن عبد الله بن السائب أخبره أن أباه أخبره أنه سمع النبى ﷺ يقول فيما بين الركن اليمانى والركن الأسود: ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

حدّثنا أبو الوليد، حدثنى جدى أخبرنا سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، أخبرنى ياسين، حدثنى إبراهيم، عن الحجاج ابن الفرافصة، عن على ابن أبى طالب أنه كان إذا مر بالركن اليمانى قال: بسم الله والله أكبر والسلام على رسول الله ﷺ ورحمة الله وبركاته، اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر والذل ومواقف الخزى فى الدنيا والآخرة، ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

وبه عن عثمان قال وأخبرنى ياسين قال أخبرنى أبو بكر بن محمد، عن سعيد بن المسيب أن النبى ﷺ كان إذا مر بالركن اليمانى قال: اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والذل والفقر ومواقف الخزى فى الدنيا والآخرة، ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، فقال رجل: يا رسول الله، أرأيت إن كنت عجلا قال: وإن كنت أسرع من برق الخلب: قال أبو محمد الخزاعى: الخلب: السحاب الذى ليس فيه مطر.

قال: وأخبرت أن ابن عباس رضى الله عنه كان يقول بين الركنين: اللهم قنعنى بما رزقتنى وبارك لى فيه واحفظنى فى كل غائبة لى بخير إنك على كل شىء قدير.

قال عثمان: وبلغنى أن رجلاً كان على عهد رسول الله ﷺ يقول بين الركن الأسود والركن اليمانى ثلاث مرات: اللهم أنت الله وأنت الرحمن لا

إله غيرك وأنت الرب لا رب غيرك، وأنت القائم الدائم الذى لا تغفل، وأنت الذى خلقت ما يرى وما لا يرى، وأنت علمت كل شىء بغير تعليم فسمع النبى ﷺ من صنيعه فقال: إن كان قاله والله أعلم بشّروه بالجنة وأخبروه أنه فى قومه مثل صاحب ياسين فى قومه.

حدّثنا أبو الوليد، قال: حدثنى جدى، حدثنى عيسى بن يونس، حدثنا عبد الله بن مسلم بن هرمز، عن مجاهد أنه كان يقول ملك موكل بالركن اليمانى منذ خلق الله السموات والأرض يقول آمين فقولوا: ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

حدّثنا أبو الوليد، قال حدثنى جدى، عن سعيد بن سالم، عن ابن جريج، عن عمر بن قتادة، عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال: على الركن اليمانى ملكان موكلان يؤمنان على دعاء من يمر بهما وأن على الأسود ما لا يحصى.

* * *

ما يقال عند استلام الركن ومن أى جانب يستلم

حدّثنا أبو الوليد، قال حدثنى جدى، حدثنا ابن عيينة، عن عبد الكريم ابن أبى أمية قال: يقال عند استلام الركن: اللهم إجابة دعوة نبيك واتباع رضوانك وعلى سنة نبيك ﷺ.

حدّثنا أبو الوليد، قال حدثنى جدى، حدثنا سفيان بن عبد الكريم، عن مجاهد قال: لا بأس أن يستلم الحجر من قبل الباب.

حدثنا أبو الوليد، قال حدثنى جدى، عن سعيد بن سالم، عن عثمان ابن ساج وأخبرنى خصيف بن عبد الرحمن أن مجاهداً قال له: لا تستلم الحجر من قبل الباب ولكن استقبله استقبالاً.

حدّثنا أبو الوليد، قال: حدثنى جدى، عن مسلم بن خالد، عن ابن جريج قال: أخبرت أن طاوسًا استقبله حين ابتدأ الطواف.

حدّثنا أبو الوليد، قال: حدثنى جدى، عن سعيد بن سالم، عن عثمان ابن ساج أخبرنى المثنى بن الصباح أن عطاء كان يستلم الحجر من أين شاء.

* * *

ما جاء فى رفع الركن الأسود

حدّثنا أبو الوليد، قال: أخبرنى جدى، حدثنا سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج قال: أخبرنى زهير بن محمد، عن منصور بن عبد الرحمن الحجبى، عن أمه، عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ أكثروا استلام هذا الحجر فإنكم توشكون أن تفقدوه بينما الناس يطوفون به ذات ليلة إذا أصبحوا وقد فقدوه، إن الله عز وجل لا يترك شيئًا من الجنة فى الأرض إلا أعاده فيها قبل يوم القيامة.

حدّثنا أبو الوليد، قال: حدثنى جدى، عن سعيد بن عثمان: أخبرنى إبراهيم الصائغ، عن رجل، عن عمرو بن ميمون الأودى، عن يوسف بن ماهك قال: إن الله تعالى جعل الركن عيد أهل هذه القبلة كما كانت المائدة عيدًا لبنى إسرائيل، وإنكم لن تزالوا بخير ما دام بين ظهرانيكم، وإن جبريل وضعه فى مكانه، وإنه يأتيه فيأخذه من مكانه، قال عثمان: وحدثت عن مجاهد أنه قال: كيف بكم إذا أسرى بالقرآن ورفع من صدوركم ونسخ من قلوبكم ورفع الركن؟ قال عثمان: وبلغنى عن النبى ﷺ أنه قال: أول ما يرفع الركن والقرآن ورؤيا النبى ﷺ فى المنام.

حدّثنا أبو الوليد، قال: حدثنى جدى أخبرنا سعيد بن سالم، عن عثمان ابن ساج، عن مقاتل، عن علقمة بن مرثد، عن عبد الله بن عمرو بن

العاص قال: إن الله تعالى يرفع القرآن من صدور الرجال والحجر الأسود قبل يوم القيامة.

* * *

ما جاء فى تقبيل الأيدى إذا استلم الركن

حدّثنا أبو الوليد، قال: حدثنى جدى، حدثنا مسلم بن خالد، عن ابن جريج عن عطاء قال: رأيت عبد الله بن عمر وأبا هريرة وأبا سعيد الخدرى وجابر بن عبد الله إذا استلموا الحجر قبلوا أيديهم. قال ابن جريج: قلت له: وابن عباس قال: وابن عباس حسبت كثيراً.

حدّثنا أبو الوليد، قال حدثنى جدى، حدثنا عبد الله بن يحيى السهمى قال: رأيت عطاء بن أبى رباح، وعكرمة بن خالد، وابن أبى مليكة يطوفون بعد العصر ويصلون، ورأيتهم يستلمون الركن الأسود واليمانى ويقبلون أيديهم ويمسحون بها وجوههم، وربما استلموا ولا يمسحون بها أفواههم ولا وجوههم.

حدّثنا أبو الوليد، قال حدثنى جدى، حدثنا عيسى بن يونس بن أبى إسحاق، عن عبد الله بن أبى زياد قال: رأيت عطاء ومجاهداً وسعيد بن جبير إذا استلموا الركن قبلوا أيديهم.

حدّثنا أبو الوليد، قال حدثنى جدى، عن الزنجى، عن ابن جريج قال: قال عمرو بن دينار: جفا من استلم الركن ولم يقبل يده، قال ابن جريج: وأخبرت أن النبى ﷺ كان إذا طاف على راحلته يستلم الركن بمحجنه ثم يقبل طرف المحجن.

حدّثنا أبو الوليد، قال: حدثنى جدى، حدثنا سفيان أنه سمع حميد بن حيان قال: رأيت سالم بن عبد الله إذا استلم يضع يده على خده أو جبهته،

قال سفيان: ورأيت أيوب بن موسى إذا استلم الركن يضع يده على جبهته أو على خده.

حدّثنا أبو الوليد، قال: حدثنى جدى، عن سفيان، عن عبد الكريم، عن مجاهد قال: لا بأس أن تستلم الحجر من قبل الباب.

* * *

أول من استلم الركن الأسود قبل الصلاة وبعدها من الأئمة

حدّثنا أبو الوليد، قال: حدثنى جدى، حدثنا عبد الجبار بن الورد قال: سمعت ابن أبى مليكة يقول: أول من استلم الركن الأسود من الأئمة قبل الصلاة وبعدها ابن الزبير فاستحسنت ذلك الولاة بعده فاتبعته.

* * *

ذكر ما يدور بالحجر الأسود من الفضة

حدّثنا أبو الوليد، قال: حدثنى جدى قال: كان ابن الزبير أول من ربط الركن الأسود بالفضة لما أصابه الحريق، ثم كانت الفضة قد رقت وتزعزعت وتقلقلت حول الحجر الأسود حتى خافوا على الركن أن ينقص، فلما اعتمر أمير المؤمنين هارون الرشيد وجاور فى سنة تسع وثمانين ومائة أمر بالحجارة التى بينها الحجر الأسود فثقبت بالماس من فوقها وتحتها ثم أفرغ فيها الفضة، وكان الذى عمل ذلك ابن الطحان مولى ابن المشمعل وهى الفضة التى هى عليه اليوم.

* * *

ذكر ذرع ما يدور بالحجر الأسود من الفضة

ذراع وأربع أصابع، وذرع ما بين الحجر إلى الأرض ذراعان وثلثا ذراع، وذرع ما بين الركن والمقام ثمانية وعشرون ذراعًا، وحول الحجر الأسود طوق من فضة مفرغ وهو يلى الجدر ودخول الفضة التى حول الحجر الأسود ودخول الحجر الأسود فى الجدر عن وجه حد الجدر إصبعان ونصف.

* * *

ما جاء فى الملتزم والقيام فى ظهر الكعبة

حدّثنا أبو الوليد، قال: حدثنى جدى، حدثنا مسلم بن خالد، عن أبى الزبير المكى عن ابن عباس قال: الملتزم والمدعى والمتعوذ ما بين الحجر والباب، قال أبو الزبير: فدعوت هنالك بدعاء بحذاء الملتزم فاستجيب لى.

حدّثنا أبو الوليد، قال: حدثنى جدى، أخبرنا ابن عيينة، عن حميد، عن مجاهد قال: رأيت ابن عباس وهو يستعيذ ما بين الركن والباب.

حدّثنا أبو الوليد، قال: حدثنى جدى، حدثنا يحيى بن سليم، حدثنا عثمان بن الأسود، عن مجاهد قال: ما بين الركن والباب يدعى الملتزم ولا يقوم عبد ثم فيدعو الله عز وجل بشىء إلا استجاب له.

حدّثنا أبو الوليد، قال: وحدثنى جدى، حدثنا سفيان، عن عبد الكريم، عن مجاهد قال: الصق خديك بالكعبة ولا تضع جبهتك.

حدّثنا أبو الوليد، حدثنا عبد الله بن مسلمة القعنبى، حدثنا عيسى بن يونس، عن المثنى بن الصباح، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه قال: طفت مع عبد الله بن عمرو فلما جئنا دبر الكعبة قلت: ألا تتعوذ؟ قال: أعوذ بالله

من النار ثم مضى حتى استلم الحجر، فقام بين الركن والباب ثم وضع صدره ووجهه وذراعيه وكفيه بسطًا وقال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ يفعل.

حدثنا أبو الوليد، حدثنى جدى، عن مسلم بن خالد الزنجى، عن عثمان ابن يسار، عن المغيرة بن حكيم، عن سعد بن خيثمة أنه رأى أناسًا يتعلقون بالبيت فقال: والله لو رأيتنا وما نفعل هذا والله ما يرضى بعضهم حتى أنه ليستدبرها بأسته.

حدّثنا أبو الوليد قال: حدثنى محمد بن يحيى، حدثنا عبد العزيز بن عمران، عن محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير، عن عطاء قال: مر ابن الزبير بعبد الله بن عباس بين الباب والركن الأسود فقال ليس ههنا الملتزم، الملتزم دبر البيت، قال ابن عباس: هناك ملتزم عجائز قريش.

حدّثنا أبو الوليد، قال: حدثنى جدى، عن سعيد بن سالم، عن عثمان ابن ساج: أخبرنى المثنى بن الصباح عن عطاء قال: طاف عبد الملك بن مروان والحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة أسبوعًا حتى إذا كانا فى دبر الكعبة تعوذ عبد الملك فقال الحارث أتدرى من أحدث هذا؟ أحدثه عجائز قومك.

قال عثمان: وبلغنى عن مجاهد قال قال معاوية بن أبى سفيان: من قام عند ظهر البيت فدعا استجيب له وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه.

حدثنا أبو الوليد، حدثنا سفيان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب قال: رأيت القاسم بن محمد وعمر بن عبد العزيز يقفان فى ظهر الكعبة بحيال الباب فيتعوذان ويدعوان.

حدّثنا أبو الوليد، قال: حدثنى جدى، عن سعيد بن سالم، عن عثمان ابن ساج. حدثنى زهير بن أبى بكر المدينى، عن عطاء، عن ابن عباس قال: من التزم الكعبة ثم دعا استجيب له، فقيل له: وإن كانت استلامة

واحدة، قال: وإن كانت أوشك من برق الخلب.

حدّثنا أبو الوليد، قال حدثنى محمد بن يحيى، حدثنا هشام بن سليمان المخزومى، عن عبد الله بن أبى سليمان مولى بنى مخزوم أنه قال: طاف آدم سبعًا بالبيت حين نزل ثم صلى وجاه باب الكعبة ركعتين ثم أتى الملتزم فقال: اللهم إنك تعلم سريرتى وعلانيتى فاقبل معذرتى وتعلم ما فى نفسى وما عندى، فاغفر لى ذنوبى، وتعلم حاجتى فأعطنى سؤلى، اللهم إنى اسألك إيمانًا يباشر قلبى ويقينًا صادقًا حتى أعلم أنه لن يصيبنى إلا ما كتبت لى والرضا بما قضيت عَلَىّ. فأوحى الله تعالى إليه، يا آدم قد دعوتنى بدعوات واستجبت لك، ولن يدعونى بها أحد من ولدك إلا كشفت همومه وغمومه وكففت عليه ضيعته ونزعت الفقر من قلبه وجعلت الغنى بين عينيه وتجرت له من وراء تجارة كل تاجر وأتته الدنيا وهى راغمة وإن كان لا يريدها قال: فمنذ طاف آدم كانت سنة الطواف.

حدّثنا أبو الوليد، حدثنى أحمد بن نصر العرنى، عن عثمان بن اليمان، عن حفص بن سليمان، عن علقمة بن مرثد، عن سليمان بن بريدة، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: طاف آدم بالبيت سبعًا حين نزل ثم نسق مثل هذا الحديث.

حدّثنا أبو الوليد، قال: حدثنى جدى، عن ابن عيينة، عن حميد بن قيس، عن مجاهد قال: جئت ابن عباس وهو يتعوذ بين الباب والركن الأسود فقلت له كيف تقرأ هذه الآية قالوا: ساحران تظاهرا؟ قال لى عكرمة مولاه: سحران تظاهرا.

حدّثنا أبو الوليد، قال: حدثنى جدى، عن عبد المجيد، عن ابن جريج والمثنى بن الصباح، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه أنه قال: طاف محمد بن عبد الله بن عمرو مع أبيه عبد الله بن عمرو بن العاص، فلما كان فى السابع أخذ بيده إلى دبر الكعبة فجبذه، وقال أحدهما: أعوذ بالله من النار، وقال

الآخر: أعوذ بالله من الشيطان، ثم مضى حتى أتى الركن فاستلمه ثم قام بين الركن والباب فألصق وجهه وصدره بالبيت وقال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ فعل.

حدّثنا أبو الوليد، قال: حدثنى جدى، عن يحيى بن سليم، عن محمد ابن السائب بن بركة، عن أمه أن عائشة رضى الله عنها زوج النبى ﷺ أرسلت إلى أصحاب المصابيح فأطفوها ثم طافت فى ستر وحجاب، قالت وطفت معها فطافت ثلاثة أسبع كلما طافت سبعًا وقفت بين الباب والحجر تدعو.

حدّثنا أبو الوليد، حدثنى جدى، عن يحيى بن سليم، عن عثمان بن الأسود، عن مجاهد قال: كان يقال: ما بين الباب والحجر يدعى الملتزم، ولا يقوم عبد عنده فيدعو إلا رجوت أن يستجاب له، قال أبو الوليد: ذرع الملتزم وهو ما بين باب الكعبة وحد الركن الأسود أربعة أذرع.

* * *

ما جاء فى الصلاة فى وجه الكعبة

حدّثنا أبو الوليد، قال: حدثنى جدى، أخبرنا مسلم بن خالد، عن عبد الرحمن بن الحارث، عن حكيم بن حكيم، عن نافع بن جبير بن مطعم، عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال: أمنى جبريل عند باب الكعبة مرتين.

حدّثنا أبو الوليد، قال: حدثنى جدى، عن ابن عيينة، عن عمرو بن دينار عن عطاء أن موسى بن عبد الله بن جميل سلم على ابن عباس وهو يصلى فى وجه الكعبة فأخذ بيده.

حدّثنا أبو الوليد، قال: حدثنى جدى، حدثنا سفيان، عن ابن أبى نجيح،

قال: قال عبد الله بن عمرو بن العاص: البيت كله قبلة، وقبلته وجهه، فإن أخطأك وجهه فقبلة النبى ﷺ، وقبلة النبى ﷺ ما بين الميزاب إلى الركن الشامى الذى يلى المقام.

حدّثنا أبو الوليد، قال حدثنى جدى، عن سفيان، عن عمرو قال رأيت ابن الزبير: إذا صلى العصر تقدم إلى وجه الكعبة فصلى ركعتين.

حدّثنا أبو الوليد، قال: حدثنى جدى، حدثنا داود بن عبد الرحمن، عن ابن جريج، عن محمد بن عباد، عن جعفر عن ابن السائب أن النبى ﷺ صلى يوم الفتح فى وجه الكعبة حذو الطرقة البيضاء ثم رفع يديه فقال هذه القبلة، قال أبو الوليد: قال جدى: كان داود بن عبد الرحمن يشير لنا إلى الموضع الذى صلى فيه النبى ﷺ من وجه الكعبة قبل أن يطلى على الشاذروان الذى تحت إزار الكعبة الجص والمرمر عند الحجر السابع أو التاسع، قال جدى: الذى يشك فى باب الحجر الشرقى، قال أبو الوليد قال جدى: إن رأيت المرمر والجص قد قرف عن الشاذروان فعد سبعة أحجار من باب الحجر الشرقى، فإن كان السابع حجر طويل من أطول السبعة فيه حفر شبه النقر فهو الموضع وإلا فهو التاسع، قال داود وكان ابن جريج يشير لنا إلى هذا الموضع، ويقول: هذا الموضع الذى صلى فيه النبى ﷺ وهو الموضع الذى جعل فيه المقام حين ذهب به سيل أم نهشل إلى أن قدم عمر ابن الخطاب رضى الله عنه فرده إلى موضعه الذى كان فيه فى الجاهلية وفى عهد النبى ﷺ وأبى بكر رضى الله عنه وبعض خلافة عمر رضى الله عنه إلى أن ذهب به السيل.

* * *

إلى هنا انتهى الجزء الأول من كتاب «أخبار مكة»

ويليه إن شاء الله الجزء الثانى، وأوله: باب ما جاء فى فضل الطواف

* * *

فهرس موضوعات الجزء الأول

الموضـــــوع **الصفحة**

* * *